وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

تأسيس الدولة المغولية وانهيارها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي

أطروحة تقدم بها الطالب :

حيدر حسوني مهدي الموسوي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الاسلامي

بإشراف

أ. م. د

عبير عبد الرسول محمد

1445 هـ 2023 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الضحى : آية 5

إقرار المشرف

هد أن إعـداد الاطروحـة الموسـومة بـ(تأسيس الدولـة المغوليـة يارها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي) التي قدّمها الب (حيدر حسوني مهدي) الى قسم التاريخ \ كلية التربية للعلوم سانية \ جامعة كربلاء , قد جرت تحت إشرافي وهي جزء من للبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي .

الامضاء

أ.م.د عبير عبد الرسول محمد

التاريخ 23/ 10/ 2023

إقرار رئيس القسم

اءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

الامضاء

أ.م.د. محمد مهدي علي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ 23/ 10/ 2023

قرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الاطروحة الموسومة بـ(تأسيس الدولة المغولية وانهيارها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي) وقد ناقشنا الطالب(حيدر حسوني مهدي) في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقدُ بانها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الاسلامي بتقدير( ).

التوقيع

الاسم: أ . د انتصار لطيف حسين

الكلية:جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية رئيسا

التاريخ: / /2023

التوقيع

الاسم: أ . د عباس فضل حسين

الكلية:جامعة المثنى- كليةالتربية للعلوم الانسانية عضوا

التاريخ: / /2023

التوقيع

الاسم: أ .م. د علاوي مزهر مزعل

الكلية:جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية عضوا

التاريخ: / /2023

التوقيع

الاسم: أ .م. د حسين كريم حميدي

الكلية: جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية عضوا

التاريخ: / /2023

التوقيع

الاسم: أ .م. د سوسن عباس حسين

الكلية:جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية عضوا

التاريخ: / /2023

التوقيع

الاسم: أ .م. د عبير عبد الرسول محمد

الكلية: جامعة كربلاء - كلية التربية للعلوم الانسانية عضوا ومشرفا

التاريخ: / /2023

مصادقه مجلس الكلية:

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة كربلاء على قرار لجنة المناقشة.

الاستاذ الدكتور صباح واجد علي

عميد كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعه كربلاء

التاريخ 12/ 26 /2023

الإهـــــــــــداء

إلى سيدي ومولاي أمير المؤمنين وولديه الهماميين البطلين سيدي أبي عبد الله الحسين واخيه أبي الفضل العباس عليهم السلام .

إلى من تمنيته جالسا بين الحضور مفتخرا بثمرة عمره ونتاج غرسه . . . إلى مثلي الأعلى . . .أبي رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

إلى المتفانية الغالية ريح الجنة وريحانها . . . أمي أمد الله بعمرها وألبسها حلل العافية في الدنيا والاخرة .

إلى الأعزة على القلب . . . اخوتي وأخواتي .

إلى المخلصة الصالحة أم أولادي .

إلى قرة عيني ابنتي فاطمة . . وثمرة الفؤاد . . ولدي حسين . . وعباس .

أقدم جهدي المتواضع

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحنان المنان ذي الفضل قديم الإحسان على مننه وإحسانه ودوام توفيقه والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين.

وفاءً وعرفانا اتقدم بالشكر والثناء لأستاذتي المشرفة الدكتورة عبير عبد الرسول محمد التي أغدقت علي لطف كرمها وطيبة نفسها وحسن توجيهاتها التي كان لها الاثر البالغ في إخراج هذه الاطروحة رغم ضيق وقتها وكثرة مسؤولياتها فلها مني عظيم الشكر والامتنان .

والشكر موصول لأساتذتي في قسم التأريخ كلية التربية فكل له بصمة في سلوك طريق العلم والتماسه ، لهم مني أفضل الثناء وخير الدعاء .

ولايفوتني ان اتقدم بأسمى آيات الشكر والثناء للاستاذ الدكتور جواد الورد الذي انعم علي متفضلا بالآراء السديده والمصادر القيمة فله مني خالص الشكر والتقدير وجزاه الله عني خير جزاء المحسنين.

والشكر كل الشكر لمن مد لي يد العون أو شد أزري ولو بابتسامة أو كلمة طيبة أو دعاء ، وختاما لزاما ولابد من تقديم شكري وتقديري وودي لعائلتي اولهم امي الغالية واخواني واخواتي ثم رفيقة دربي وابنائي مع الاعتذار لهم عن التقصير بحقهم .

والحمد لله أولاً وآخراً

الباحث

الرموز المستخدمه		
ت	الرمز	الكلمة
1	د. ت	دون تاريخ طبع
2	د.م	دون مكان طبع
3	ت	توفي
4	تح	تحقيق
5	تر	ترجمة
6	ص	الصفحة
7	ج	الجزء
8	ط	الطبعة
9	م	ميلادي
10	هـ	هجري
11	مط	المطبعه
12	مج	مجلد

ثبت المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية الكريمة :	أ
الاهداء	ب
شكر وتقدير	ج
قائمة الرموز	د
قائمة المحتويات	هـ
المقدمة	8-1
التمهيد المغول النشأة والاصل والمعتقدات والعوامل المؤثرة فيها	29-9
أولا :النشأة والاصل	15-9
ثانيا : التوزيع الجغرافي للقبائل في منغوليا قبل قيام دولة جنكيز خان	19-15
ثالثا :أثر الطبيعة الجغرافية على نشأة المغول	22-19
رابعا : معتقدات المغول	27-22
خامسا : حياة جنكيز خان	29-27
((الفصـــــل الأول)) الدولة المغولية (603-769 هـ / 1205- 1368 م)	**93-30**

المبـــحث الأول : تأسيس الدولة وتنظيمها ومقومات قوتها	**42-31**
المطلب الاول : مرحلة توحيد القبائل (591-603 هـ / 1194 – 1206 م)	38-31
المطلب الثاني : تنظيمات جنكيز خان الداخلية	42-38
المبـــحث الثـــاني : الغزوات الخارجية للمغول في عهد جنكيز خان	**71-43**
المطلب الاول : التوجه شرقا : محاولة السيطرةعلى الصين (602-613 هـ / 1205 -1216 م)	**49-44**
المطلب الثاني:التوجه غربا(615-620 هـ /1218-1223 م)	**69-49**
أ-القراخطائيين (615هـ /1218 م)	
ب-الخوارزميون (616- 620 هـ / 1219 -1223 م)	**71-69**
المطلب الثالث:تقسيم المملكة بين ابناء جنكيز خان	
المبـــحث الثـــالث	**93-71**
واقع الدولة الاسلامية قبل حركة المغول (232 -656 هـ / 847 – 1258 م)	**93-72**
((الفصـــــل الثانـــــي)) فلسفة التاريخ عند توينبي	**156-94**
المبـــحث الاول نظرية توينبي في التفسير الحضاري للتاريخ	**125-95**
المطلب الاول :ترجمة موجزة لتوينبي	**98-95**
المطلب الثاني :الشخوص المؤثرة في دراسة توينبي للتأريخ	**114-98**
أ-القديس اوغسطين(354-450 م) ب-عبد الرحمن بن خلدون (732-808هـ/1322-1406م)	
ج- أوز فلد شبنجلر (1880 -1936)	
المطلب الثالث : المعالم الرئيسة لفلسفة التاريخ عند توينبي	**125-114**

اولا :المجتمعات البدائية والحضارية ثانيا:فكرة البنوة والابوة للحضارات ثالثا :نظرية التحدي والاستجابة رابعا: ارتقاء الحضارات عند توينبي خامسا :انهيار الحضارات وتحللها سادسا :البقاء للحضارة الغربية المسيحية وحدها	
المبـــحث الثـــاني السمات الايجابية في فلسفة توينبي التاريخية	**141-126**
اولا:الرفض الظاهري لنظرية تفوق الجنس او العرق ثانيا :رفض وحدة الحضارة الانسانية ثالثا :رفض نظرية البيئة الطبيعية رابعا : التحدي والاستجابة	
المبـــحث الثـــالث : المؤاخذات العامة على فلسفة توينبي في التاريخ	**149-142**
رؤية توينبي الى الحضارة العربية الاسلامية	**156-149**
((الفصـــل الثالـــث)) **تأسيس الدولة المغولية وانهيارها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة**	**195-157**
المـبـــحث الاول : الجانب التطبيقي لنظرية توينبي في افق الدولة الاسلامية	**170-158**
المبحث الثاني : التحدي المغولي واقعة ، اسبابة ، نتائجه	**199-171**

المطلب الاول :الاحوال السائدة عند المغول قبل حركتهم	179-172
المطلب الثاني:الجانب التطبيقي لفلسفة توينبي التاريخية على حركة المغول	182-179
المطلب الثالث : إعمال نظرية التحدي والاستجابة على حركة المغول	190-182
المطلب الرابع : تشخيص اسباب انهيارالامبراطورية المغولية	195-191
الخاتمه	199-196
المصادر والمراجع	237-200
Abstract	III – I

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله المطهرين وصحبه المرضيين، وبعد:

يُعدعلم التاريخ من أهم العلوم الإنسانية وأصعبها للوصول إلى النتائج الواقعية الدقيقة أما من جهة أهميته، فلأنه يكشف عن حركة الإنسان الحضارية عموماً ويقف على أحوال الأمم والشعوب على وجه التعيين، ومعرفة نتاجات المبدعين ومن يُقتدى بهم وما أُثر عنهم.

وأما من جهة صعوبته، فهو ليس كبقية العلوم النظرية التي تعتمد على البراهين اليقينية والمقاييس القطعية، أو العلوم التجريبية التي تعتمد على المشاهدة والتجربة والاستقراء، بل يعتمد على معطيات غابرة وأثار مندثرة عفى عليها الزمن وأسدل عتمته. والأصعب من ذلك معرفة دقة هذه المعطيات ومدى موافقتها للواقع لأنها كانت رهينة بذمة من نقلها أو دوّنها من المؤرخين، وقلما نجد من هؤلاء من تجرد عن أفكاره القبلية أو أهوائه السياسية والمذهبية والقومية ودون أحداث التاريخ كما هي واقعاً ناهيك عن توظيف كثير من المؤرخين من قبل الحكام والسلاطين لتدوين سيرتهم وتاريخ أسلافهم، ومن دون أدنى شك أنهم لم يدونوا الوقائع التاريخية كما هي حاصلة، بل سطروا ما يرضى هؤلاء الحكام والسلاطين، من ذكر أمجادهم والإشادة ببطولاتهم، وتعظيم مكارم أخلاقهم، ومدح سيرتهم في الرعية، وإخفاء ظلمهم وطغيانهم وسوء سيرتهم وسريرتهم ، فضلاً عن وصف خصومهم بأقبح الأوصاف لذلك جاءت معظم الأحداث التاريخية مشوشة وبعيدة عن الواقع، ومن ثم صعب على الباحثين والدارسين معرفة الحقائق؛ لذلك كان من الضروري تناول فنّ التاريخ فلسفياً لأن الفلسفة تعتمد على مبدئي الكلية والسببية، وعناصر أحداث

التاريخ هي الإنسان والزمان والمكان، وحتى نصل إلى النتائج الدقيقة المرجوة لا بد من إعمال تلك المبادئ على هذه العناصر عند دراسة أحداث التاريخ .

ومن بين تلكم الأحداث التاريخية التي شابها كثير من الغموض وعدم الدقة في نقل الحقائق التي حصلت فيها وتعيين أسبابها هي قيام المغول بحركتهم ومن ثم اجتياح العالم الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية، ولا سيما استغلال الأحوال السائدة في الدولة الإسلامية على مختلف الأصعدة من تدهور وضعف.

وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة، وهو أحد أسباب اختيارنا لها كموضوع لدراستنا، الذي سنتناوله في ضوء فلسفة تونبي للتاريخ لقلة الدراسات التي تناولته من هذه الوجه، فكان سبباً ثانياً لاختيار هذه الدراسة التي نأمل فيها الكشف عن بعض الجوانب التي شابها الغموض أو التي لم تكن مبرزة أو أخفيت عن قصد، ومن ثم نأمل في الوصول إلى النتائج الدقيقة مع بيان أسبابها الحقيقية، وقررناها على وفق منهج يجمع بين النقل والحل والنقض.

وقد واجهتنا في بحث هذا الموضوع بعض الصعوبات منها صعوبة دراسة تاريخ المغول لاحتوائه على الاساطير والخرافات وتضارب الروايات التاريخية كذلك ندرة المصادر والمراجع التاريخية المختصة بتاريخ المغول لاسيما العربية منها لكنا تمكنا من تجاوز هذه الصعوبات بما تيسر لنا الاطلاع عليه من مصادر ومراجع عربية او مترجمة حوت معلومات متناثرة افادتنا في مجال بحثنا .

وعند بحث هذه الدراسة لا بد من معرفة أصل المغول، هل هم من التُرك، أم من التتر، أم هم جنس مستقل ؟ فضلاً عن ذلك هنالك عدة آراء سنناقشها ونبين الرأي الأكثر دقة فيها، وبيان أصولهم وقبائلهم وموطنهم والقوى السياسية التي كانت تجاورهم وملامح من حياتهم الاجتماعية والسياسية.

وهل كان للبيئة القاسية التي توزع عليها المغول وتواجدوا فيها أثر على حياتهم وتكوينهم الخلقي والاجتماعي وهل هم شعب همجي-كما ينعتهم البعض-

ظلوا على همجيتهم ام كان للحضارات التي هاجموها اثر عليهم؟ وهل ساهموا في تلك الحضارات؟.

و سنبين ماهي نظرية توينبي و الاسس التي قامت عليها وهل تنطبق نظريته في التحدي والاستجابة على حركة المغول وتأسيس دولتهم وماهي او جه التوافق والاختلاف سنحاول الاجابة عن هذه التساؤلات وغيرها من خلال هذه الدراسة.

وتأتي مباحث هذه الدراسة بفصول ثلاثة يسبقها تمهيد وهذه المقدمة، وتليها خاتمة نجمل فيها ما توصلنا إليه من نتائج .

خصصنا التمهيد للتعريف بالمغول ونشأتهم وبيان أصلهم وقبائلهم وتوزيعهم الجغرافي، وبيئتهم الطبيعية ومعتقداتهم الدينية، ونردفها بترجمة موجزة لجنكيز خان مؤسس دولتهم.

وسنتناول في الفصل الأول تأسيس الدولة المغولية وتنظيمها وبيان مقومات نجاحها دينياً وسياسياً واجتماعياً. والغزوات التي قام بها جنكيز خان شرقاً التي أسفرت عن احتلال بكين عاصمة الصين، وغزواته باتجاه الغرب التي تمكن فيها من القضاء على خصومه ولا سيما القضاء على الدولة الخوارزمية ، ثم صفحة الغزوات التي حصلت بعد وفاته التي تمكن فيها المغول من إسقاط الخلافة العباسية.

وفي الفصل الثاني تناولنا فلسفة التاريخ عند تويتبي، وبينا فيه الشخوص المؤثرة في فلسفته والمعالم الرئيسية لهذه الفلسفة، وبيان مفاد نظرية الاستجابة والتحدي التي قررها توينبى والأسس التي قامت عليها، وعوامل نجاح الحضارات وديمومتها وانهيارها، والسمات الإيجابية لهذه النظرية، وموارد الضعف فيها، والانتقادات التي وجهت إليها خصوصاً ولفلسفته عموماً.

أما ثالث الفصول فخصصناه لإعمال الجانب التطبيقي لنظرية توينبي على حركة المغول، وبيان واقع التحدي المغولي وأسبابه ونتائجه على مستوى النجاح والانهيار.

وقد أعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع من أهمها :

-**(التـــاريخ الســـري)** للمغـول لتشـان تشـون (ينسـبه الـبعض لمؤلـف مجهـول) ، ويعـد هـذا الكتـاب ملحمـة الشـعب المغـولي حيـث انـه مـن المـرجح قـد جـرت صـياغته أيـام جنكيـز خـان مـن قبـل بعـض المغـول ونقـل بعـد هـذا الـى الصـينية وجـرى تدوينـه بهـا ثـم ترجمـه الـى العربيـة الاسـتاذ الـدكتور سـهيل زكـار، تنـاول الاحـوال المعاشـية والاجتماعيـة والثقافيـة والدينيـة والسياسـية للمغـول قبـل جنكيزخـان وفي ايامه لذا لا غنى عنه لاي باحث او مهتم .

- (**تـــاريخ فـــاتح العـــالم)** المسـمى (تـاريخ جهانكشـاي) لمؤلفـه عطـا ملـك الجـويني (680 هـ / 1281 م) يعـد اول كتـاب يصـنف عـن المغـول لاغنـى للباحـث الجـاد فـي تـاريخ المغـول عـن هـذا الكتـاب بكـل تفاصـيله فهـو مـن ابـرز الكتـب التـي عنيـت بتـاريخ التتـار والمغـول بصـورة خاصـة ، وهوكتـاب جـامع عـن تـاريخ المغـول وقـف فيـه عنـد حـوادث سـنة (655 هـ / 1257 م) سـجَّل ماشـاهده وسـمعه ، ومـا جمعـه عـن التتـار والمغـول وعـن تيمـوجين (جنكيـز خـان) وحياتـه وكفاحـه مـن أجـل الزعامـة ، وصـراعاته وحروبـه القبليـة، وتوحيـده منغوليـا ، وقيـام إمبراطوريتـه ، وعـن الياسـا ، وعـن تقسـيم دولتـه بـين أولاده الأربعـة .قسـم المؤلـف كتابـه الـى جـزئين تضـمن الاول احـوال المغـول قبـل ظهـور جنكيـز خـان وفـي تـاريخ ظهـوره وتكـوين دولتـه وفـي الجـزء الثـاني اسـتكمل تاريخ الدولة الخوارزمية وحملة هولاكو على ايران وغيرها.

- ومـن الكتـب الأخـرى (**جـــامع التـــواريخ**) لمؤلفـه رشـيد الـدين فضـل الهمـذاني (718هـ / 1318 م) والكتـاب بجـزئين جـاء الجـزء الأول باسـم جـامع التـواريخ (تـاريخ خلفـاء جنكيزخـان مـن أوكتـاي قـا آن إلـى تيمـور قـا آن) وفيـه يتنـاول تـاريخ أبنـاء جنكيـز خـان وأحفـاده والجـزء الثـاني

تناول تاريخ هولاكو وأبناء هولاكو حتى السنوات الأولى من حكم أولجايتو، وكتاب جامع التواريخ انفرد بذكرالكثير من المعلومات التفصيلية والنادرة عن اعتمدنا عليها في أغلب مباحث الدراسة.

-(**الكامل في التاريخ**) لأبي الحسن علي بن ابي الكرم المعروف بأبن الأثير (ت 630 هـ / 1232 م) وهو من مصادر التاريخ الإسلامي العام المهمة ، ضم هذا الكتاب أخبار المغول ، ودخولهم بلاد ما وراء النهر ، وإسقاط الدولة الخوارزمية وسقوط بغداد ومما يؤخذ على ابن الأثير أنه من بين المؤلفين الذي أورد اسم التتار فقط في كل كتابه دون ذكر مصطلح المغول ، وقد أفادنا عن الكثير من الأحداث السياسية العسكرية التي مر بها العالم الإسلامي في ظل حكم التتار .

- **تاريخ البناكتي**المسمى بـ (روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والانساب) لابي سليمان داود بن ابي الفضل محمد ، (ت : 730 هـ /1330م) هو من المصنّفات الفارسية في العصر المغولي الذي يصنّف ضمن كتب التاريخ العام،فقد ابتدأ فيه منذ الخليقة حتى عام ٧١٧ هـ/ ١٣١٧ م في عهد السلطان أبي سعيد الإيلخاني احتوى على إسهاب دقيق لأحوال الشعوب غير المسلمة داخل الدولة الإيلخانية وفي إطرافها في عصر المؤلف.

-(**سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**) لشهاب الدين محمد بن احمد النسوي (ت 639 هـ / 1241 م) من الكتب المهمّة في دراسة تاريخ المغول والتتر قدم المؤلف سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي آخر حكّام الدولة الخوارزمية ، واحتوى على معلومات عن علاقات الدولة الخوارزمية مع القراخطاي ، والنايمان ، والتتار ، والمغول في عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه وعن بدايات المغول حتى حطوا رحالهم في المشرق الاسلامي

-(**تـــاريخ مختصـــر الـــدول**) لمؤلفــه غريغوريــوس الملطــي المعــروف بــابن العبــري (ت 685 هـ / 1286 م) ، وهــو مــن الكتــب التــي أفــادت الدراســة كثيــراً ، كــون المؤلــف عــاش فــي كنــف الدولــة المغوليــة الايلخانيــة ، وكــان راعيــاً لكنيســة الســريان اليعاقبــة فيهــا ، فسـجل الكثيـر مـن أحـداثها حتـى وفاتـه و نقـل لنـا معلومـات مهمـة اطَّلـع عليهـا عـن القبائل المغولية وعن جنكيز خان وتوحيد منغوليا.

-(**العبــر وديــوان المبتــدأ والخبــر**) لابـن خلـدون (ت 808هـ/1405م) كـان ذا اهميـة كبيـرة للدراسـة فقـد قـدم صـورة واضـحة عـن الاوضـاع العسـكرية والسياسـية للمغـول ، كـذلك افادتنـا مقدمـة ابـن خلدون فيما يتعلق بفلسفة توينبي وكونه احد الشخوص المؤثرين في فلسفته .

- وكتـاب (**النجـوم الزاهـرة فـي ملـوك مصـر والقـاهرة**) لجمـال الـدين يوسـف بـن تغـري بـردي المعـروف بـأبي المحاسـن (ت 874هـ/1469م) تحـدث فيـه المؤلـف باسـهاب عـن بداية قيام جنكيز خان وتأسيس الامبراطورية المغولية وهولاكو وسقوط الخلافة .

- ومـن كتـب البلـدان كتـاب (**معجـم البلـدان**) لياقوت الحمـوي(626هـ/1228م) وهـو معجـم جغرافـي مهـم كـون المؤلـف كتـب معظمـه مـن مشـاهداته فقـد عاصـر مرحلـة الغـزو المغـولي فـي بداياتـه واستفدنا من هذا الكتاب في التعريف بأغلب الاماكن التي مرت في ثنايا البحث .

كمـا اسـتفادت الدرسـة مـن بعـض المصـادر المختصـة بالوفيـات والسـير والتـراجم ككتـاب (**وفيــات الاعيــان**) لابــن خلكــان(ت:681هـــ/1282م) ،و(**الــوافي بالوفيــات**) للصــفدي (ت :764هـ/1363م) وغيرها، وهي كتب جمعت بين التراجم والحوادث0

امـا بخصـوص المراجـع الحديثـة والمترجمـة ففـي مقـدمتها كتـاب (**حيـاة تيموتشـجين**) لمؤلفـه الباحـث الروسـي كيتشـانوف ، الـذي تضـمن جـذور المغـول ، وتكـوين دولـتهم الأولـى ، وعـن قبائـل منغوليـا ، وحـروب جنكيـز خـان مـن أجـل توحيـد منغوليا .

ومـن المراجـع المهمـة الاخـرى(**جنكيـز خـان إمبراطـور النـاس كلهـم**)وكتـاب (**جنكيـز خـان وجحافـل المغـول**) لمؤلفهـا الأمريكـي هارولـد لامـب الـذي تتبـع بالتفصـيل حيـاة جنكيزخـان ، وتـاريخ المغـول ، وصـراعاته السياسـية مـع التتـار والقبائـل الأخـرى، وتوحيـده لمنغوليا.

ومما افـاد الدراسـة بالمعلومـات القيِّمـة كتـاب (**تركسـتان مـن الفـتح العربـي إلـى الغـزو المغـولي**) وكتـاب (**تـاريخ التـرك فـي آسـيا الوسـطى**) للروسـي بارتولـد وهمـا مـن المراجـع التي لا يمكن الإستغناء عنهما ، في تاريخ الترك والمغول.

وكتـاب(**جنكيـز خـان قـاهر العـالم**) للمستشـرق الفرنسـي رينيـه غروسـية الـذي تتبـع أحـوال ، المغول وعلاقاتهم مع التتار في هضبة منغوليا .

امـا المراجـع العربيـة أبرزهـا : كتـاب (**المغـول فـي التـاريخ**) لمؤلفـه فـؤاد عبـد المعطـي الصـياد الـذي تحـدث عـن نُظـم وقـوانين المغـول سياسـياً و عسـكرياً و اجتماعيـاً ويعـد الكتاب مرجعا ملما بتاريخ المغول ، وأحوالهم.

وكتاب(**مختصر دراسة للتاريخ**) من أهم المراجع التي اعتمدنا عليها في بحثنا الذي هو في الاصل اختصار للاجزاء العشرة الاولى من كتاب ارنولد توينبي دراسة للتاريخ والذي قام باختصاره سومرفيل الى اربع مجلد وترجمه الى العربية الاستاذ فؤاد محمد شبل، اضافة الى بعض مؤلفات توينبي التي ضمنها نظريته التحدي والاستجابة ككتاب (**بحث في التاريخ**) بجزئيه الاول والثاني وكتاب (**تاريخ البشرية**) وغيرها .

ومن المراجع الاخرى جملة من الكتب التي تحدثت عن فلسفة التاريخ عموما وعن توينبي وفلسفته خصوصا منها(**المفصل في فلسفة التاريخ**) للاستاذ هاشم يحيى الملاح و(**فلسفة التاريخ عند ارنولد توينبي**) لنيفين جمعه علم الدين وغيرها من مصادر ومراجع.

كما لا ننكر الاستفادة من بعض الدراسات والبحوث الاكاديمية التي اغنت البحث ببعض الاراء العلمية فكانت نعم العون في اتمام هذه الدراسة ومنها اطروحة دكتوراه لقاسم عبد عوض المحبشي بعنوان (**فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر آرنولد توينبي موضوعا**) مقدمة لكلية الاداب ،جامعة بغداد، واطروحة دكتوراه بعنوان (**الاجتياح المغولي لمشرق العالم الاسلامي وآثاره ٥٩٦_٦٣٩م**) لنسيبه احمد محمد، مقدمة لكلية الاداب والعلوم الانسانية ،جامعة دمشق ،.

و(**أثر القبائل التاتارية في نشاطات المغول العسكرية 519- 624هـ/ 1125- 1227م**)، أطروحة دكتوراه لإسراء مهدي مزبان مقدمة الى كلية التربية، جامعة واسط.

وبجانب هذه المصادر والمراجع اثبتنا عددا كبيرا من المصادروالمراجع في قائمة المصادر المثبته لا تقل اهمية عن التي استعرضناها .والله الموفق.

التمهيد

المغول النشأة والأصل والمعتقدات والعوامل المؤثرة فيها

اولا:النشأة والأصل:

مما لا شك فيه أن كل الاقوام والشعوب والأمم لها بداية ونشأة و تاريخ يخصها، وقد تعددت الدراسات حول نشأة المغول الأولى، غير أن هناك كثيراً من الغموض، لا زال يكتنف تلك النشأة ومراحل تطورها، مما صعب على الباحثين والمهتمين مهمة استخلاص رأي قاطع بشأنها،ومن ثم الوصول الى نتيجة مرضية، ولكن يمكن القول أن بعض الروايات والأحداث المتعلقة بنشأة المغول الأولى فيها إجماعٌ بين المؤرخين سنعتمدها في بيان ذلك.

لقد كانت منغوليا[1] مهد القبائل المغولية وموطنها الاول، ولم تكن تعيش بسلام ووئام فيما بينها، بل كانوا في حالة صراع مستمر بسبب الحياة الرعوية الصعبة التي فرضتها البيئة القاسية فكان البحث عن الأراضي الصالحة للرعي أول أسباب الصراع فيما بينها، و كانت تلك القبائل متنافرة ، وغير موحدة، وغير خاضعة لزعيم أو قائد واحد على الرغم من تشكلها في بعض الأحيان على هيئة تحالفات قبلية فيما بينها، ولكن تلك التحالفات كانت وقتية سرعان ما تزول بزوال أسبابها[2].

---

[1]- منغوليا: تقع منغوليا في شمال اسيا الوسطى، شمال السور الصيني وغرب منشوريا وتتجه شمالا الى الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي السابق تبلغ مساحة اراضيها 1565000 كم مربع وهي مساحة تعادل مساحة فرنسا وبريطانيا وايرلندا والبرتغال مجتمعة يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب 2368كم وعرضها من الشمال إلى الجنوب 1260 وتقع على ارتفاع 1300 م فوق سطح البحر في وادي نهر تولا، الذي يبلغ طوله 704 كم عند سفح جبل بوغدو واولان باتور،وكان يحد موطن المغول من الشرق بلاد الخطا وغربا بلاد الايغور ومن الشمال القرقيز وسلنكاي ومن الجنوب تنكت والتبت. للمزيد من التفاصيل . ينظر:الجويني ،جهانكشاي،ج1،ص60؛ ويلر واخرون. جغرافية العالم الاقليمية، ج2 ،ص 148

Historical David Walker and Daniel Gray, Historical Dictionary of Marxism Dictionaries of Religions Philosophies, and Movements, No. 74, The Scarecrow Press, Inc., Lanham, Maryland ,Toronto , Plymouth , UK , 2007, P.219.

[2] - الباز، المغول، ص39؛ بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد، ص21- 28؛ غروسيه، جنكيزخان، ص15- 32.

ظلت قضية البحث عن أصل المغول مثار اهتمام كبير لدى المؤرخين لغموضها وتضارب الأخبار المنقولة فيها ، ومن هذا المنطلق نرى أن الحديث عن المغول يستدعي البحث عن أصلهم وجذورهم وأصل تسميتهم، ثم مناطق انتشارهم وظهورهم كقوة على مسرح الأحداث، ومثل هذا الأمر بالغ الصعوبة لأختلاف المنقول عنهم لذلك جاءت الآراء والتقريرات متباينة جداً بسبب الغموض الذي يكتنف تاريخ المغول، فهم لم يهتموا بتسجيل تاريخهم، إلا في مرحلة متأخرة عند ظهور جنكيز خان[1] واستخدامه الخط الإيغوري[2] في مخاطباته الرسمية، ولا تخلو رواياتهم التاريخية من الأساطير لأنهم أرادوا أن يصيغوا لهم تاريخًا يتناسب مع تطورهم وتوسع نفوذهم في العالم[3].

ولا بد من معرفة أصل المغول، هل هم من التُرك، أم من التتر، أم هم جنس مستقل ؟ فضلاً عن ذلك هنالك عدة آراء سنناقشها ونبين الرأي الأكثر دقة فيها، ولأن موضوع دراستنا يدور حول قيام الدولة المغولية ابتداءً بعهد جنكيز خان، لذا سنتجنب الاستطراد في

---

[1]- جنكيز خان: ولد جنكيز خان في المنطقة الشمالية من اواسط منغوليا قرابة سنة 549هـ/ 1150 م ، وهنالك رأي أخر بان ولادته سنة (561هـ / 1167م) على الضفة اليمنى لنهر الأونون في منطقة دولون بولداق بقراقورم (وهي منطقة تتبع روسيا الحالية)واسمه هو "تيموجين" ويعني (الحديد الصلب) نسبة إلى قائد التتار الذي تمكن والد جنكيز خان من الانتصار عليه وأسره، توفي والده وهو في سن الثالثة عشر، وبعد مقتل والده عاد تيموجين إلى قبيلته ليخلف والده في قيادة القبيلة، ولكن لحداثة سنه رفضت القبيلة ذلك، ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه وعائلته من القبيلة وشردوهم، واعلنوا عليهم العصيان، وتزوج بعمر 17 سنة ومن ثم تمكن من جذب كبار الشخصيات في القبيلة واستطاع اخضاع قبيلته تحت سلطته وبعد صراع مرير مع منافسيه تمكن من اخضاع القبائل المغولية. للمزيد ينظر: الجويني،جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم)،ج1،ص74؛ حمد الله مستوفي ،تاريخ كزيدة،ص580؛الرمزي،تلفيق الاخبار،ج1،ص347؛ الدباغ، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية،ص43 – 49؛ مرجونة ، المغول والحضارة الاسلامية، ص64.

[2] - الابجدية الاويغورية:نسبة الى الاتراك الايغور وهي خط ينحدرمن الابجدية السامية استعملوا بدايةالابجدية الصغدية التي تعود اصولها الى السريانية وطوروها الى لغة وابجدية عرفت بأسمهم وقد كتب الايغور على الاوراق والرقوق وزينوها بالتصاوير والالوان ومازالت اللغة الايغورية لغة حيه لشعوب تركستان الشرقية والغربية وتعرف باللغة الجغتائية استخدمها المغول ودونوا بها قانون الياسا . ينظر: اوزطونا ، المدخل الى التاريخ التركي، ص127 - ص128؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص47؛ بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد ص184؛بروكلمان،تاريخ الشعوب الاسلامية،ج2،ص276؛رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج3، ص411؛ واكيم، امبراطورية على صهوات الجياد، ص24.

[3] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1، ص154؛ النجار، امبراطورية المغول، ص24.

تاريخ المغول الأوائل ونكتفي ببيان أصولهم وقبائلهم وموطنهم والقوى السياسية التي كانت تجاورهم وملامح من حياتهم الاجتماعية والسياسية.

برز المغول على ساحة الأحداث منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، عندما شكلوا اتحادًا من قبائل عدة كانت منتشرة في مناطق آسيا الوسطى[1]، وكانت تعود إلى أصول عدة ، كالمغول، والترك، والتتار، إذ صارت تلك الأقوام جميعها تمثل نواة الشعب المغولي فيما بعد[2].

أما ما يخص معنى اسم المغول، فقد فسره بعضهم، على ان التسمية جاءت نسبة إلى البلاد التي انطلقوا منها ونعني بها "منغوليا" كما يرى ذلك زكار[3]، أو مشتقة من الصينية مونغ وتعني الشجاع الباسل[4] وإلى جانب تلك الآراء أطلق عليهم تسمية المغل[5]، وأطلق عليهم التتار، إذ لم يعرفوا في المصادر الصينية والإسلامية إلا باسم التتار على الرغم من أن التتار قبائل مستقلة عن المغول[6]، ويبدو أن اسم المغول جاء نسبة إلى المنطقة "منغوليا"، وتسمت بها كل القبائل الخاضعة لهم ، أي ان تسمية أهل منغوليا طغت على التسميات القبلية والمحلية من باب إطلاق التسمية الأقوى على الأضعف، كما لاحظنا سابقاً مع التتر، فقط أطلق على الجميع هذا الاسم وبقوة عنصر المغول حل اسمهم محل التتر؛ بدليل إن بعض المصادر الإسلامية رجعت إلى تسمية المغل فأطلقتها عليهم كما عند الذهبي

---

[1] - اسيا الوسطى: هي تلك المنطقة الواسعة التي تمتد في آسيا، تشغل منغوليا والتبت والتركمانستان الصيني ومن بحر قزوين في الغرب إلى الصين ومنغوليا في الشرق، ومن أفغانستان وإيران في الجنوب إلى روسيا في الشمال ، تتكون المنطقة من جمهوريات الاتحاد السوفيتي والتي تتكون حالياً من أوزبكستان وتركمانستان وكازاخستان وطاجكستان وقيرستان. ينظر: بارتولد ،تاريخ الترك في اسيا الوسطى،ص7؛ محمود ،تاريخ اسيا الوسطى، ص9.

[2] - حمد الله مستوفي، تاريخ كزيدة، ص564؛ رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص410؛ شبر، خلفاء بني العباس، ص423.

[3] - أخبار المغول، ص295.

[4] - شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص35.

[5] - اليونيني،ذيل مرآة الزمان،ج2،ص162؛الذهبي، تاريخ الإسلام، ج13، ص275.

[6] - الجويني ، جهانكشاي ، ج1،ص60؛طلعت،نظم المغول،ص37؛العريني ، المغول،ص33؛مرجونة،المغول والحضارة الاسلامية،ص22.

وغيره[1]، إضافةً إلى أن بداية حركة توحيد القبائل التي ابتدأت بقبائل المغول ومن ثم باقي القبائل التترية والتركية الموجودة في منغوليا .

وفي باب الحديث عن الفرق بين المغول والتتار فقد ذكر العديد من المؤرخين المغول باسم التتر منهم ابن الأثير(ت 630هـ/ 1233م) في أحداث سنة617هـ/1220م، حيث قال وفي هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام[2] ، وبنفس الاسم ذكرهم النسوي(ت639هـ/1241م)[3]، وابن واصل(697هـ/1298م) [4]، كما أن النويري(733هـ/1333م)[5]، سمى دولتهم بدولة التتار وكذلك وصف الذهبي(748هـ/1347م)[6] جنكيز خان بملك التتر، وفي نفس الصدد يرى عباس إقبال ان التتر من قبائل المغول[7].

وبالضد من ذلك عدهم فضل الله الهمذاني(ت718هـ / 1318 م) شعبين مختلفين معتبرا أن التتر قبائل منفصلة عن المغول[8]، كذلك فؤاد الصياد يرى أن المغول أقوام مستقلة عن التتر التتر وبعد انتصار جنكيز خان على التتار أطلق اسم المغول على التتر كما أطلق اسم التتار على أتباعه فاشتهروا بهذين الاسمين[9].

وفي السياق ذاته أكد كل من بخيت[10] وغروسيه [11]على أنهما شعبان مختلفان كان كلاهما يسكن هضبة منغوليا، ويقطن التتر جنوب الهضبة جهة الصين والمغول يسكنون

---

[1] - تاريخ الإسلام،ج13، ص275؛سير اعلام النبلاء،ج16،ص186؛ الصفدي ، أعيان العصر وأعوان النصر،ج1،ص447؛ الكتبي، فوات الوفيات،ج1،ص159؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج2،ص135.
[2] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص361.
[3] - سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص38.
[4] - مفرج الكروب، ج4، ص34.
[5] - نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج1، ص24.
[6] - سيرأعلام النبلاء، ج22، ص243.
[7] - تاريخ المغول، ص47 - 48.
[8] - جامع التواريخ، ج1، ص209.
[9] - الصياد، تاريخ المغول، ص31.
[10] - تاريخ المغول، ص28.
[11] - جنكيز خان قاهر العالم، ص32.

شمالها جهة سيبيريا، أما عن سبب إطلاق المؤرخين المسلمين لفظة التتر على المغول عمومًا يعود للمفهوم السائد في عصرهم كما يرى فضل الله الهمذاني إن السبب في ذلك يعود لما كان يتمتع به التتار من مكانة بارزة[1]، لذا فإن عشائر أخرى تركية تبنى أعضاؤها اسم التتر ومثل هذا حدث عندما تبنت القبائل التركية والتترية اسم المغول بعد قيام جنكيز خان على الرغم من إن لها أسماؤها وألقابها المتميزة بها[2].

وربما لقوة التتار الحقيقيين الذين سكنوا منغوليا[3] كما رجح ذلك فلادمير ستوف[4] بقوله :ان القبائل الصغرى من عادتها تبني لقباً او اسم الجار القريب الاقوى وان كانت تلك القبائل على عداء معه معتمدا في ذلك على ما اثبته متخصصوا الاعراق البشرية ، أو أن هذا الاسم تتار كان معروفًا و مشهورًا بين جماعة التجار التي زارت المكان، حيث ذكر فضل الله الهمذاني[5] أن هذا الاسم مشتهر في بلاد العرب والختاي [6]والهند والأرجح أن طلائع جيوش المغول الغازية لبلاد الإسلام كانت من التتر فيقدمونهم لتجنب وقوع الخسائر في صفوف المغول وهذا ديدنهم حتى مع الأسرى فكانوا يقدمونهم أمام جيوشهم كما حصل مع أسرى بخارى وغيرها من البلدان[7].

---

[1] - جامع التواريخ، ج1، ص 213.
[2] - ستوف، حياة جنكيز خان، ص21 -22.
[3] - ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص248؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص17.
[4]- حياة جنكيز خان ،ص21.
[5] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ص36.
[6] - نسبة الى الدولة القراخطائية وتسمى كارا خيتاي وتعرف بخيتاي السوداء، والتي تأسست في اسيا الوسطى سنة519هـ/1125م، وامتدت اراضيها من صحراء جوبي الى نهر سيحون، والتي سقطت رسميا على يد المغول سنة615هـ/1218م. ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص49 - ص50؛ أبو الفدا ، المختصر، ج2، ص217 - ص218؛ الذهبي، سير النبلاء، ج22، ص226؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص49؛ بخيت، تاريخ المغول، ص10؛ الصياد، المغول، ص22 ؛العريني، المغول، ص120؛ عكاشة، إعصار من الشرق، ص143؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص164؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص45؛.
[7] - ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص338؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص334 ؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص165 .

كما أن اعتياد المغول على أجواء سيبريا الباردة ونفرتهم من الحر كان سببًا رئيسًا في إيقاف هجماتهم أيام الحر فيعودون إلى بلادهم تاركين حاميات من التتار كما أن غزوات تيمورلنك ومشابهة التتر للمغول في الوحشية جعلت المؤرخين ينسبون الكل إلى التتر.

واستخلاصا لما سبق نرجح القول بأنهما شعبان لا شعب واحد بدليل الحرب المستمرة بينهما، فضلا عما ذكره فضل الله الهمذاني من إن قبائل التتر مختلفة عن المغول وانفرد بهذا الرأي ربما لاطلاعه على المدونات التي وجدها في خزائن السلطان محمود غازان[1] عندما كلفه بتدوين تاريخ المغول أما عن تسميتهم بعد توحيد القبائل بالمغول فالحال لا يختلف عن تسمية باقي القبائل التركية باسم المغول رغم أن لها اسماؤها وألقابها المتميزة بها عن غيرها ، وقد أكد فضل الله الهمذاني ان لقب المغول لم يطلق الا على القبائل التي وحدها جنكيز خان وخضعت له و منع الأمراء من التحلي بأي ألقاب فخرية كما ورد ذلك في الياسة ليصهر الجميع في الشعب المغولي[2] .

واما في باب البحث عن اصل المغول والترك فقد ذكرت معظم المصادر الإسلامية[3] بأن المغول جنس من الترك، وكذلك هو رأي بعض المؤرخين المحدثين[4]، وبعض المؤرخين أرجعهم أي -الترك والمغول- إلى أصل واحد كما قلنا وتحديدًا إلى ابن نوح يافث[5] و توجد بعض الآراء التي تنفي عنهم الأصول التركية وإنهم قوم حلوا محل الأقوام التركية في

---

[1]- محمود غازان:هو الابن الاكبر للسلطان ارغون خان بن أبقا بن هولاكو تولى السلطنة بعد ان قتل السلطان بايدو خان سنة 694هـ/1294م استمر في الحكم حتى وفاته سنة 703هـ/1303، ترك الوثنية واعتنق الاسلام،وصف بالحنكة والسياسة وحسن الادارة. ينظر: فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ص131؛ الذهبي،دول الاسلام،ص153.

[2]- جامع التواريخ،ص204.

[3] - ؛ ابن الأثير، الكامل، ج10، ص335، ج1، ص333؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص81 ؛ ؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ج1، ص212 ؛ تاريخ البناكتي، ج1، ص400 ؛ ابن خلدون، العبر،ج5، ص228 ؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج4، ص336؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج7، ص238؛الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص368.

[4] - الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، ص14؛قداوي، المغول في الموصل، ص36 ؛ كرد، خطط الشام، ص109؛ النجار، امبراطورية المغول، ص30 .

[5] -القلقشندي،قلائد الجمان،ج1، ص28؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ص288 السويدي، سبائك الذهب، ص29.

منغوليا كما يرى ذلك بارتولد[1].ويرى يلماز اوزطونا[2] في كتابه ، أن الأتراك يختلفون عن المغول وأن النظرية التي تقول بأنهم كانوا جنسًا واحدًا افترق إلى قسمين سنة 1500 ق .م [3] ، أمر بعيد الاحتمال ويميل العلماء إلى إهماله ولا تعدو القرابة التي تربط الترك بالمغول إلا تاريخاً وثقافة مشتركين.

ويبدو أن بارتولد واوزلاط يحاولان أن ينفيا كون المغول يرجعون إلى الترك معتبرين أن الترك أكثر تحضرًا وثقافةً من المغول البدائيين بينما باقي المصادر تؤكد أنهم ترك وهذا ما نميل إليه فمسألة كون المغول بدائيين والترك متحضرين لا ينفي أن يكونوا جزءًا منهم لكن طبيعة المنطقة التي عاش فيها كل منهم حتمت عليهم حياة معينة إضافةً إلى أن جل المؤرخين عندما يذكرون القبائل المغولية يصفون بعضًا منها بأنهم ترك[4] كالكرايت أو غيرهم وعلى أقل تقدير إنهم متداخلون معهم بدليل أن جنكيز عندما اختار لهم لغةً ليكتبوا بها اختار لغة الإيغور[5]، وهم ترك فكل هذه الشواهد تشير إلى أنهم شعب واحد.

ثانياً :التوزيع الجغرافي للقبائل في منغوليا قبيل قيام دولة جنكيز خان:

حددت الروايات التاريخية الموطن الأصلي للمغول وانطلاقتهم الأولى بمنطقة آسيا الوسطى شمال سور الصين و حول بحيرة بايكال[6]، حيث سكنت هذه المنطقة قبائل متعددة

---

[1] - تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ص114.

[2] - المدخل إلى التاريخ التركي، ص13.

[3] -أشار الكثير من المؤرخين قدماء ومحدثين الى الاصل المشترك للمغول والترك وبينهم سمات عرقية ولغوية مشتركة وذكروا ان احد ملوك الترك القدماء ولد له تؤامان تتار خان ومغول خان .ينظر: ابن الاثير ، الكامل في التأريخ، ج 10 ، ص 335؛ الجويني جهانكشاي ،ج 1 ، ص 14 ؛ الرمزي تلفيق الاخبار، ج1 ، ص 44 ؛فامبري ،تاريخ بخارى ، ص161.

[4] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص335؛ الجويني، جهانكشاي، ج1، ص62؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ ، ج1، ص102؛ النجار، امبراطورية المغول، ص30.

[5] - بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد ص184؛بروكلمان،تاريخ الشعوب الاسلامية،ج2،ص276؛رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج3، ص411؛ واكيم، امبراطورية على صهوات الجياد، ص24.

[6] - غنيمات، قبائل المغول، ص91؛مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص238.

اتسمت بالعنف وشريعة الغاب هي الحاكمة بينهم فحياتهم قائمة على التنقل والصراع فيما بينهم سعيًا وراء السلب والنهب والمراعي[1].

ولم تكن هذه القبائل الساكنة في منغوليا خاضعة لسلطة واحدة ، وأنما كل قبيلة منفصلة عن غيرها وتستقل بإدارة شؤونها، كما عبر عن ذلك الجويني بقوله:**"لم يكن للمغول قبل خروج جنكيز خان رئيس أو حاكم، وكانت كل قبيلة أو اثنتين تعيشان منفصلتين لا تتفقان، النزاع والخصام قائم ومستعر بينهم"**[2] .وقد تمخض عن صراع هذه القبائل ونزاعهم المستمر فيما بينهم في هذه المنطقة عن تأسيس جنكيز خان لإمبراطورية المغول وأهم هذه القبائل:

. قيات :وتعرف باسم بورجقين وهي القبيلة الأم التي ينحدر منها جنكيز خان والتي انطلق منها الاتحاد مع الآخرين وتكوين الدولة فيما بعد تقع مضاربها على سفوح جبال قراقوم[3] بين نهري كيرولين واونن[4].

. التتار :من أكبر القبائل في منغوليا، ترجع في أصولها إلى الجنس التركي[5] ،وقد ورد ذكرهم في نقوش اورخون[6] بقسمين الأول من ثلاثين قبيلة، والآخر من تسع قبائل[7] ، أما

---

[1] - ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج1، ص257؛ إقبال، تاريخ المغول، ص45؛ الصياد، المغول، ص33العريني، المغول، ص10.

[2] - جهانكشاي، ج1، ص62.

[3] - جبال قراقوم :هي سلسلةجبلية ضخمة تقع في اسيا الوسطى،تتصل بهضبة بامر، وتمتد بحذاء جبال الهملايا جنوب شرق التبت ووديان السند والجونج ،وتضم ثاني اعلى قمة جبلية وتعرف حاليا بأسم بلنوي،اما لفظة قروم فتعني الجبل بلغة الترك. ينظر:ابن سعيد المغربي ، الجغرافيا، ص165 ؛ القلقشندي، صبح العشى، ج4 ،ص480 - ص481؛ اقبال ،تاريخ المغول ، ص 19؛ شبولر، بيرتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص44؛ عكاشة، جنكيزخان الامبراطور الدموي،ص137 - ص141؛ لامب، هارولد، جنكيزخان امبراطور، ص80 ؛ واكيم، امبراطورية على صهوات الجياد، ص95.

[4] - غنيمات، قبائل المغول الأولى، ص95.

[5] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص335؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ ، ج1، ص102؛ النجار، امبراطورية المغول، ص30.

[6] - كتابات تركية على شواهد القبور، تعود إلى القرن 2هـ/8م، سميت باورخون نسبة إلى نهر ارخون في منغوليا حيث اكتشفت هناك تناولت تاريخ القبائل وصراعاتها. بارتولد، مادة ترك، دائرة المعارف الإسلامية، ج5، ص46 ؛ العريني، المغول، ص30؛يونس، الترك في الدولة العربية الإسلامية، ص9.

[7] - دائرة المعارف الإسلامية، تتار، ج4، ص576؛ غنيمات، قبائل المغول الأولى، ص97.

أما موطنهم الأصلي فهو المنطقة التي يحدها من الشمال نهرسلنجا وأرغون[1] ومملكة القرغيز ومن الجنوب إقليم التبت ومملكة التنجغوت[2] ، أما من الشرق فتحدهم الصين الشمالية ومن الغرب مملكة الإيغور[3]، وقدعرفوا بالقوة والشجاعة، وكانت الحروب والمعارك قائمة بينهم وبين المغول إلى أن استطاع جنكيز خان القضاء عليهم وضمهم إلى دولته وقوى علاقة المغول بهم عن طريق المصاهرة والزواج[4].

.المركيت :عدهم فضل الله الهمذاني قبيلة مغولية[5]، عرف عنهم بأنهم أقوى القبائل المغولية لكثرة عددهم[6]، خاضوا حربًا ضد جنكيز خان حيث كانوا على عداء معه ومع والده يسوكاي الذي خطف منهم زوجته بورته وولدت له جنكيز واستمر العداء قائمًا حتى قضى عليهم جنكيز وأخضعهم بمساعدة طغريل خان الكرايت[7]، أما عن موطنهم فقد سكنوا شمال شمال سكنى الكرايت تحديدًا جنوب بحيرة بيكال في أسفل مجرى نهر ارخون وحول نهر سلنجا[8].

---

[1] - نهر سيلينجا: تنبع روافده من مرتفعات تانو في منغوليا، يصب في جنوب بحيرة بايكال، ويتجه باتجاه الشمال الشرقي، يبلغ طوله حوالي 1207كم منها أكثر من 800كم داخل منغوليا، يصب فيه من الجنوب الشرقي نهر أورخون، ويتفرع منه رافد يصب في بحيرة كوسو في الشمال، ويمثل هذا النهر أهم نظام نهري في منغوليا.ينظر: الخشاب، آسيا، ص123؛المومني، الجغرافيا الأقليمية، ص64.

نهر أرغون: أرغون لفظة منغولية تعني النهر العريض او الواسع ينبع من المنحدر الغربي لسلسلة جبال شينغان الكبرى في منغوليا ، ويبلغ طوله حوالي1621كم ، و اليوم هوجزء من الحدود الشرقية بين الصين وروسيا يشكل نهر آمور عندما يلتقي بنهر شيلكا على الجانب الروسي .ينظر:الخشاب،آسيا،ص48؛قوانغ، جغرافيا الصين ، ص15.

[2] - حمد الله مستوفي، تاريخ كزيدة، ص565؛ إقبال، تاريخ المغول، ص48؛ الصياد، المغول، ص25.

[3] - حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيده،ص565؛إقبال، تاريخ المغول، ص 48؛ غنيمات، قبائل المغول، ص98.

[4] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ ،ج1، ص313.

[5] - جامع التواريخ، ج1، ص114؛ النجار، امبراطورية المغول، ص38.

[6] - الصياد ،المغول في التاريخ، ص28؛ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص43.

[7] - تشون، التاريخ السري، ص136؛ العريني، المغول، ص35.

[8] - حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيده،ص567؛ إقبال، تاريخ إيران، ص48؛ العريني، المغول، ص35؛ النجار، امبراطورية المغول، ص37.

.الكرايت :قبيلة ذات أصول تركية[1] من أقوى شعوب منغوليا وسيطروا على معظم العشائر المحيطة بهم وكان لهم شأن في الصراعات التي شهدتها منغوليا في القرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي[2] ، منطقة انتشارهم الواحات في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين [3] كانوا في صراع دائم مع التتار[4]، و كانوا من أقرب القبائل إلى المغول وقد تحالف يسوكاي والد جنكيز خان مع زعيمهم أونج خان (طغريل) وساعده في تثبيت سلطانه على الكرايت ومن ثم ساعد جنكيز في استعادة سلطانه وحروبه لذا اعتبرهم البعض من قبائل المغول[5] .

.النايمان :بدو من قبائل الترك الرحل[6]، تعني لفظة نايمان ثمانية[7]، ربما لأنها مكونة من من ثمان قبائل أو أقسام[8]، يقع موطنهم غرب قبائل الكرايت في الجزء الغربي من منغوليا [9]أعلى حوض نهرأرتيش[10].عرفوا بالشجاعة والقوة العسكرية ربطتهم علاقات العداء مع

---

[1] - ستوف، حياة جنكيز خان، ص20؛ الصياد ،المغول، ص28؛ العريني، المغول، ص34.
[2] - إقبال، تاريخ إيران، ص48؛ العريني، المغول، ص35؛ النجار، امبراطورية المغول، ص37.
[3] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ج1، ص102؛ حمد الله مستوفي، تاريخ كزيدة، ص567؛ إقبال، إقبال، تاريخ المغول، ص48؛ العريني، المغول، ص34.
[4] - حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيده،ص567؛ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص43؛ النجار، امبراطورية المغول، ص33.
[5] - العريني، المغول، ص234؛ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص43 ؛النجار، امبراطورية المغول، ص33.
[6] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ج1، ص102.
[7] - إقبال، تاريخ المغول، ص48؛ حطيط، حروب، ص14.
[8] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص69.
[9] - إقبال، تاريخ المغول، ص48؛ حطيط، حروب المغول، ص14؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص229؛ غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص124؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص14.
[10] - نهر ارتيش: يمر هذا النهر بين ناحية الاتراك الأغوز وكيماك حتى يصل قرية جوبين ويصب في نهرإتل في مدينة إتل، مياه هذا النهر غزيرة وداكنة غير أنها عذبة وصالحة للشرب. ينظر:لسترنج ،بلدان الخلافة الشرقية، ص530.

جنكيز خان[1] . ويعدون الأكثر تمدنـًا بين القبائل المغولية ربما لتأثرهم بالمدنية الإيغورية بحكم المجاورة والقرب فقد كان الإيغور يعيشون إلى الجنوب منهم[2].

.الإيغور: هم أكثر الأتراك والمغول تمدنـًا لهم أبجديتهم الخاصة ، وقد أمر جنكيز خان بتعليم الصغار الكتابة الإيغورية ، ثم استخدمها بعد قيام الدولة المغولية في مراسلاته الرسمية بسبب عدم وجود كتابة وأبجدية لدى قبائل المغول والتتر[3].

كانت بداية ظهورهم في أعلى حوض نهر أرغون[4]، ثم استطاع بعضهم تأسيس إمارة لهم في تركستان الشرقية في منطقة بيش باليغ وكانوا يخضعون للقراخطائيين[5]، وأخيرًا دخلوا في طاعة جنكيز خان سنة 606هـ/1208م وشاركوا في حروبه[6].

هذه أهم القبائل التي تألف منها المغول وهناك قبائل أخرى ومنها: الاونغيرات، والجلائر، وقرغيز، وقنقورات، وساقات، وسولوغات، وغيرها كثير[7].

ثالثاً:أثر الطبيعة الجغرافية على نشأة المغول:

تكمن اهمية الدراسات الجغرافية في التعرف على اثر البيئة والتضاريس الطبيعية على المجتمعات والشعوب وبيان اثرها المباشر في صفات تلك الشعوب جسديا وثقافيا،وكذلك حالة عزلتها عن غيرها او اتصالها الخارجي بما يجاورها وسنتناول بإيجاز ابرز المظاهر الطبيعية و البيئة وأثرها على المغول والتتر وغيرها من القبائل التي سكنت تلك البقاع.

---

[1] - تشون، التاريخ السري، ص272؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1، ص32؛اقبال،تاريخ المغول ،ص48.

[2] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص87؛ إقبال، تاريخ المغول، ص48؛ ستوف، حياة جنكيز خان، ص91.

[3] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص65.

[4] - إقبال، تاريخ المغول، ص58.

[5] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص76؛ إقبال، تاريخ المغول، ص58؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص5.

[6] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص65؛ إقبال، تاريخ المغول، ص60؛الصياد، المغول، ص51.

[7] - تشون،التاريخ السري، ص136، 141، 200،228؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1، ص52؛ حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة، ص564-569؛ غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص40.

وعلى العموم شغلت تلك القبائل المنطقة [1] التي تقع شمال سور الصين العظيم حول بحيرة بايكال[2]، يحد تلك المنطقة من الشرق منشوريا ومن الغرب جبال التاي اما شمالا فسهول سيبيريا وجنوبا صحراء جوبي [3].

اما هضبة منغوليا الواقعة شمال صحراء جوبي [4] والتي هي موطن المغول الاصلي فتمتد من اواسط اسيا جنوب سيبيريا وشمال التبت وغرب منشوريا بين جبال التاي[5] غربا وجبال خنجان شرقا[6].

و تقسم منغوليا الى قسمين: شمالي غربي مرتفع به جبال كثيرة مثل جبال ستان وتنولا وخنجان بينها توجد هضاب ووديان تغطيها الحصباء، وقسم جنوبي شرقي منخفض يشمل صحراء جوبي التي هي منطقة متموجة واسعة مغطاة بطبقة من الحصباء قد جردتها الرياح من الطين والرمل فتظهر في بعض جهاتها مساحات من الصخور كأنها جزائر في البحار[7].
البحار[7].

اما عن المناخ السائد في منغوليا فهو قاس جدا لدرجة بلوغه اعلى درجات الحرارة وأدنى درجات البرودة ، ويغلب عليه الجفاف الشديد وسرعة تغيره ، فالبرودة هي الغالبة

---

[1] - يقع موقع المغول فلكيا بين دائرتي عرض41، 55 شمال خط الاستواء وخطي طول 118 ،138 شرقا . زياده ،اطلس العالم، ص 66.

[2] - مؤنس، اطلس ،ص 238؛ويلر ،جغرافيا العالم ،ج2 ،ص148.

[3] - الجويني ، تاريخ جهانكشاي ،ج1،ص15؛الصياد ،المغول ، ص30 .

[4] - صحراء جوبي: هي عبارة عن سهل متسع مسطح ومتموج، تغطيه طبقة من الحصباء شديدة الصلابة، إذ جردتها الرياح الشديدة من التربة والرمال حتى ظهرت في بعض جهاتها مساحات من الصخور أشبه بالجزر في البحار، ونتج عن ذلك أن انعدمت الزراعة في أكثر جهاتها ، إذ لم تشاهد إلا في مناطق قليلة ومتفرقة ويحتل هذا السهل معظم منغوليا و فيها المراعي الجافه ، اما اسم جوبي فيعني الفقر والجدب. ينظر: الصياد ،المغول في التاريخ،ص 31 ؛ عبدالعزيز، تاريخ الدولة المغولية، ص11؛فامبري، تاريخ بخارى، ص161؛ ويلر ،جغرافيا العالم الاقليمية،ج 2،ص 149 .

5 - جبال التاي : هي مجموعة سلاسل جبلية مرتفعة تسمى جبال الذهب في آسيا الوسطى، تمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي على امتداد الحافة الغربية للهضبة المرتفعة الواقعة الى الشمال الغربي من منغوليا، ويتجاوز ارتفاع هذه الجبال اثني عشر الف قدم وتمتد على طول الحدود بين كل من روسيا،والصين،و منغوليا، وكازاخستان ، وهي أبرز سلسلة جبال في منطقة سيبريا الغربيّة حيث تنبع مجاري مياه أوب وإيرتش. وتكثر فيها انواع المعادن كالحديد والرصاص والفحم الحجري. ينظر: أوزطونا، يلماز، المدخل الى التاريخ التركي، ص7 ؛الخشاب، آسيا، ص45؛ العريني، المغول، ص6.

6 - الصياد، المغول ،ص30؛ نوار،النظم العسكرية عند المغول ،ص10.

7 - الصياد ، المغول ، ص10.

معظم ايام السنة بسبب طول فصل الشتاء ،حيث تنخفض درجة الحرارة الى 58 درجة تحت الصفر وتشتد الحرارة في فصل الصيف القصير، إذ تصل في بعض الاحيان الى 60 درجة مئوية[1] وما يزيد من قسوة المناخ في منغوليا الرياح العاتية التي تهب عليها معظم ايام السنة[2].

نستنتج من خلال هذه المعطيات ان المناطق الجغرافية المعقدة والبيئة القاسية التي توزع عليها المغول وتواجدوا فيها ،ومجاورتهم لقبائل تشترك معهم بالخصائص والمميزات نفسها كان له أثراً بالغاً في الانعكاس على حياتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وحتى صفاتهم البدنية ، فنشأوا محاربين اشداء، فالإنسان وليد بيئته، ومثل هذه المعطيات ستنفعنا في التعرف على المغول قبل تأسيس الدولة وما صاروا اليه بعد تأسيسها، وهل هم شعب همجي ظلوا على همجيتهم ام كان للحضارات التي هاجموها اثر عليهم؟ وهل ساهموا في تلك الحضارات؟.

سكنت تلك القبائل المتناحرة وعاشت على هوامش المدن المتحضرة، وقد اجمع المؤرخون على سكن المغول في مناطق صحراوية ،وذكر بعضهم ان مناطقهم عبارة عن مناطق جافة وصحاري[3] في وادي غير ذي زرع او في جبال[4] وآجام[5].

ان إحاطة هضبة منغوليا بهذه الحواجز الطبيعية كانت حائلا دون وصول التاثيرات البحرية و المناخية الى المنطقة، فهي باردة شتاءً حارة صيفاً ، قليلة الامطار لذلك وصفت بقسوة المناخ ،ومع تعقد هذه الطبيعة الجغرافية فان معظم الاراضي التي عاش عليها المغول والتتار اراض حمراء غير صالحة للزراعة[6]، فكان لهذا الامر الاثر الاكبر في اتخاذهم نمط حياة الرعي والتنقل والبحث المستمر عن العشب من مكان لاخر[7]، و احتلت تلك

1 - لامب ،جنكيزخان امبراطور الناس كلهم ،ص6؛نوار،النظم العسكرية عند المغول،ص10.
2 - مزبان، النشاط العسكري للتتار، ص13.
3 -محمد،الاجتياح المغولي،ص66.
4 -الجويني ،جهانكشاي،ج1،ص60؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1،ص21؛.محمد ،الاجتياح المغولي،ص66.
5 - الآجَامً جمع أَجَمٍ ، والأَجَمَة الشَّجَرُ الكثير الملتف،او مَنبت الشجرِ . ينظر :ابن منظور ، لسان العرب ،ج12،ص8.
6 -البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة ،ص160.
7 -سراج الدين بن الوردي،خريدة العجائب ،ص149.

المراعي المكانة العليا عندهم ،فكان الحصول على المراعي الافضل والمحافظة عليها سبباً اساسيا للصراعات الحاصلة بينهم[1].

ومن الجدير بالذكر أن حياة التنقل والترحال التي فرضتها عليهم ظروف بيئتهم القاسية استلزمت منهم ترويض أنفسهم على حب المخاطرة ،ومواجهة الشدائد ،وحب الحرب ،والقتال فكانت حياتهم حربا مستمرة مع الطبيعة حيث امدتهم بيئتهم بسلاحين عظيمين هما الصبروالجلد يشهرونه في وجهها وبذلك قوت فيهم صفات المحاربين[2] وغرسوا هذه الصفات في نفوس الاطفال منذ نعومة اظفارهم ، فكانوا يدربونهم على القوس والنشاب وهم في الثالثة من اعمارهم، ويدربونهم على صيد الفئران ،والارانب ،وكان من أوامر جنكيز خان بانه يجب على القادة العسكريين ان يعلموا الصبيان اطلاق السهام وامتطاء صهوات الجياد[3] .

هكذا ينشا الطفل المغولي في طبيعة قاسية، فنشأت اجيال تتسم بالعنف وقوة البأس لتكون اساسا للجيش المغولي[4].

وهذه البيئة القاسية خلفت أثرها كذلك على تكوين أجسامهم وطبيعة تصرفاتهم وشراسة أخلاقهم، حالهم حال عرب الجزيرة العربية، فكانت اجسامهم كثيرة التحمل والصبر في اوقات الشدائد والحروب، الامر الذي جعل من المغول فرسانا بطبيعتهم شهد بشجاعتهم وجرأتهم اعدائهم[5].

رابعاً:معتقدات المغول

العنصر الأهم في حياة الشعوب، هو الدين فلا يمكن للإنسان العيش من دون وجود ما يعبده ويطلب عونه، و في أحيان كِثيرة قد ينبع الدين من بيئة الأنسان نفسها، أو نتيجة للاحتكاك بغيره من الناس، أما بخصوص المغول فإن البيئة المنعزلة التي سكنوها كانت

1 - محمد،الاجتياح المغولي،ص66.
2 -الغامدي ،سقوط الدولة العباسية،ص56.
3 - نوار،النظم العسكرية عند المغول وفنونهم الحربية،ص16.
4 - ستوف ،حياة جنكيز خان ،ص138.
5 - فهمي،تاريخ الدولة المغولية في ايران،ص26.

مانعًا لأي مؤثرات دينية وحضارية خارجية ، لذا نجد أن معتقداتهم كانت نابعة من بيئتهم ومرتبطة بالطبيعة التي ألقت بأثرها عليهم ثم تأثروا بديانات أخرى فيما بعد عندما انفتحوا على من جاورهم[1] ومن هذه الديانات:

أ: الشامانية: تعد الديانة الشامانية من الديانات القديمة التي انتشرت في آسيا الوسطى والشمالية ويذكر أنها عرفت في الصين منذ القرن الرابع ق.م ومنها انتشرت[2] ، والشامانية في أساسها تقوم على الاعتراف بإله في السماء[3] يدعى (تنجري)[4] تخضع له السماوات والارض[5] ويسيطر على قوى الخير والشر، وإلى جانب هذا الإله، قدّسوا آلهة أخرى أقل منه مرتبة، اتخذوها كواسطة بينهم وبين الإله تنجري[6]، منها آلهة الشر، فقربوا لها القرابين اتقاءً لشرها، وآلهة الخير لتمنحهم السعادة والخير[7].

واختلفت المصادر حول طبيعة الديانة الشامانية، هذا الاختلاف عبر عنه الرمزي بصورة جلية عندما قال:**"نسبهم البعض إلى الوثنية، وآخر الوثنية الشامانية، وبعضهم إلى عبادة الشمس والكواكب وسائر الأجرام العلوية، وبعضهم إلى عدم الديانة مطلقًا"**[8]، وهو رأي بعض المؤرخين المسلمين، فقد ذكروا أن ديانتهم وثنية قائمة على الشرك بالله، قال ابن الأثير:

---

1 - يلاحظ بحكم الطبيعة الجغرافية المتنوعة التي عاش بها المغول وحياة الترحال تأثر القبائل القاطنةعلى حدود الصين بالمعتقدات السائدة عندهم كالبوذية وغيرها،أما القبائل القريبة من موطن القبائل الترك كقبائل الايغور والكراييت فقد تأثرت بالمسيحية والشامانية. وبحكم نظامهم الاجتماعي القائم آنذاك على شكل قبائل وعشائر هذا الامر جعلهم يقبلون معتقدات وأديان مختلفة في الوقت نفسه،فلم يكن هناك ديانة او معتقد يوحدهم.ينظر: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص226؛ الرمزي، تلفيق الاخبار، ج1 ، ص356؛ سوريال، تاريخ المسيحية، ص319؛ شبولر، بيرتولد، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص 20؛ عمران، المغول وأوربا، ص31.

2 - كدرو، موقف المغول الإيلخانيين من العقائد والمذاهب ص45؛ مزبان، النشاط العسكري للتتار، ص72.

3 -تشون، التاريخ السري، ص348؛ دائرة المعارف الاسلامية، ج6، ص175.

4 -تنجري: لفظة مغولية-تركية تدل على إله اوالسماء ،وهي كلمة مستعملة لتعبر عن الإله بصفته إلهاً سماويًا ، استخدمه الوثنيون لتعيين آلهتهم وربهم الأعلى، وقد احتضنته الترك والمغول تباعا.ينظر:مريسيا ، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية،ج3 ،ص9-10.

5 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص335؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص310؛ العريني العريني المغول، ص34.

6 - حسن، المعتقدات الدينية عند المغول، ص411؛ الخالدي، العالم الإسلامي والغزو المغولي، ص33.

7 - ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص251.

8 - تلفيق الأخبار، ج1، ص39.

"وأما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئاً"[1]. وأشار القزويني[2] أيضاً أيضاً إلى سجودهم للشمس، وكذا ذكر ابن كثير[3]، والسبكي[4]، ومثله الديار بكري حيث قال عن ديانتهم: **"ودينهم الكفر دين جاهلية أعراب الترك وأكثرهم يعبدون الشمس وبعضهم مجوس وبعضهم يعبدون الأصنام"**[5]، ومن المحدثين من تبنى ما ذكر في المصادر الإسلامية ونقل عنها كفؤاد الصياد[6] إذ قال: **"إن المغول اعتقدوا بإله الشمس وإله القمر وإله الرعد"**، وكذا ذكر الغامدي وعبد السلام فهمي وآخرون[7] .

بينما ذهب بعض المؤرخين إلى أنهم موحدين، كابن واصل إذ قال :**"لا يدينون بدين غير أنهم يعترفون بالصانع سبحانه وتعالى ويعظمونه"**[8]، وكذلك المستشرق أرنولد حيث قال :**"كانت الديانة القديمة للمغول على زعم اعترافهم بأنه عظيم قادر، وعلى الرغم من ذلك فإنهم كانوا يعبدون طائفة من آلهة المنحطة"**[9].

أما الرحالة ماركو بولو الذي زار البلاط المغولي سنه 670هـ - 1271م، وعاش فيه سبعة عشر سنة، أشار إلى عقيدتهم بالقول: **"يؤمن المغول بإله ذات طبيعة سماوية وهم يحرقون له البخور في المباخر ويرفعون إليه الصلوات ويعدونه رباً يتولى حصانة شؤونهم الدينية"**[10].

مما سبق نجد أن هناك رأيين متباينان حول ديانة المغول، الرأي الأول الذي تبناه أغلب مؤرخي الإسلام، ومفاده أنهم على الشرك والسجود للكواكب، وربما يعود السبب في هذا الوصف إلى الأعمال الهمجية للمغول عند احتلال المدن الإسلامية، فنجدهم يذكرون أنهم مشركون أو يعبدون الأجرام دون التطرق إلى الإله تنكري، في حين يفيد الرأي الآخر أنهم

---

[1] - ابن الأثير، الكامل ، ج10، ص335.
[2] - آثار البلاد وأخبار العباد، ج2، ص581.
[3] - البداية والنهاية، ج17، ص161.
[4] - طبقات الشافعية، ج6، ص275.
[5] - تاريخ الخميس، ج2، ص368.
[6] - المغول في التاريخ، ص335.
[7] - الدباغ، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية، ص93 – 95 ؛ زكار،أخبار المغول لدى معاصريهم من المؤرخين،ص353؛الغامدي، المغول،129؛ فهمي، الدولة المغولية في إيران، ص25.
[8] - مفرج الكروب، ج4، ص36.
[9] - الدعوة إلى الإسلام، ص251.
[10] - رحلات ماركو بولو، ج1، ص141.

موحدون. ومن البحوث المتأخرة للمحدثين التي تناولت هذا الموضوع بحث حول الشامانية للدكتور أحمد فرطوس حيدر، أكد فيه على أن أصول الشامانية هي عبادة الإله تنغري فيقول: **"إن الشامانية ظاهرة دينية وتأملات فلسفية يقوم بها الكهنة الشامان تجاه الإله الأكبر تنغري"**[1] مؤكداً على أن أصول هذه الديانة هي عبادة الإله تنغري مستدلًا على ذلك بما نقلته نقلته المصادر الصينية والأوروبية، فضلاً عما كتبه الرحالة الأوروبيون الذين زاروا منغوليا، ومنهم المسيحي وليم الروبروك الذي زار منغوليا سنة 641هـ - 1253م مبشراً بالمسيحية من قبل البابا، الذي عرض المسيحية على رابع خانات المغول منكوخان 647-655هـ لكن الامبراطور رد عليه رافضاً بقوله: **"إننا نحن المغول نعتقد بوجود إله واحد له نحيا وله نموت وعندنا قلب يخفق له، لكن الله الذي أعطى اليد أصابع مختلفة كذلك أعطى طرقاً مختلفة في العبادة"**[2]، ثم يخلص إلى القول بأن :**"العقيدة الشامانية تعتقد بوجود إله واحد وأن تقديس الظواهر الظواهر الطبيعية لم يكون سوى الخوف منها بفعل تفشي ظواهر الخرافات في المجتمع المغولي"**[3]، وهذا الرأي يمكن الركون إلى صحته ومن ثم قبوله على الرغم من كونه بحاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

وصفوة القول: إن العقيدة الشامانية هي التي كانت سائدة بين المغول، وهي نوع من التوحيد الناقص؛ لاعترافهم بوجود آلهة متعددة ذات مرتبة أقل، فمسألة تقديس الشمس والمظاهر الطبيعية كممثل للقدرة الإلهية، كما أن استخدام الأوثان والطقوس السحرية كان لطرد الأرواح الشريرة.

ب: البوذية: وتعد إحدى الديانات القديمة الكبرى من حيث سعة انتشارها وكثرة أتباعها، نشأت في الهند منذ القرن السادس قبل الميلاد[4]، وتسميتها بهذا الاسم جاءت نسبة إلى

[1] - حيدر، أصول العقيدة الشامانية، ص70.
[2] - حيدر، أصول العقيدة الشامانية، ص72.
[3] - حيدر، أصول العقيدة الشامانية، ص72.
[4] - الدباغ، نظم المغول، ص103.

مؤسسها بوذا بن سفود ملك قبيلة السكايا التي كانت تعيش على سفوح جبال الهملايا، ثم تحول الاسم إلى لقب ويعني حاكم، أوعاقل، أوعالم[1].

والبوذية عبارة عن تعاليم دينية تدعو إلى السلم والتعايش مع باقي الديانات الأخرى، قامت كحركة اجتماعية رافضة للطبقية وآمنت بالبساطة[2]، ومن الضروري أن نشير إلى أن تعاليمها تدعو إلى الوسطية بين الشهوات والزهد[3]. وانتشرت بشكل كبير في أوساط المغول أواخر القرن السادس الهجري بفضل جهود رهبان التبت[4]، إذ اعتنقها أكثر أفراد قبيلة الإيغور، وعندما اختلط بهم المغول اعتنقت طائفة منهم البوذية[5].

ج : النسطورية: نسبةً إلى نسطوريوس الذي ولد في القرن الرابع الميلادي ثم صار بطريكا في القسطنطينية سنة 428م[6]، والذي تبنى رفض فكرة أن مريم العذراء والدة الإله أي رفض فكرة الطبيعة الواحدة واتحاد الإله والابن في جسد واحد، بل طبيعتين بشرية وكلمة الله أي ولدت انسانا و اتحد به بالمشيئة لا في الذات [7]، لكن أفكاره رفضت فخلع عن كرسي البطريركية ونفي حتى مات[8]، ومن بعد ذلك استطاع أتباعه نشر مذهبه في الشام والعراق ومنها إلى خراسان وما وراء النهر[9] ونشط المبشرون والتجار في انتشارها حتى وصلت إلى ضفاف بحيرة بايكال، حيث وجد المبشرون البيئة المناسبة لهم في الشرق الأقصى

---

[1] - الدباغ، نظم المغول، ص103؛شلبي، الهند الجينية والبوذية، ص19.
[2] - الياس، الموسوعة الكبرى للمذاهب، ج2، ص138.
[3] - الدباغ، نظم المغول، ص103.
[4] - ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص252؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص335.
[5] - إقبال، تاريخ المغول، ص120.
[6] - إلياس، الموسوعة الكبرى للمذاهب، ج2، ص166.
[7] -ابن خلدون،العبر،ج1،ص244؛ إلياس، الموسوعة الكبرى للمذاهب، ج2، ص170؛ رستم، الفرق والمذاهب المسيحية، ص27.
[8] - ينحصر المذهب الان في طائفة الكلدان في العراق. ينظر: إلياس، الموسوعة الكبرى للمذاهب، ج2، ص178؛سوريال، تاريخ المسيحية، ص206؛النشار ، فلسفة التاريخ ونشأتها،ص257.
[9] -اقليم ما وراء النهر:هي المنطقة السهلية الخصبة الواقعة بين نهري أمو دريا(جيحون) وسير دريا(سيحون)اللذان يصبان في بحر ارال (خوارزم)، والشاطئ الايسر لنهرسيحون يشمل طخارستان والختل هذه البلاد اطلق عليها العرب قديما بلاد ماوراء النهر ، والتي تقسم الى ستة اقاليم هي : الصغد، وخوارزم، وطخارستان، وفرغانة، واشروسنه ،و الشاش. ينظر: المقدسي ، احسن التقاسيم،ص360؛ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج5،ص422؛بارتولد ، تركستان،ص145؛شلبي،موسوعة التاريخ الاسلامي،ج8،ص582.

ولاسيما بعد اعتناقها من قبل زعيم قبيلة الكيريت وأفراد قبيلته[1]، ثم انتشرت بين أفراد قبيلة الإيغور والنايمان[2]. وفي ضوء ما تقدم نجد أن المغول قد عرفوا كثيراً من المعتقدات والأديان، وساروا على تعاليمها، إلا أنهم بعد أن احتكوا بالمسلمين، أخذ الإسلام يطغي على تلك الديانات، ويحل محل معظم تلك المعتقدات.

خامساً:حياة جنكيز خان:

جاء في كتاب التاريخ السري ولدت أولان زوجة يسوغاي طفلًا على الضفة اليمنى لنهر الأولون عند سفوح جبل ديليؤن بولداق[3]، وهي منطقة تتبع روسيا اليوم[4].

وقد اختلف الباحثون في سنة ولادته بين سنة 561 هـ/ 1167م، وبين السنة 549هـ/ 1150م [5]، والأغلب ذهب إلى ترجيح السنة الأخيرة[6]. وكانت ولادته في الوقت الذي قبض فيه والده على تيموجين قائد التتر وأسره فسمى ابنه تيموجين[7]، وقد جرت عادة المغول على تسمية أولادهم بأسماء حوادث جرت معهم وتيموجين تعني الصلب الشديد[8]، ويرى بعضهم أن هذا الاسم في اللغة المغولية القديمة يعني الحداد[9].

---

[1] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص226؛ سوريال، تاريخ المسيحية، ص319؛ عمران، المغول وأوربا، ص31.

[2] - الرمزي، تلفيق الأخبار، ج2، ص39؛ غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص248.

[3] - تشون، ص139؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج1، ص73.

[4] - إقبال، تاريخ إيران، ص 348؛ الجاف، موسوعة تاريخ إيران، ص247؛ستوف، حياة جنكيز خان، ص 25 ؛ مرجونة، المغول والحضارة، ص 64.

[5] -لم نستطع ان نرجح لافتقار كلا الرأيين الى ادلة قاطعة.

[6] - إقبال، تاريخ إيران، ص348؛ بروي، تاريخ الحضارات،ج3، ص360؛ الجاف، موسوعة تاريخ إيران، ص247؛ رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص409 ؛ستوف، حياة جنكيز خان، ص25؛ العريني، المغول، ص44؛ مرجونة، المغول والحضارة، ص64 .

[7] - تشون،التاريخ السري، ص139؛ صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج5، ص4؛لامب، جنكيز خان وجحافل وجحافل المغول، ص9؛ لاين، عصر المغول، ص34- 35مرجونة، المغول والحضارة، ص64؛ النجار إمبراطورية المغول، ص43.

[8] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص336؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1، ص18؛ القرماني، أخبارالدول، ج3، ص188؛ صفا، تاريخ أدبيات إيران، ج5، ص4؛ عمران، المغول وأوربا، ص31؛ لامب، جنكيز خان وجحافل المغول، ص9؛ لاين جورج، عصر المغول ، ص35؛ مرجونة، المغول والحضارة، ص64؛ النجار، امبراطورية المغول، ص43 .

[9] - النويري، نهاية الأرب، ج26، ص300؛ستوف، حياة جنكيز، ص33.

حرص والده على تكوين شخصيته القوية بإعداده منذ صغره ليكون وريثاً له، فكان يسرد له قصصاً عن بطولات أجداده[1]، فضلاً عما كان يراه هو من قتال والده المستمر دفاعاً عن أملاكه، وكانت تخضع له كثير من القبائل وتدفع الأموال[2]، وعندما بلغ عمر تيموجين التاسعة اصطحبه والده وخطب له بنت صديقه أحد زعماء قبيلة الاونغيرات[3]، وفي طريق العودة مرض الأب ومات سنة 572 هـ/ 1176م؛ بسبب دس السم له على يد أحد التتار[4].

وبعد وفاة الوالد تخلت القبيلة عن أسرة زعيمها وتركتهم في البراري بعد أن التفت حول خصوم يسوغاي زعيم قبيلة التايجوت وجعلوه زعيماً عليهم[5]، فأصبح الوضع الذي صار إليه سيئاً جداً،ولاسيما بعد عصيان قبيلته وتمردها عليه على الرغم من كونه الوريث الشرعي، فسار بأسرته مع القليل ممن بقي من أفراد قبيلته وأخذوا يعتاشون على الصيد مدةً من الزمن[6]. وعندما انحل الحلف الذي كان يرأسه يسوغاي والتفوا حول زعيم مغولي آخر لم يكن يشعر بالاطمئنان، لوجود وريث شرعي للزعامة، فأخذ يطارده حتى ألقى القبض عليه لكنه بطريقة أو بأخرى استطاع الهرب منه[7].

إن هذه الحادثة إضافة إلى حوادث سبقتها جرت عليه من تشريد وهروب من مكان إلى آخر وسرقة خيوله، ناهيك عن معانته من ضنك العيش نتيجة تفرق قبيلته عنه[8]، وغير ذلك من من الظروف القاسية حفّزت همة جنكيز خان وجعلته يفكر بجدية في العمل على استرجاع

---

[1] - لامب،جنكيز خان وجحافل المغول، ص14- 15؛ لامب،جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص10- ص10- 11.

[2] - العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج1، ص74؛ لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص10.

[3] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج 1، ص337؛ لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص10- 11.

[4] - تشون، التاريخ السري، ص 148؛ رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص412؛ النجار، امبراطورية المغول، ص44.

[5] -الرمزي، تلفيق الأخبار، ج1، ص348؛ النجار، امبراطورية المغول، ص45.

[6] - تشون، التاريخ السري، ص134- 147 .

[7] - بخيت، تاريخ المغول، ص37؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص43؛غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص70؛ لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص15-16.

[8] - تشون، التاريخ السري، ص150- 156؛غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص71 - 75 .

إرث والده، باعتباره الوريث الشرعي الذي ينبغي أن يخلفه في السيطرة على قبيلته وباقي القبائل التي كانت من ضمن الحلف الذي كان يرأسه والده.

والذي يشهد لجدية جنكيزخان في سعيه لانتزاع حقه ولو بصورة وحشية ما ذكر من إقدامه على قتل أحد أخوته لسرقته سمكة منه، فوصفته أمه منذ الصغر بالوحش الضاري[1]، وهذه الحادثة تكشف عن علو همته وبعد مراميه منذ صغره والسعي إلى تحقيق غاياته ولوكان بأبشع وجه.

وذكر بعضهم أنه عند ولادته تنبأ له احد الكهنة الشامان بأنه سيكون ملكًا على جبهته آثار السطوة والغزو[2]. كل هذه الأمور صقلت شخصيته وجعلته يفكر جديًا في استعادة إرثه فعمل على ذلك بخطوات أقل ما يقال عنها أنها ذكية ومدروسة .

[1] - لامب، جنكيزخان امبراطور الناس كلهم، ص110 ؛ النجار، امبراطورية المغول، ص44.
[2] - تشون، التاريخ السري، ص 148؛ ابن خلدون، الخبر عن دولة التتر، ص136؛ ستوف، حياة جنكيز جنكيز خان، ص25؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج1، ص73؛ كيتشانوف، حياة تيموجين، ص85 -87.

الدولة المغولية (603-769هـ /1205-1368م)

المبحث الأول
****
تأسيس الدولة وتنظيمها ومقومات قوتها

المبحث الثاني
****
الغزوات الخارجية للمغول في عهد جنكيز خان

المبحث الثالث
****
واقع الدولة الاسلامية قبل حركة المغول
(232-656 هـ /847-1258م)

المبحث الأول

تأسيس الدولة وتنظيمها و مقومات قوتها

استطاع جنكيز خان بجهوده الفردية أن يحول مجتمعاً بدائياً منعزلاً عن كل أسباب التحضر إلى دولة منظمة متماسكة على الوجه الذي مكنه من اجتياح مساحات شاسعة من شرق آسيا وشمالها ومعظم البلاد الإسلامية؛ لذلك تعد شخصيته علامة فارقة في حركة التاريخ.

قال رشيد الدين الهمذاني بهذا الخصوص في مقدمة كتابه[1]: **"إنه بواسطة التاريخ يعلم ابتداءً كل ملة وأول كل دولة وإن ظهور جنكيز خان كانت أعظم حادثة في هذا الزمان؛ لهذا كانت جديرة بالتاريخ، إذ أنه في زمن يسير فتح بلاد كثيرة وقهر جبابرة وكسرهم بأيدي بطشه وأورثها أولاده وأحفاده"**.

وأشار فامبري لجهوده في تحقيق أهدافه قائلًا :**"برهن أنه صاحب أطماع وإرادة حديدية وعزم مكنه تمام التمكين من أن يطوع بني جلدته البدائية الخشنة إلى أداة صالحة أمدته بتلك القوة التي اجتاح بها العالم إلى ما وراء حدود مراعيه بكثير"**[2].ومرت عملية تأسيس الدولة بثلاث مراحل تباعاً، وعمل جنكيز خان على تحقيق ذلك بتوحيد القبائل تحت سلطانه أولاً[3]، ومن ثم توجه خارجياً صوب الصين شرقاً وغرباً باتجاه خوارزم.

المطلب الأول: مرحلة توحيد القبائل (591هـ -603هـ/ 1194-1206م)

قرر جنكيز خان العمل بمفرده لتحقيق أهدافه، على الرغم من أنه كان بإمكانه الاستعانة

---

[1] - الصياد ، المغول في التاريخ ،ص13 نقلا عن جامع التواريخ(التاريخ الغازاني)صورة شمسية ، دار الكتب المصرية ،تحت رقم 1889،ورقة 21.

[2] - تاريخ بخارى، ص162.

[3] - جرت محاولات عديدة من قبل أجداد جنكيزخان لتوحيد القبائل المنغولية قبل ظهور جنكيز غير أنها ذهبت أدراج الرياح، منها محاولات بدونسار وأبنائه ثم محاولة مينين تودون حفيد ودنسار ثم قا يدو وغيرهم، وقد حدث أن توحدت تلك القبائل في حالات كثيرة غير أن هذه التحالفات تعود إلى الخصومة والانقسام والفوضى والصراع القبلي وسرعان ما تزول. ينظر : الباز، المغول، ص39؛ بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد، ص21- 28؛غروسيه، جنكيزخان، ص15- 32.

بطغريل زعيم قبيلة الكرايت القوية والغنية الذي كان صديقـًا لوالده[1]، إذ تـآخى معه وكـان ليسوغاي فضل في تثبيت سلطة طغريل وتمكينه من بسط نفوذه [2].

وكان باستطاعته طلب المعونة من قبيلة خطيبته بوتاي كذلك، إلا إنه كان عنيداً ولم يطلب المساعدة من أي منهما أول الأمر، وقال في ذلك:" **إن زيارة المفلس لأصدقائه لا تجلب غير العار والاحتقار**"؛ لذلك قرر أن لا يزورهم إلا كحليف وند لهم [3].

ومن أجل حماية عائلته ومستقبلهم في ظل هذه الظروف الصعبة قرر أن يأخذ مكان والده في الزعامة كما ذكرنا سابقاً، ولأجل تحقيق هذا الهدف يجب عليه محاربة أعدائه فعمل على ذلك بخطوات:

أ : عندما بلغ سبعة عشر عاماً جمع عددًا من الأتباع والفرسان من قبيلته ثم نجح في جذب شخصيات كبيرة من قبيلته إلى جانبه[4] ممن توسم فيه الزعامة، وبذلك أخضع قبيلته قيات لزعامته وسلطته، ومن رفض منهم قاتله قتالًا شديدًا[5].

وبعد أن جمع قبيلته تحت سلطانه توجه إلى مضارب زعيم قبيلة القنقرات يطالب بخطيبته التي خطبها له والده قبل وفاته كما ذكرنا، فأعجب به وبجرأته وزوجه ابنته[6]. وبهذا يمكن القول أن جنكيز خان بزواجه استطاع ان يكسب ود زعيم قبيلة القنقرات ويجعله بجانبه .

ب: على الرغم من أن قبيلته تمتاز بالشجاعة إلا أنها تعد من أقل القبائل عدداً، لذا عمل جنكيز خان على أن يحصل على حماية ومساعدة الأقوى تعزيزاً لمكانته في المنطقة

---

[1] - حمد الله مستوفي، تاريخ كزيدة، ص272؛ ستوف، حياة جنكيز خان، ص48 ؛العريني، المغول، ص50.

[2] - تشون ، التاريخ السري ،ص158.

[3] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص31.

[4] - الصياد، المغول في التاريخ، ص45؛ العزاوي، تاريخ العراق، ج1، ص75؛،النجار، امبراطورية المغول، ص47.

[5] - الصياد، المغول في التاريخ، ص45؛العزاوي، تاريخ العراق، ج1، ص75؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص30؛ النجار، امبراطورية المغول، ص47.

[6] - ستوف، حياة جنكيز خان، ص48- 49 ؛ كيتشا نوف، حياة تيموتشجين، ص10؛لامب، جنكيز خان وجحافل المغول، ص30؛لامب،جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص21؛.

وليكتسب القوة لتوسيع نفوذه[1]، فتوجه إلى قبيلة الكرايت[2] وزعيمها طغريل صديق والده الأقدم وقدم له هدية وطلب منه التحالف معه بعد أن ذكره بما لأبيه عليه من يد بيضاء[3]، وفعلًا قرر طغريل المساعدة والوقوف إلى جانبه وحمايته لاستعادة ملك والده على الرغم من عدم حاجة طغريل للتحالف معه، إلا أنه أراد رد جميل والده عليه قائلًا له:" **إنني سوف أجمع لك شعبك الذي هجرك شعبك الذي تشتت في مختلف الاصقاع ومقابل معطف السمور الاسود أنا سأوحده حتى آخر رجل وسيبقى هذا الوعد قائما في قلبي"**[4]، وأخذ يعتبره كابن له، وبالمقابل تعهد تيموجين بمساعدة طغريل ضد أي حركة تمرد أو اعتداء ضده[5]. وأثبت تيموجين ذكائه في هذه الخطوة فتحالفه مع قبيلة الكرايت يعني الحماية والقوة لتعزيز مكانته وقوته فهي إحدى القبائل القوية وذات سيادة على أجزاء واسعة من الأراضي المغولية، واستمر الحلف إلى 600 هـ / 1203م، وخلال هذه المدة استفاد تيموجين كثيراً من التحالف مع الكرايت، فبفضله تمكن من الانتصار على معظم القبائل المغولية حسب ما وعده طغريل[6].

طغريل[6].

فُعّل هذا الحلف عندما هاجمت قبيلة الماركيت مضارب تيموجين الذي استطاع النجاة منهم لكنهم أسروا زوجته بوتاي مع بعض النساء حيث كان لقبيلة الماركيت ثأر مع والده منذ ثمانية عشر عاماً عندما خطف منهم أولوان أم تيموجين ليلة زفافها وتزوجها رغماً عنهم[7]،وقدم له طغريل المساعدة فعلاً، كما ساعده صديقه جاموكا[1] وشكلوا جيشاً بلغ

---

[1] - ميرا خواند، روضة الصفا، ج5، ص48.

[2] - الكيرايت: هي واحدة من خمسة اتحادات قبلية مغولية أو تركية مهيمنة في منطقة ألتاي سايان ومؤسسها هو أونك خان رئيس قبائل الكرايت (الكريت) والساتيز، وكان ذا قوة ومكانة تفوق غيرها من القبائل، وتمتاز قبيلته بالعدة والعتاد والعدد. ينظر: العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، مج 3، ص102.

[3] - تشون ، التاريخ السري ،ص 158؛بخيت، تاريخ المغول، ص40.

[4] - تشون ، التاريخ السري ،ص160.

[5] - الصياد، المغول في التاريخ، ص45؛غروسيه، جنكيز خان، ص84.

[6] - بخيت، تاريخ المغول، ص41؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص45؛غروسيه، جنكيز خان، ص84؛. ص84؛.

[7] - تشون،التاريخ السري، ص160- 170؛ غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص87؛ فهمي ، تاريخ دولة المغول، ص29؛ المرسي، المغول، ص44؛ ميرا خواند، روضة الصفا، ج5، ص48.

قوامه الأربعون الفاً [2]انتصر به تيموجين على الماركيت وأنقذ زوجته[3].وكان لهذا النصر قيمته المادية والمعنوية، فهو أول نصر يحرزه على أعدائه[4]، وبعد هذا النصر عاد طغريل إلى الغابة السوداء قرب نهر توأولا[5].

أما تيموجين وجاموكا فقد نصبوا معسكراً لهم في وادي قورقوناق[6] وجددوا ميثاق الصداقة ودخلت قبيلة تيموجين في قبيلة جاموكا واستمر الحال قرابة السنة والنصف ثم زالت تلك الصداقة لأسباب تشير للصراع الطبقي في مجتمع المغول[7]، ففي أحد الأيام أمر جاموكا تيموجين بأن يخيم في منطقة منفصلة عن قبيلته فشعر الأخير بالإهانة واستشار والدته التي بينت له أن جاموكا لم يعد مرتاحاً لوجودهم وأن عليهم المغادرة لئلا يحدث ما لا يحمد عقباه[8].

وهكذا غادر أفراد قبيلته وانضم إليه الكثير من أفراد العشائر ممن كان يتبع جاموكا وانفصلوا عنه وكان ممن انضم إليه التان وقوجار و ساجايكي وهم من زعماء القبائل التي تجري في عروقهم الدماء الملكية وأقسموا له يمين الإخلاص ثم أعلنوه خاناً عليهم[9]، أي ملكاً[10]، وبعد ذلك اعترف به خاناً من قبل كل من طغريل خان الكريت، وامبراطور كين في الصين[11]، وفي التاريخ السري أطلقوا عليه اسم جنكيز خان[12].

---

[1] - جاموكا: هو أحد أفراد قبيلة الجاجيرات في وادي قورقوناق ،كان قد آخى تيموجين عندما كان عمره احدى عشر سنة ، ولكن العلاقة ساءت بينهما فيما بعد وقضى علية بعد ذلك. ينظر : تشون،التاريخ السري، ص173.

[2] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص118؛ ستوف، حياة جنكيز خان، ص56-57.

[3] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص31؛ ميرا خواند، روضة الصفا، م5، ص48.

[4] - التاريخ السري ص 175- 184؛ غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص90-100؛ مارشال، عاصفة من الشرق، ص24.

[5] - تشون،التاريخ السري، ص186.

[6] - تشون،التاريخ السري، ص152.

[7] - تشون، التاريخ السري، ص188-189؛محمد ،الاجتياح المغولي،ص82.

[8] - تشون، التاريخ السري، ص189؛ المرسي، المغول، ص46.

[9] - تشون،التاريخ السري، ص159؛محمد الاجتياح المغولي ،ص346.

[10] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص583.

[11] - فهمي ، تاريخ الدولة المغولية، ص31؛ ميرا خواند، روضة الصفا، ج5، ص48 .

[12] - تشون،ص160.

إن رواية انتخابه خاناً وتلقيبه بلقب جنكيزخان التي وردت في التاريخ السري للمغول لم تحدد تاريخ ذلك، إنما ذكرته مقترناً بانتهاء السنة والنصف التي قضاها مع جاموكا بعد انتصاره على الماركيت[1]، في حين ذكرت بعض المصادر، إن تيموجين اتخذ لقب جنكيزخان بعد انتصاره على الكيريت سنة 600 هـ 1203م[2]، أو بعد القضاء على النايمان سنة 603 هـ/ 1206م [3]عندما عقد القوريلتاي[4].

ويبدو من خلال الاطلاع على تلك الأخبار أنه لا تعارض بينها، فالأولى أشارت إلى اتخاذه خاناً، ولقب خان تسمى به غيره كخان الكرايت وغيره، ولكونه لا يزال في مرحلة توحيد القبائل، وهي الخطوة التي سعى لها أولاً، ولفظة خان لا تعني الرجل الأوحد أو الخان الأعظم، ولو كانت كذلك لما أيده كل من طغريل لأنه سيكون تابعاً له، وكذلك لن يحظى بتأييد خان الصين الذي كان يعمل على عدم توحد قبائل المغول، بل كان له أن يضرب بعضهم بالآخر ليضمن استقرار امبراطوريته كما فعل عندما استعان بتيموجين وطغريل في مسألة إخضاع التتر الذين تمردوا عليه، ويشهد لهذا أن جاموكا عندما شكل تحالفاً من بعض القبائل ضد تيموجين وأطلقوا عليه لقب غورخان (خان الخانات) شعر تيموجين وطغريل بالإهانة، فكيف يقبلها طغريل من تيموجين؟ إضافةً إلى ذلك فإن لفظة جنكيز تشير إلى معاني القوة لا تدل على أنها خان أعظم، فقد فسرت على أنها تعني الملك كما هو رأي ابن خلدون[5] أو معنى الثابت أو الجبار[6] أو القوي[7]، إضافةً إلى ما ذكره ابن العبري

---

[1] - تشون، ص198.
[2] - فهمي ، تاريخ الدولة المغولية، ص32.
[3] - شبارو، السلاطين في المشرق العربي، ص32؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص48-49؛ غنيمات، الجيش المغولي، ص35.
[4] - القوريلتاي: هو مجلس النبلاء ومجلس الحكم عند المغول يعقد لتنصيب القادة بحضور كبار القوم أو هو اجتماع لتنصيب القانات. ينظر: العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص 129؛ ستوف، حياة جنكيزخان، ص100- 101.
[5] - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج5، ص583.
[6] - فامبري، تاريخ بخارى، ص162.
[7] - غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص107.

والجويني [1] بأن المفردة ذات دلالة دينية أطلقها عليه أحد الشامان وتنبأ له بأنه سيكون ملكاً، فإن المفردة لا تشير إلى معنى سياسي، إنما إلى القوة والدلالة الدينية.

ولا يمكن عدّ ذلك بداية تأسيس دولته، وإنما كانت البداية عندما أخضع قبائل منغوليا جميعها لسلطانه ومن ثم دعوته إلى اجتماع القوريلتاي سنة 603 هـ/ 1206م ، عندها يمكن أن نقول بأنه قد بذر البذرة الأولى لدولته، حيث دعا المجلس للانعقاد إضافةً إلى بعض الأعمال التي قام بها من إصلاحات أو تنظيمات داخلية وتشريعية كدستور الياسا[2] وغيرها من الأمور التي تخص تنظيم المملكة[3].

وبعد هذا الاعتراف سعى لمواصلة خطة والده في التوسع على حساب المناطق المجاورة وفرض سيطرته، ثم جاءت الفرصة سنة 591 هـ/ 1194م ليتوسع أكثر عندما طلب أمبراطور الصين الشمالية كين من طغريل القضاء على تمرد أحد أمراء التتار، حيث كان الامبراطور يستعين بهم- أي التتار- كشرطة لحراسة حدود الامبراطورية ضد هجمات القبائل المغولية وإضعافهم[4]، واستجابةً لطلب الامبراطور طلب طغريل مساعدة تيموجين للقضاء على هذا التمرد.هذا التحول في سياسة أسرة كين[5]، عندما حرص ملكهم على

---

[1] - تاريخ مختصر الدول، ص226؛ تاريخ فاتح العالم، ج1، ص71.

[2]- الياسا: هي كلمة مغولية-تركية تأتي بمعنى حكم اوقاعدة وقانون وتكتب بصورة مختلفة في الكتب العربية والفارسية فنجدها مرة ياسا، ومرة اخرى ياسه، ويساق، وياساق، ويسق، والمقصود بها هنا القوانين التي اقرها جنكيز خان والتي استنبطها من عادات المغول وتقاليدهم القديمة، وهي قوانين صارمة اتخذت كدستور للامبراطورية. للمزيد ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص 16-22؛ أبن تغري بردي، النجوم الزاهرة ،ج6 ،ص 286 .

[3] - الجويني، جهانكشاي، ص62- 68؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 3، ص106- 107؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص314- 316 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص33- 37؛ مرسي، المغول، ص57 .

[4] - المرسي، المغول، ص50.

[5] -درجت أسر صينية عديدة على سياسة الإيقاع بين الزعماء والقبائل فاستمالوا التتار ثم تحولوا عنهم إلى إلى المغول بعد تمرد التتر عليهم، ومنها أسرة كين و هي من الأسر الصينية التي حكمت الصين، وهي اسرة من قبائل الجورشن استطاعوا سحق أسرة لياو الخيتانية التي كانت تسيطر على شمال الصين وحلو محلهم سنة509هـ/1115م اضافة الى املاكهم في منشوريا ومنغوليا، اتخذوا من بكين عاصمة لهم والتي سقطت بيد جنكيز خان عام 612هـ/1211، بعدها استسلمت الاسرة نهائيا عام1234م. ينظر:بخيت،تاريخ المغول،ص7؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص21.

التحالف مع المغول وطغريل خان الكرايت الذي أنعم عليه بلقب وانج بعد الانتصار على التتر[1]، وجد تيموجين في ذلك فرصته الذهبية للانتقام من أعدائه القدامى الذين دسوا السم لوالده، ونجح في هزيمتهم وقتل قائدهم، وهكذا بسط سيطرته على مناطق واسعة من إقليم منغوليا تمتد إلى شمال صحراء جوبي حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتر بمساعدة طغريل وحاكم الصين الشمالية امبراطور بكين[2]. ثم عمل على إخضاع سائر جيرانه من القبائل الأخرى معبراً عن ذلك بقوله:" **سوف أبسط نفوذي على جميع جيراننا**"[3].

بعد أن نجح في مهمته ضد التتار عاد إلى دياره سنة 594هـ/ 1197م لكنهم استطاعوا تنظيم صفوفهم وشكلوا تحالفاً مع القبائل التي أحست بتهديد تيموجين وهم قبائل التايجوت والمركيت والقنقرات وجاسيرات التي يتزعمها جاموكا واتفقوا بينهم على أن يكون جاموكا قائدًا لهذا الحلف كما أطلقوا عليه لقب غورخان أي خان الخانات من باب التعظيم له ولحلفهم، فشعر تيموجين وطغريل بالإهانة لذا استعدوا للحرب وحصلت عدة معارك انتهت سنة 600 هـ/ 1202م، حيث وقع جاموكا أسيراً وتم قتله[4].

أما فيما يخص التتار فإنه اصطدم بهم مرة أخرى في معركة حاسمة سنة 599 هـ/ 1202م في منطقة دالان نيمورغيس وأرغمهم على الالتحاق بقبيلته بعد أن قتل رجالهم وأبقى صغارهم ثم اتخذ منهم زوجةً له[5].

هذه الانتصارات التي أحرزها واتساع نفوذه جعلت حليفه أونك خان (طغريل) زعيم قبيلة الكرايت ينظر له بقلق زائد وبدأ يخشى من قوته فتحالف مع جاموكا عدو تيموجين الأول وأخذ يخطط للتخلص منه سراً؛ لأنه يعلم مدى قوة تيموجين العسكرية فقرر مهاجمته بغتةً

---

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص32؛ مير خواند ،روضة الصفا،ص48 .
[2] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص32.
[3] - شبولر، المغول في التاريخ، ص16؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص46 ؛لامب، جنكيز خان وجحافل المغول، ص46.
[4] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص116؛ ستوف، حياة جنكيز خان، ص46-47-60؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص325؛ غروسيه، جنكيز قاهر العالم، ص213؛ كيتشانوف، حياة تيموتشجين، ص146؛لامب، جنكيز خان وجحافل المغول، ص66.
[5] - تشون،التاريخ السري، ص229-231؛ ؛ المرسي، المغول، ص53.

غير أن تيموجين علم بالخطة عن طريق غلامين خدما وانج هربا إليه وحذراه فاستعد وقضى عليهم بكمين؛ لأن القوة المهاجمة كانت أكثر منهم عدداً وعدة، وبعدها استجمع قواته وهاجمهم في عدة معارك حتى تمكن من القضاء عليهم سنة 599هـ/ 1203م[1] بعد أن جرح وهرب وانج خان وقتل فيما بعد على يد النايمان وفي السنة اللاحقة ألقى القبض على جاموكا وقتله كما أسلفنا.

وبعد قضائه على قبائل الكرايت والماركيت، وكانت أراضيهم ملاصقة للحدود الشرقية لمملكة النايمان، وهذه المملكة كانت من أكبر الدول في وسط آسيا وذات سلطان واسع، غير أنها في ذلك الوقت الذي ظهر فيه تيموجين كانت ضعيفة بسبب النزاع بين ملكيها تابانك خان وأخيه يولو روف. وكانت الدولة قد قسمت إلى قسمين شرقي وآخر غربي بين الأخوين كل قسم يمثل مملكة مستقلة عن الأخرى والصراع قائم بينهما، ونظرا لمقتل أونك خان وتشتت قبيلته الكرايت، لجأ الكثير منهم إلى الأراضي الشرقية للنايمان ونتج عن ذلك قيام الصراع بين تيموجين والنايمان انتهى بزوال النايمان وقتل الملكيين وبذلك زالت مملكة النايمان وصارت أراضيها في وسط قارة آسيا جزءً من أراضي دولة المغول[2].

كما أنه أخضع لسلطانه قبائل الإيغور التي تحد مملكة النايمان من جهة الجنوب[3] ومن تبقى من قبيلة الكرايت بعد مقتل زعيمهم أونك خان[4]، وبدأت القبائل على اختلافها تدخل في طاعته، وهكذا حقق الرئاسة والزعامة على القبائل سنة 603هـ/ 1206م وتوسعت حدود أراضيه وخضعت له كل الأراضي خارج سور الصين التي تسكنها قبائل المغول والتتار والقرغيز والإيغور[5].

---

[1] - الجويني، فاتح العالم، ج1، ص7 ؛العمري، مسالك الأمصار، ج3، ص104-103؛ فهمي ،تاريخ الدولة المغولية ،ص14.

[2] - الجويني، فاتح العالم، ج1، ص76؛ العمري، مسالك الأمصار، ج3، ص104؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص33.

[3] - الجويني، فاتح العالم، ج1، ص76؛العمري، مسالك الأمصار، ج3، ص104؛ العبادي ،في التاريخ الايوبي والمملوكي،ص137.

[4] - الجويني، فاتح العالم، ج1، ص76؛رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،ج3،ص415؛محمد ،الاجتياح المغولي ،ص85.

[5] - تشون،التاريخ السري،ص301 ؛الجويني، فاتح العالم، ج1، ص76؛الصياد،المغول في التاريخ،ص51؛مارشال ، عاصفة من الشرق ،ص29.

المطلب الثاني:تنظيمات جنكيز خان الداخلية:

بعد أن وحد جنكيز خان منغوليا تحت سيطرته اتجه إلى تنظيم مملكته داخلياً فوضع لها أسساً وقوانيناً تسير عليها حيث ابتدأ بالدعوة إلى اجتماع القوريلتاي سنة 603هـ /1206م[1]، حدد فيه امبراطوريته ونظمها فوضع لتلك القبائل دستوراً حربياً واجتماعياً وسياسياً، فالأنظمة والقوانين أشياء مهمة في تنظيم حياة أي شعب على مر العصور كما أن الشعوب تختلف في أنظمتها وقوانينها التي تسير بها شؤونها فهناك أعراف وتقاليد، أو قوانين وضعية، أو سماوية وكلها تختلف حسب طبيعة الشعب من بداوة أو بساطة إلى التمدن والحضارة.

ورأى جنكيز خان بعد أن وحد القبائل أن الأعراف والتقاليد القبلية التي كانت سائدة لا تنسجم مع مشروع الدولة الجديدة ولا تلبي متطلباتها فأعاد النظر في تلك العادات فقبل بعضها ورد بعضها وأضاف غيرها وجعلها ذات صبغة رسمية، وعند اجتماع القوريلتاي خطبهم قائلاً:**"إن السماء أمرتني بأن أحكم عامة الشعب"**[2]، فانتخبوه دون منافسة أحد وبايعوه كخان أعظم وأطلقوا عليه لقب جنكيز خان، وتعني الحاكم العظيم أو ابن السماء[3] .

وبهذا فقد أضفى على حكمه القدسية وأصبح امبراطوراً على القبائل، ولا يجوز لأحد معارضته لأنه مسخر من السماء حسب قوله الذي كان يردده المغول**"هناك شمس واحدة في السماء وسيد واحد على الارض"** [4] فأطاعه المغول طاعة أصحاب النبي لنبيهم[5].

وقد أقر في هذا المؤتمر أن تكون للامبراطورية عاصمة[6] هي مدينة قراقوم [1]، وجعل

وجعل

---

[1] - العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص 129؛ ستوف، حياة جنكيزخان، ص100- 101.
[2] - تشون ، التاريخ السري ، ص191؛ ستوف، حياة جنكيزخان، ص 102.
[3] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص62 ، 65، 71؛ حمد الله مستوفي، تاريخ كزيدة، ص580؛ ستوف، حياة جنكيز خان، ص100- 102؛مرجونة، المغول والحضارة، ص66.
[4] - شبولر، العالم الإسلامي، ص26؛ كيتشانوف ،حياة تموتشجين، ص218- 219.
[5] - الكتبي؛ فوات الوفيات، ج1، ص139.
[6] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص80؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص5؛ القلقشندي، صبح الأعشى، الأعشى، ج4، ص478؛ إقبال، تاريخ المغول، ص19؛ لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص80- 83 .

اسم المغول على جميع القبائل في منغوليا[2]، كما أقر شارات الامبراطورية كالراية والجيش وغيرها[3].

بعد ذلك قرر وضع دستور(الياسا) لدولته الناشئة، فكما هو معروف أن مقومات نشأة الدول ثلاثة أمور: الأرض والشعب والقانون، ومتى ما اجتمعت أمكن تكوين الدولة.

وقد أدرك جنكيز خان واقع المشاكل الاجتماعية التي كان المجتمع المغولي يعاني منها، كالفرقة والانقسام والاختلافات العرقية والعقائدية واللغوية، وكلها أسباب تدعو إلى الانقسام والفرقة في المجتمع الناشئ، ومن أجل أن لا تتكرر عمليات الاتحاد الهشة السابقة بين القبائل- التي اعتادت أن تعود إلى طبيعتها في الانقسام والصراع- عمل على إيجاد اتحاد قوي ومستمر، ولضمان نجاحه لابد من وضع حلول ناجعة لتلك المشاكل، فتبلورت من طريق سن قوانين ملزمة على الرغم بساطتها، إلا أنها كانت حازمة لا تعرف الرحمة والشفقة في نصوصها، وأطلق عليها أسماء مختلفة من قبل المؤرخين منها اسم الياسا[4] أو يسق[5] أو الأسا[6] أو الاسه[7] وياسه[8]،أما الجويني[9] فسماها كتاب القواعد الكبير.

---

[1] - مدينة قراقورم : تقع في الجزء الشمالي في مناطق قراقور الجبلية في مغولستان الغربية علة ضفاف نهر ارخون بناها الايغور وكانت عاصمة لهم وتسمى ايضا اردوباليق ،وعلى بعد ستين كم من اطلال هذه المدينة القديمة شيد الايغور مدينة اخرى بنفس الاسم بأمر من جنكيز خان اتخذها عاصمة له ،وكانت من اكبر مدن منغولستان . ينظر :القلقشندي، صبح الأعشى، ج4 ،ص480 - ص481؛ اقبال ، تاريخ المغول ،ص 19؛شبولر، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص44؛ عكاشة،جنكيزخان= =الامبراطورالدموي،ص137 - ص141؛لامب، جنكيزخان امبراطور، ص80 ؛ واكيم ،امبراطورية على صهوات الجياد، ص95.

[2] - بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص382؛ رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص416؛ قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص49؛ النجار، امبراطورية المغول، ص64.

[3] - النجار، امبراطورية المغول، ص62، 63، 66.

[4] - العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص106؛ حسن، تاريخ الإسلام السياسي، ج4، ص130 ؛فامبري، تاريخ بخارى، ص63؛مار شال، عاصفة من الشرق، ص35.

[5] - الرمزي، تلفيق الإخبار، ج2، ص357؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج6، ص238.

[6] - زكار، أخبار المغول، قسم ابن العميد، ص22.

[7] - ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص37.

[8] - الذهبي، سير الأعلام، ج22، ص228؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص314.

[9] - جهانكشاي، ج1، ص62.

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في اسمها إلا أنهم اجمعوا على نسبتها لجنكيزخان، وبما أن المغول لم يكن لهم خط يكتبون به، فقد أمر جنكيز خان أن تكتب بالخط الإيغوري وتحفظ في خزائن الأمراء للرجوع إليها[1].

تناول دستور الياسا أموراً عدة جاء في مقدمتها، توحيد المعتقد، فإنه لم يتعصب لملة دون أخرى، بل ترك المرء وما يعتقد، وعلماء كل أمة وزهادها مكرمون معززون، ويعدون إكرامهم وسيلةً للتقرب إلى الله، فرجال الدين من كل الطوائف ومنهم عبدة الأوثان مكرمون ومخيرون بالدين الذين ينتمون إليه، وهذا يسمى حرية المعتقد، أو التسامح. وفعلًا كانت هذه المسألة من المسائل المهمة في استقرار المجتمع، فالمهم اعتقادهم بإله واحد ولا ضير من تعدد الديانات، ويمكن تلخيص قوانين الياسا على أقسام عدة[2]:

1- القسم الخاص بالدين : وهو الاعتقاد بفاطر السماوات والارض والسماح لكل الديانات ما دامت تؤمن بالله، وما يتعلق بإكرام كل من كرس نفسه للدين وإسقاط الواجبات عنهم.
2- القسم الخاص بالجيش والأمور العسكرية: تقسيم الجيش والحث على الصيد للتدريب والأرزاق، وحق الضابط والجندي وعقوبتهما وما يتعلق بالأمور العسكرية الأخرى.
3- القسم المتعلق بالأمور الاجتماعية كعدم الزواج من الأقارب وجواز الجمع بين الأختين وما شاكل.
4- القسم الخاص باستقرار الدولة ووحدة قرارها كعقوبة الإعدام لكل من يعلن نفسه امبراطور خلافاً لإرادة مؤتمر القوريلتاي أو عدم السماح لكافة زعماء المغول والعشائر الخاضعة لهم بحمل الألقاب الفخرية أو عدم عقد السلم مع أي أمة إلا بعد تقديم الخضوع للمغول.
5- القسم الخاص بالعقوبات المشددة ضد مرتكب جرائم السرقة والزنا واللواط وانتهاك الأعراض.

---

[1] - الجويني، جهانكشاي، ج1، ص62.
[2] - الجويني، جهانكشاي، ص62- 68؛ العمري، مسالك الأبصار، ج 3، ص106- 107؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص314- 316 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص33- 37؛ مرسي، المغول، ص57.

ويمكن القول أن هذه القوانين (الياسا) قد أدت الدور الرئيسي أو هي أحد العوامل التي ساعدت على انتصاراته المتلاحقة وتكوين امبراطوريته الواسعة فوجد المغول ورعاياهم أنهم أمام دستور وقانون ينظم حياتهم العسكرية والمدنية وان الجميع سواء أمام القانون فاحترموا الياسا وقدسوها تقديس الكتب السماوية.

الفصل الاول

المبحث الثاني

الغزوات الخارجية للمغول في عهد جنكيز خان

المبحث الثاني

الغزوات الخارجية للمغول في عهد جنكيزخان:

المطلب الاول :التوجه شرقاً: محاولة جنكيز خان السيطرة على الصين 602هـ -613هـ/ 1205م-1216م

تقع الصين في الجزء الشمالي من الكرة الارضية، وتحتل القسم الشرقي من قارة آسيا، وتطل على المحيط الهادي[1]، فهي تمتد بين دائرتي عرض 18- 53 شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 74- 135 شرقاً[2]، وتمتلك الصين شواطئ بحرية يبلغ طولها ما يقارب (18000) كيلو متر، وتطل على مجموعة من البحار هي: بحر بوهاي من الشرق، والبحر الأصفر من الجنوب، وبحر الصين الشرقي والجنوبي، فضلاً عن ذلك فأرضها تشتمل على مجموعة كبيرة من الجزر[3]. ولأهمية موقع الصين وحصانتها جعلها جنكيز خان من أولى أولوياته.

كانت الصين تحكم من قبل أسرتين ملكيتين هما: أسرة ملوك كين (Chin) الذين كانوا يتزعمون طائفة من شعوب منتشو الصفراء وحكموا "الخطائين"- أي الصين الشمالية- وهم بالنسبة لأهل الصين غرباء واتخذوا من بكين[4] عاصمة لملكهم، فضلاً عن مدينة كايفونج الواقعة على ضفتي النهر الأصفر. والأخرى أسرة سونج، وترجع إلى أصول صينية حكمت الصين الجنوبية. واتخذت تلك الأسرة من مدينة هانج تشو الواقعة على سواحل المحيط إلى الجنوب من شنغهاي عاصمة لملكها، وكانت المناطق الواقعة تحت سيطرة هاتين الأسرتين

---

[1]- قوانغ، جغرافية الصين، ص5- 9.
[2]- مرجونة، المغول والحضارة، ص40.
[3]- قوانغ، جغرافية الصين، ص3.
[4]- بكين : وتسمى خان بالق، أو خان باليق:هي قاعدة مملكة الصين وأول الصين، تقع في أقصى الشرق عند بلاد الخطا، وهي مدينة مشهورة ، يكثر فيها معدن الفضة ، ويقع قصرالقان او الخان الكبير في وسطها ويسمى "كوك طاق" ومعناه بالمغولية القصر الأخضر، وخان باليق مدينة طيبة واسعة . ينظر: أبو الفدا، تقويم البلدان، ص505؛ أبن بطوطة، تحفة النظار من غرائب الأمصار ، ج1 ،ص57 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج4 ،ص479 .

تحيط بها من الشمال والغرب منازل عشائر كثيرة من الترك والمغول فكان أولئك القوم يسكنون كل آسيا الوسطى والشمالية[1] .

وكانت بعض القبائل التركية والمغولية الموجودة هناك تابعة لأسرة كين الصينية، التي كانت تسيطر على الجزء الشمالي، أما القبائل التي كانت تقطن في الجهات الشرقية فكانت خاضعة لملك قبيلة الخيريت، في حين خضعت القبائل الموجودة في غرب منغوليا لكورخان ملك القراخطائيين[2]، وقد تمكن جنكيز خان من بسط سيطرته على تلك القبائل ووحدها وكون منها حكومة موحدة تحت زعامته قبل التخطيط لغزو الصين[3].

ولم تقتصر جهود جنكيز خان على توحيد القبائل المغولية فحسب، بل كانت له خطوات أخرى كمقدمة للمرحلة الثانية وهي التوسع باتجاه الصين، بغية بناء إمبراطوية عظيمة للمغول تشمل أنحاء كبيرة من العالم، فأخذ من عملية التوحيد نقطة الانطلاق في جميع الاتجاهات ولتحقيق ذلك الهدف صار لزاماً على جنكيز خان أن يسير عمليات عسكرية مركزة، وكان من أهم أولوياته لتحقيق ذلك الغرض هو الانطلاق نحو الجبهة الصينية، فبدأ عملياته العسكرية ضد بلاد الصين الشمالية، فهاجم في سنة 602هـ/ 1205م مملكة التانغوت مملكة سي- هيا- الضعيفة[4]، وأردفها في سنة 604 هـ /1207م بغارة أخرى استطاع فيها أن يسيطر على جميع أراضيها سوى العاصمة هسيا التي صمدت أمام حصاره طويلاً، وبقيت على تلك الحال حتى سنة 606هـ/ 1209م بعد أن أقر حاكمها بقبول السيادة المغولية على أراضيه، ودفع الجزية لجنكيزخان، وبذلك صارت مملكة التانغوت تحت السيطرة المغولية[5]، الأمر الذي صار معه طريق الصين سالكا أمام جنكيز لبناء

---

[1]- إقبال، تاريخ المغول ، ص47.

[2] - كورخان من القاب ملوك الخطأ تعني السلطان العظيم او خان الخانات.ينظر: الراوندي ،راحة الصدور،ص173؛الحسيني،أخبار الدولة السلجوقية،ص91.

[3]- الدورابي، إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي ، ص9.

[4] - وهي إحدى الممالك الثلاث التي كانت تحكم الصين تقع في اقليم التانجوت غرب النهر الاصفر(اقليم كانسو الحالي). ينظر: الدورابي، إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي ،ص10؛طقوش،تاريخ المغول العظام،ص43؛كندر،اطلس تاريخ العالم ،ص178.

[1] - بخيت، تاريخ المغول، ص41؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص26؛ غروسيه، جنكيز خان، ص84.

أمبراطوريته، ومنع أي اتحاد وتحالف بين هسيا والكين ومن ثم السيطرة على أهم مفصل هناك هو طريق الحرير التجاري بين الشرق والغرب[1] .

وحفزت جنكيز خان دوافع عدة للتوسع على حساب الصين كان أهمها: السياسة التقليدية للقبائل بمهاجمة المناطق الحضرية للاستفادة من خيراتها، والرغبة في حماية دولته الناشئة من أي هجوم قد يقوم به التانجوت، والرغبة في وضع حد لتدخل حكامها في شؤون القبائل القاطنة في الهضبة المنغولية، ولاسيما أن سياسة كين كانت قائمة على أساس تحريض القبائل بعضها ضد بعض بغية أن يبقى حكامها سادة الموقف، وليحموا أنفسهم من غارات تلك القبائل على حدود أمبراطوريتهم[2].

وحتى يتخذ جنكيز خان مركزاً لنفسه في الأراضي الصينية صار لزاماً عليه أن يهاجم مملكة كين، التي كانت تسمى بـ "مملكة الذهب" آنذاك، فحشد ما أمكن حشده من قبائل المغول وخرج هو وأبناؤه الأربعة على رأس الجيوش سنة 608هـ/ 1211م[3]، وأثناء الهجوم واجه جنكيز خان عدة مشاكل كان من أهمها: الحصون المنيعة للمملكة، فضلاً عن وجود سور الصين العظيم وحصونه الممتدة من الشرق إلى الغرب، الأمر الذي شكل بمثابة درع وخط دفاع مستمر لتلك المملكة[4].

ولتحقيق أغراضه التوسعية وافق جنكيز خان على عقد حلف مع قبائل الأنغوت القاطنة شمال سور الصين بعد ما تيقن ملك لانغوت بأنه غير قادر على مقاومة المغول، ولم يتوقف الملك الانغوتي عند هذا الحد، بل أهدى إحدى بناته لجنكيز خان ليتخذها زوجة له، فضلاً عن إرسال الهدايا والخيول والحرير لجنكيز خان؛ بغية الكف عن مهاجمة مملكته، وبهذا

---

[1]- حطيط، حروب المغول، ص21؛ غروسيه، جنكيزخان قاهر العالم، ص238؛مزبان، أثر القبائل التاتارية في نشاطات المغول العسكرية ، ص180.
[2]- مزبان، أثر القبائل التاتارية في نشاطات المغول العسكرية ، ص183.
[3] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص37.
[4] - حطيط، حروب المغول ،ص235؛غروسيه ،جنكيز خان قاهر العالم ،ص240.

تمكن جنكيز خان من استمالة ملك لانغوت إلى جانبه وسيطر على وسائل الدفاعات من دون جهد حتى أوصل حدود أمبراطوريته إلى الخطوط الأمامية من مواقع خصومه[1].

وبعدها استطاع جنكيزخان من إحراز بعض الانتصارات، فخضعت له بعض المناطق الواقعة داخل السور الصيني وعين عليها حكاماً[2]، وبعد معارك عدة سيطر جنكيزخان على كين بعد أن اخترق دفاعات الأتراك والأنغوت المتحالفة ووصل جيشه إلى شمال الصين وخرب البلاد التي اجتاحها، إلا أنه لم يفرض سيطرته الكاملة عليها إلا في سنة 610 هـ/ 1213م بعد أن قاد هجوماً واسعاً عليها من ثلاثة محاور؛ وذلك بسبب مناعة أسوارها والدرع المحيط بها المتمثل بالسور العظيم[3].

ومن ثم قاد جنكيزخان مع ولده تولوي "تولي" جيشاً على وسط الصين متجنباً الهجوم على بكين واكتفى بوضع قوات على حدودها، وبعد أن فرض سيطرته على الوسط غار على جنوب الصين فبدأ بالمدن تباعاً فبدأ بمدينة باو- تونج جنوباً حتى بكين شمالاً، ثم توجه إلى المنطقة الجنوبية الشرقية حتى وصل إلى سهل شانتونج الخصيب، واحتل مدينة تسي- تان، ثم توجه لاحتلال الجانب الأقصى لحدود إقليم شانتونج، وعندها سقطت بيده القلاع الصينية تباعاً باستثناء بعضها؛ لحصانة أسوارها[4].

أما الجزء الغربي من الصين فقد توجه للسيطرة عليه أولاد جنكيز خان الثلاثة وهم كل من جوجي، وجغتاي، وأوكتاي، فوصلوا إلى مقاطعة هانون شمال النهر الاصفر ثم توجهوا عبر حوض نهر "فن" الذي يقسم الإقليم على قسمين وتمكنوا من فرض سيطرتهما على المدن الواقعة على ضفتي النهر[5].

ولم يكتفِ جنكيز خان بذلك، بل أوكل أخاه قاسار في سنة 610هـ/ 1213م قيادة جيش على بقية المناطق فسار قاسار بمحاذات بكين متخذاً من الساحل طريقاً له وأخضع المناطق

---

[1]- الدورابي، إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري، ص10.
[2] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص37.
[3]- شبولر، المغول في التاريخ، ص16؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص46؛لامب، جنكيز خان وجحافل المغول، ص46.
[4]-الدورابي، إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري، ص10.
[5]-. بخيت، تاريخ المغول، ص84؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص67.

الواقعة بين شان- هاي كوان وجيهول "شانغ تي"، ثم اتجه لاحتلال منشوريا العليا حتى وصل إلى نهر آمور.

ونتج عن ذلك أن أرسل إليه أمبراطور الصين في سنة 611هـ/ 1214م برسالة يعرض عليه الصلح على أن يضم جنكيز كافة البلاد التي فتحها بسيفه داخل السور وخارجه [1]، وعلى إثر ذلك أعلن جنكيزخان موافقته على الصلح، أما امبراطور الصين فإنه انتهز فرصة برود الجيش المغولي بعد الصلح فعدل عن الصلح وأخذ يعمل تحصينات على قلاعه وحصونه ونقل العاصمة إلى مدينة كاي فونج في جنوب البلاد، بغية أن تكون أقرب إلى ساحة القتال تاركاً بكين في عهدة ولده، مما أثار حفيظة جنكيز خان، وكردة فعل منه عاد جنكيز بجيوشه مسرعاً قبل أن يستعد الصينيون واشتبك معهم في معركة فاصلة سنة 612هـ /1215م سقطت على إثرها العاصمة بكين وعاد جنكيز إلى وطنه في سنة 613 هـ/ 1216 م [2] ،تاركا استكمال الفتوحات نحو النهر الاصفر بيد قادته وفرق من جيشه وعندعودته بدأ يستعد لتعقب اعداءه الذين هربوا الى الممالك الغربية[3].

وكان لسقوط بكين أثر كبير في نفوس الممالك الإسلامية، إذ عدوا ذلك إنذار لكل الممالك التي آوت أعداء جنكيز خان الفارين منه فزادت هيبته في نفوس الجميع[4].

كما كان لسقوط بكين آثار كبيرة على المدى البعيد، فقد تحول المغول من الغارات والنهب إلى دور أكبر هو السيطرة على مراكز حضارية أثرت فيما بعد على المغول في نمط الإدارة والقوانين، فقد ساهم الكثير من الصينيين في الإدارة وتنظيم شؤون الدولة، فمن نتائج السيطرة على الصين إسهام الصينيين في إدارة البلاد وتوجيه سياستها، فاستوزر منهم واتخذ المستشارين والولاة ونالوا ثقته وإعجابه، وكذلك فعل خلفاؤه، ومنهم الحكيم يي- لو- تشوتساي الذي كان يتمتع بحصافة العقل والحكمة والكتمان، فحاز على ثقة جنكيز واستطاع

---

[1] - مرسي، المغول، ص58.

[2] - حطيط ، حروب المغول،ص28؛غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص252؛ مرسي، المغول، ص58.

[3] - حطيط ، حروب المغول،ص63؛مزبان،أثر الفبائل التترية ،ص193؛هوخام ،تاريخ الصين،ص138.

[4] - فهمي ، تاريخ الدولة المغولية، ص38.

أن يبدل الكثير من الأنظمة البربرية حيث كان يردد باستمرار: **"إذا كانت الامبراطورية قد قامت على الحصان، فلا يجوز أن تجري إدارتها على الحصان"**[1]، فبدلاً من إتلاف المزروعات أو نهب ثروات المدن يمكن الحصول على فائدة أكبر بفرض الضرائب، فهذه الثروات هي مصدر قوة الامبراطورية فحافظ على مصالح امبراطورية جنكيز[2].ومما زاد من مكانته عند جنكيز خان وعند المغول إحاطته بعلم الفلك، إذ نال علماء الفلك احترام المغول وتقديرهم[3]، كما عمل على تعريف المغول بحضارة الصين وأضفى المظهر الصيني على الامبراطورية المغولية[4]، لذلك وصف بالإداري الموهوب[5].

ويبدو أن جنكيز خان كان من بين أهدافه من التوجه إلى الصين والسيطرة عليها هو توحيد العشائر والقبائل المغولية وجعل المنطقة تحت رايته لتكون نقطة ارتكاز لفتوحاته في آسيا، فضلاً عن الاستفادة من خيراتها الاقتصادية لتموين شعبه، كما أن جنكيز خان صار مدركاً لضرورة أن يكون مستشاروه وموظفوه من أكثر الناس كفاءة وثقافة.

المطلب الثاني: التوجه غرباً (615هـ -620هـ/1218م -1223م):

أ- القراخطائيون (615هـ /1218م):

قامت قبيلة القراخطائيين قبيل الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وكانت تقع ما بين مملكة الخوارزميين في الغرب ومساكن المغول في الشرق، وكان نهر سيحون يشكّل حداً فاصلاً بين ممالك القراخطائيين والدولة الخوارزمية[6].

والخطا مجموعة من القبائل التي نزحت من شمال الصين بعد انهيار دولتها هناك سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م، وقد استقرت تلك القبائل في غرب إقليم تركستان إبان العصر السلجوقي وكونت دولة عُرفت باسم الخطا أوالقراخطائيين، وعملت على توسيع مملكتها الجديدة شرقاً

---

[1] -العريني،المغول،ص160؛لامب،جنكيز خان،ص78؛واكيم،امبراطورية على صهوات الجياد، ص96.
[2] - غرو سيه، جنكيز خان قاهر المغول، ص256- 257.
[3] - إقبال، تاريخ المغول، ص112؛الصياد، المغول في التاريخ، ص15؛.
[4] - صفا، جنكيز خان، ص267.
[5] - الغامدي، تاريخ المغول، ص109.
[6] - ينظر: الجويني، جهانكشاي، ج2 ،ص88 ؛ بارتولد، تركستان، ص477؛ الصياد ، المغول في التاريخ، ص30 - ص31؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج5 ،ص70.

وغرباً، إذ امتدت حدودها من صحراء جوبي إلى نهر سيحون، ومن هضبة التبت إلى سيبيريا وكانت تلك القبائل لا تكف عن الإغارة على البلاد الإسلامية إذ كانت الخطا تدين بالبوذية فاشتبك جيشها مع السلطان السلجوقي سنجر في معركة قطوان (سمرقند حاليًا) [1] سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م، وقد انتهت هذه المعركة بانتصار الخطا وقتل (١٠٠) ألف جندي سلجوقي، وبذلك قامت دولة الخطا فى بلاد ما وراء النهر، واستمر الخطا في حكمها لمدة تسع وثمانين سنة ودفع الخوارزميون جزية سنوية حتى عهد السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه الذى استطاع بمساعدة بعض القوى الأخرى ولا سيما المغول القضاء على الخطا سنة ٦٠٧هـ / ١٢١٠م وكانت دولة الخطا تقف سداً منيعاً بين المسلمين والمغول لذلك تعرض العالم الإسلامي لهجمات التتار[2].

وذكر بعض المؤرخين بأن أصول القراخطائيين تعود إلى المغول، وأنهم قوم من التتر الشرقيين الذين نجحوا في فرض سيطرتهم على شمال الصين وجزء من بلاد التتر، في حين ورد في مصادر أخرى بأنهم يعودون إلى أصول تركية، بينما ذهب بعضهم إلى أن أصول الخطا تعود إلى بلاد الصين إلا أنهم طردوا منها فيما بعد[3].

سكن القراخطائيون جنوب منشوريا شمال الصين في الإقليم المعروف باسم لياو وتسموا باسمه وكانت لهم قوة ومنعة بحيث فرضوا الجزية على أسرة سونج التي وحدت الصين 349- 521 هـ/ 960- 1127م، فدفعتها وصار شمال الصين منطقة نفوذ لهم، ثم اعترى أسرة لياو الضعف فثار عليهم جماعة كين وقضوا على دولتهم سنة 519هـ/ 1125م[4]، فتركوا ديارهم واتجهوا نحو الغرب بقيادة كورخان حتى بلغوا نهر إيميل فأسسوا مدينة خاصة بهم، وبدأ كورخان يجمع قبائل الترك حوله فكثر أتباعه ومد نفوذه على إقليم تركستان مستغلًا حالة الصراع بين القبائل في تلك المنطقة ثم استولى على كاشغر[5]

---

[1] - قطوان :من أكبر قرى سمرقند تبعد عنها قرابة خمسة فراسخ .ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج4،ص375.

2 - مجموعة مؤلفين، موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي، ج14، ص159.

[3] - الطائي، دراسات في تاريخ الترك والمغول، ص32.

[4] - بخيت، تاريخ المغول، ص10؛الصياد، المغول، ص22.

[5] - كاشغر : ولاية تتألف من قرى ومدن ورساتيق يصل اليها المسافر من سمرقند ، وهي في وسط بلاد الترك ،واهلها مسلمون. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ،ج4،ص430؛ابو الفداء تقويم البلدان،ص505؛سراج الدين بن الوردي ، خريدة العجائب،ص55.

وختن[1] وأخضع كل مدن تركستان وأرسل جيوشاً نحو فرغانة وما وراء النهر فخضعت له حتى وصلت دولته من صحراء جوبي إلى نهر سيحون ومن سيبريا إلى التبت[2].

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن أصل الخطائيين يرجع إلى الأتراك، وما ذهب إليه بعضهم بأن أصل الخطا من الصين يؤول إلى سيطرتهم على الصين لمدة طويلة فظنوا بأنهم من أصول صينية، ويشهد لذلك أن كورخان جمع القبائل التركية حوله وصار له أتباع منهم.

إن قيام دولة الخطا جاء في عصر تدهور السلاجقة بعد وفاة ملك شاه السلجوقي حيث ساد الانقسام والنزاع بين السلاجقة، وكان القسم الشرقي من امبراطورية السلاجقة من نصيب السلطان سنجر بن ملك شاه، وكان الصراع قائماً للحفاظ على ما ورثه من أملاك بينه وبين اتسز خوارزم شاه الذي لم يجد القوة الكافية لمقاومة عدوه، فاستعان بقبائل الخطا فحرضهم على الاستيلاء على كل ما وراء النهر ومحاربة السلطان سنجر، فتحركوا سنة 536هـ/ 1141 وانتصروا عليه في معركة قطوان فسيطروا على كل بلاد ما ورا ء النهر[3].

وهكذا جاورت أملاك الخطا أملاك الخوارزميين غرب نهر جيحون[4] واندفعوا سنة 537هـ/ 1142 إلى الأقاليم الخوارزمية لينهب قراها، فأرسل ملك خوارزم اتسز يعلن له خضوع الطاعة والتبعية ودفع الجزية[5]، فرجعوا إلى ما وراء النهر ليكون نهر سيحون فاصلاً بين القراخطئين والخوارزميين[6].

---

[1] - الختن :بلدة دون كاشغر ،ووراء يوز كند، وهي من بلاد تركستان في وادي بين الجبال وسط بلاد الترك .ينظر:ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج2 ،ص347 ؛. ابو الفداء تقويم البلدان،ص505.

[2] - الجويني ، جهانكشاي، ج1، ص329 – 336.

[3] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص118.

[4]- جيحون: عرف النهر باسم وهو محرف من الصيغة الايرانية فخشو أو وخشو، وبعد الغارة المغولية على هذه البلاد اطلق عليه اسم آمو، ويعني بالتركية النهر وذلك نسبة لأكبر المدن الواقعة عليه وهي مدينة آمو والتي سماها المسلمون أمل وهي مسقط رأس ابن جرير الطبري(ت310هـ/ 922م)، والتي عرفت فيما بعد باسم آموية، وتعرف حالياً باسم جار جوى. ينظر :الخوارزمي، من تاريخ خوارزم، ص53.

[5] - الجويني، جهانكشاي، ج1، ص336؛ حمدي، الدولة الخوارزمية،ص66.

[6] - إقبال ، تاريخ المغول، ص49 ؛ بخيت، تاريخ المغول، ص10 ؛ الصياد، المغول، ص22.

وكان قدر الجزية السنوية التي دفعها اتسر (30000 دينار) وكذلك فعل تكش[1] عندما تسلم حكم خوارزم بعد أبيه وأوصى أبناءه بعدم محاربة كورخان وعدم الامتناع عن دفع الجزية، وبقي الحال كذلك حتى مجيء علاء الدين محمد خوارزم[2] الذي استمر حيناً في دفع الأموال ثم بعدها تمرد عليهم وقاتلهم[3] .

ولم تحتك الدولة المغولية مع الدولة القراخطائية المجاورة لها من جهة الغرب التي تشمل على إقليم تركستان وما وراء النهر، فقد كانت بعيدة نسبياً عن الصراع في منغوليا في فترة ظهور جنكيز خان .

بدأ الضعف يدب في دولة القراخطائين، إذ فقدت بعض أراضيها في بلاد ما وراء النهر بعد سيطرة علاء الدين محمد خوارزم شاه على مناطق ما وراء النهر سنة 607 هـ/ 1210م[4] إضافةً لمشاكل تمرد بعض الولاة المسلمين في الأقاليم الخاضعة للقراخطائيين والصراع العسكري معهم[5] أو قيام ثورات ضدهم في بعض المدن [6]مثل بخارى [7] ثم قيام أميرالإيغور ايدي قوت بإعلان تمرده على الخطا بسبب جشع جباة الضرائب فقتل نائب

---

[1] - علاء الدين تكش بن أرسلان ، كان جواداً شجاعا، ملك الدنيا من السند والهند وبلاد ما وراء النهر الى خراسان وكان له نوابا في حلوان. ينظر: ابن الاثير، الكامل، ج10 ،ص39 و ص277؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج2 ،ص17؛ ابو الفدا، المختصر، ج2 ،ص131؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12 ،ص498 .

[2]- علاء الدين محمد خورازمشاه: ويسمى علاء الدين تكش حكم ثمانية وعشرون عاماً للمدة من 568 – 596 هـ ، ورث عن ابيه خوارزم شاه دولة فتية تشمل اقليم خوارزم وخراسان ، وورث كذلك صراعات منها داخلية واخرى خارجية، أما داخلية تمثلت بتولية أخيه سلطان شاه العرش بمساعدة والدته فتمكن من تنحيته عن العرش، في حين تمثلت الخارجية بتثبيت أركان الدولة وتقوية حكمه. ينظر:الحميدي، ياقوت الحموي مؤرخاً ، ص18.

[3] - فهمي ، تاريخ الدولة المغولية في ايران ،ص40.

[4] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص294، بارتولد، تركستان، ص523.

[5] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص46؛ بارتولد، تركستان، ص515؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص465 - ص468؛ اللهيبي، رياح الشرق، ص64، ص65 .

[6] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج2، ص74؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص150؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج4، ص390.

[7] - بخارى : من أعظم مدن بلاد ماوراء النهر. ينظر:ابن حوقل ،صورة الارض،ص406.

الملك في البلاد 606هـ/ 1209م، واتصل بجنكيز خان الذي رحب به وأصبح تابعاً له، واستعان به في حروبه في الصين وما وراء النهر[1].

ومن عوامل ضعف دولة القراخطائيين ما تعرضت له من هجمات القبائل البدوية من جهة الشرق وفشلهم في صد تلك الهجمات كالنايمان والماركيت والمغول الذين لجأوا إلى أراضيهم هرباً من جنكيز خان[2].

غير أن أهم حدث في جهة الغرب كان فرار كوجلك خان[3] ابن ملك النايمان مع جمع من من

أتباعه والتجائه إلى كورخان ملك القراخطائيين[4] الذي رحب به، وعندما شق عصا الطاعة الطاعة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه ، وحصل الصراع بينه وبين كورخان انتهز كوجلوك الفرصة وأقنع كورخان بالسماح له بتكوين جيش من أتباعه المشتتين للوقوف معه ضد سلطان خوارزم رغم خوف كورخان من كوجلوك خان الذي يحمل العقلية المغولية بما تحمل من معاني الغدر والخيانة، وفعلاً كون جيشاً من أتباعه النايمان والكرايت والمغول الفارين من جنكيز وانضم له بعض أتباع كورخان نفسه حتى صار جيشه أقوى من جيش كور خان[5] .

ولم يشارك هذا الجيش في أي معركة عسكرية أو يقدم المساعدة ضد أعدائه، بل بدأ كوجلوك يعد العدة للإطاحة بكور خان والاستيلاء على أملاكه[6]، وبدأ يتوسع ويفرض

---

[1] - لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج9، ص321؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص32-ص33؛ ابن العبري، تاريخ مختصرالدول، ص292؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص156؛= =حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص21 ، ص22، ص113؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص20 - ص21؛ القزاز، الحياة السياسية، ص21-22.

[2] - الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص465.

[3] - كوجلك خان :ابن تايانك خان قبيلة النايمان التركية وتعني لفظة كوشلوك او كشلي خان الملك العظيم القوي، ويطلق هذا اللقب على الامير. ينظر: الجويني،جهانكشاي،ج1،ص46؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1،ص136؛ بارتولد ،تاريخ الترك،ص154.

[4] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص39.

[5] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص39.

[6] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص43؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج2، ص91؛ بارتولد، تركستان، ص515؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص468.

سيطرته على أراضٍ واسعة في الوقت الذي كان كورخان يستعد للدفاع عن سمرقند[1] ضد تقدم الخوارزميين عليها، غير أنه انسحب لمواجهة كوجلوك خان وإيقاف توسعه[2]. واتخذ كوجلك من كاشغر مقراً له بعد أن سيطر عليها وعلى ختن[3].

ويبدو أن كورخان كان مدركاً لقوة كوجلوك لذلك سعى للصلح مع علاءالدين خوارزم شاه تاركاً له ما بيده من بلاد على أن ينصره ضد كوجلوك[4] .

وفي الوقت نفسه بعث زعيم النايمان برسالة إلى علاء الدين خوارزم شاه أيضاً يطلب فيها مساعدته[5]، وحتى لا يكون خوارزم شاه هو الخاسر بينهما فإنه أوهم كلاً منهما بأنه قادم لمساعدته[6]، وقاد جيوشه إلى مكان قريب من أرض المعركة(1210/607م) فرآه كلا الطرفين وكلاهما يظن أنه جاء لمؤازرته[7]، وبقي ينتظر رجحان أي كفة لينضم إليها وعندما أسر كورخان مال بقواته على الجيوش القراخطائية المنهزمة[8] .

ونتج عن هذه المعركة تدمير القراخطائيين ومجاورة أملاك كوجلوك للدولة الخوارزمية. وكان كوجلوك قد فر من جنكيز خان فلا بد أن تقع بينهم حرب مصيرية فيتطلع جنكيز خان

---

[1]- سمرقند: مدينة تقع في أوزبكستان الحالية،اختلف المؤرخون في تسمية سمرقند، فالبعض قسمها إلى قسمين (سمر) وهو اسم مؤسس المدينة و (قند) تعني البلدة أو المدينة، وينسب بعض المؤرخين الأوربيين تلك التسمية إلى الأصل القديم من الكلمة السنسكريتية(samarya) وتعني الجمعية أو الإجماع، أما المؤرخون القدماء فأسموها (سمر قنس). ينظر: خلوصي، من دمشق إلى سمرقند رحلة إلى أوزبكستان، ص35.

[2] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص48 و ج2، ص82، ص91؛ بارتولد، تركستان،ص516 ،ص521 ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج4، ص392.

[3] - الجويني، تاريخ جهانكشاي ، ج1، ص88؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص55؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص473.

[4] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص339؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص226؛ ابن كثير، البداية البداية والنهاية، ج13، ص48؛ ابن خلدون، تاريخ ج5، ص125.

[5]- الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص126؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج4، ص645؛ فامبري، فامبري، تاريخ بخارى، ص155؛ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج4، ص393.

[6] - الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص112؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص226.

[7] - الذهبي، العبر، ج5، ص 16؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص43 .

[8] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص339، ص340؛ القزويني، آثار البلاد، ص558؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص264؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص112؛ تاريخ الإسلام، ص25؛ الذهبي،سير أعلام النبلاء، ج22، ص226؛ ابن الوردي، تاريخ، ج2، ص180؛ بارتولد، تركستان، ص526؛ عكاشة، إعصار من الشرق، ص140؛ فهمي ، تاريخ الدولة المغولية، ص43 ؛مير خواند، روضة الصفا، ج5، ص69 – 70.

نحو الأقاليم الغربية التي يملكها كوجلوك خان[1]، وهذا من أهم الأخطاء التي وقع بها علاء الدين خوارزم، ونظير هذه المساعدة وانتصارهم على القراخطائيين طالب خوارزم شاه بنصف أملاكهم[2]، الأمر الذي رفضه كوجلوك خان وهدده بالمسير إليه[3]، فبدأ يتصيدهم على الحدود ويقتل كل من ينتمي إلى النايمان.

وفي سنة 615هـ/ 1218م وصلت جنكيز أنباء ما حققه كوجلوك من انتصارات على الخطا وسيطرته على عرشهم وامتداد سيطرته من نهر إيميل شرقاً إلى نهر سيحون غرباً، وكان وقتها منشغلًا بحملاته العسكرية في الصين الشمالية فأوقف عملياته وأسرع إلى منغوليا للاستعداد للقضاء على كوجلوك[4]. وبعث جنكيز جيشاً بقيادة جبة النويان مع كتيبة من الأتراك الإيغور يقودهم أميرهم إيدي قوت فسيطروا على كاشغر[5]، ثم ألقى القبض على على كوجلك خان وقطع رأسه[6]، وأمر جنكيز جنوده بقتل كل من يجدوه من قبيلة النايمان[7]،

وهكذا سيطر جنكيزخان على معظم المناطق وأصبحت أملاكه تجاور الخوارزميين[8].

ب- الخوارزميون (616هـ -620هـ/1219 م – 1223م):

---

[1] - -فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص44.

[2] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص340؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، ص25.

[3] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص340؛ الذهبي، دول الإسلام، ج2، ص112.

[4] - الصياد، المغول في التاريخ، ص24 ؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص471 - ص473؛ القزاز، الحياة السياسية، ص24.

[5] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص46- ص47؛ الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص33، ص49 - ص50؛ أبو الفدا، المختصر، ج2، ص217 - ص218؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج22، ص226؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص49؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، م3، ج1، ص27؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص24؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص471 - ص473؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص45- ص46؛ القزاز، الحياة السياسية، ص24؛ لامب، جنكيزخان، ص85؛ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج5، ص75- ص76.

[6] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج1، ص49 - ص50؛ أبو الفدا ، المختصر، ج2، ص217 - ص218؛ الذهبي، سير النبلاء، ج22، ص226؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص49؛ خواندمير، تاريخ حبيب السير، ج1، ص27؛ العريني، المغول، ص120؛ عكاشة، إعصار من الشرق، ص143؛الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص300؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص164؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص45؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج5، ص76 - ص77 .

[7] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص46.

[8] - الصياد، المغول في التاريخ، ص24 - ص25.

خضعت خوارزم لسلطان السلاجقة منذ سنة 434 هـ/ 1043م، وقد أقر سنجر سلطان السلاجقة قطب الدين محمد أنوشتكين[1] على ولاية خوارزم إلى أن توفي سنة 521 هـ/ 1128م[2]، فتولى بعده ابنه اتسز 521- 551 هـ/ 1128- 1156م، وكان تابعاً مخلصاً للسلطان سنجر، واستمر الوضع على هذه الحال إلى سنة 529 هجرية[3]، حيث بدأ اتسز يسعى للاستقلال مستغلًا التطورات السياسية والعسكرية بظهور دولة القراخطائيين[4]، فأعلن التمرد والعصيان وتمكن من توسيع نفوذه، ولما لم يكن قادراً على مواجهة عدوه استعان بالخطا وحرضهم على محاربة سنجر والاستيلاء على بلاد ما وراء النهر، وبعد هزيمة سنجر سلطان السلاجقة أمام الخطا بمعركة قطوان 536 هـ/ 1141م أصبحت بلاد ما وراء النهر تابعة لهم وتدفع لهم الجزية[5]. وفي سنة 538 هـ / 1143م استقل اتسز بخوارزم وأعمالها وأورثها بنيه بعد الاتفاق على التبعية لكور خان ملك الخطا ودفع الجزية السنوية له، فأصبح نهر سيحون فاصلاً بين ممتلكات القراخطائيين والخوارزميين[6].

وبعد وفاته سنة 552 هـ / 1157م تولى ابنه إيل أرسلان[7] وبعد وفاته 558 هـ/1173م[8]

خلفه ابنه تكش الذي استطاعت الدولة الخوارزمية بفضله التوسع غرباً، ولاسيما بعد طلب الخليفة العباسي الناصر لدين الله[1] الاستعانة به ضد آخر السلاجقة في العراق

---

[1]- قطب الدين محمد أنوشتكين : أنوشتكين هوأحد الاتراك في بلاط السلطان ملكشاه السلجوقي حيث كان يشغل وظيفة الساقي وكان له ولد اسمه محمد له علم وادب فعينه احد قادة السلطان بركياروق حاكما على اقليم خوارزم ولقبه خوارزم شاه وهو مؤسس الدولة الخوارزمية وبعد سلسلة من الصراعات والحروب بين السلاجقة والخوارزميين آلت السلطة الى ايل ارسلان الذي يعد اول سلاطين الخوارزميين مرورا= =بأولاده واحفاده ووصولا الى علاء الدين خوارزم شاه. ينظر:ابن الاثير،الكامل في التاريخ ،ج 8 ،ص184 ؛النسوي ، سيرة السلطان جلال الدين ، ص 34؛حمد الله مستوفي ،تاريخ كزيدة ،ص 450.

[2] - ابن الأثير، الكامل، ج10 ، ص 268؛ الجويني، جهانكشاي، ج2، ص2ابن كثير، البداية والنهاية، ص12، ص154؛ ؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص485.

[3] - الجويني، جهانكشاي، ج2، ص4.

[4] -حسنين، سلاجقة إيران والعراق، ص119 ؛الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص496 .

[5] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص118.

[6] - إقبال، تاريخ المغول، ص49؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص22؛ رجب، تاريخ المغول، ص10.

[7] - ابن الأثير، الكامل، ج11، ص71- 90.

[8] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص114 ؛ الجويني، جهانكشاي، ج2، ص17؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص535.

طغرل بك[2]، ومناه بتوليته على ما بيد طغرل بك من بلاد إن استطاع القضاء عليه في محاولة من الناصر تثبيت ملكه وغسل ما لحق الخلافة من إهانة وعار من قبل السلاجقة. فوجد تكش في عرض الناصر فرصة نادرة لتكوين دولة ذات كيان سياسي معلوم[3]، فالتقى جيوش خوارزم بالسلاجقة قرب الري 590 هـ/ 1193م، وقتل طغرلبك وانتصر عليهم ثم أرسل رأسه إلى الناصر[4].

وبعد هذا النصر توسعت الدولة الخوارزمية لتشمل كل ما كان بيد سلاجقة العراق من مدن وقلاع فاحتل عاصمتهم همدان 590 هـ/ 1193م، والري وأصفهان وعين عليها حكام من قبله ثم عاد إلى خوارزم[5]، حيث قضى باقي حياته محاولاً كسب بلاد جديدة، فحارب الخطا واستولى على بخارى سنة 594 هـ/ 1197م كما اصطدم بالطائفة الإسماعيلية عندما توسع غرباً وحاصر قلعتهم ألموت[6] وفرض عليهم جزية مقدارها مائة ألف دينار[7].

هذه السياسة التوسعية اصطدمت بالخلافة العباسية، ولاسيما بعد زوال حكم السلاجقة، فأورث تكش الصراع مع العباسيين لخلفائه وبقي مستمراً إلى زوال الدولة الخوارزمية[8].

ثم خلفه ولده علاء الدين محمد بعد وفاته سنة 596هـ/ 1173م الذي عمل منذ بداية ولايته على التخلص من تبعية الخوارزميين لدولة القراخطائية ودفع الضرائب التي تعود إلى نصف قرن مضى، فسار على وفق خطة استغرق تنفيذها عشر سنوات، حيث عمل على

---

[1] - الناصر لدين الله: هو احمد ابن المستضيء بامر الله ولد553 هـ/ 1158 م بويع له بالخلافة سنة 575 هـ/1179 م تعد فتره حكمه الأطول من بين الخلفاء الآخرين حيث حكم سبع وأربعون سنة وتوفي سنة 622 هـ/ 1225م وخلفه ابنه محمد الظاهر. ينظر: الذهبي، مختصر تاريخ ابن الدبيثي، ص102 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 22، ص 192؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 97- 98.

[2] - طغرل بك بن أرسلان: اخر حكام السلاجقة في العراق وصل اليه الحكم فجأة،و كانت ايام حكمه مضطربة،قتله الخوارزمين بطلب من الناصرسنة 590هـ/1193وبموته انتهت الاسرة السلجوقية في العراق.ينظر:الراوندي، راحة الصدور،ص463.

[3] - حمدي، الدولة الخوارزمية، ص29.

[4] - ابن الأثير، الكامل، ج12، ص50 .

[5] - حمدي، الدولة الخوارزمية، ص30.

[6] - قلعةألموت:تقع شمال غرب قزوين في جبال ألبرز امتازت بصعوبة مسالكها،ومعنى الاسم بالفارسية يعني عش الغراب. ينظر :ابن الاثير ، الكامل،ج8،ص38 ؛ الجويني ،جهانكشاي،ج2،ص313؛ ابو الفدا، المختصر في أخبارالبشر،ج2،ص214.

[7] - ابن الأثير، الكامل، ج12، ص71.

[8] - حمدي، الدولة الخوارزمية، ص33.

تقوية جيشه وتصفية أعدائه في الداخل، وترقب الفرصة لتنفيذ سياسته[1] إلى أن حلت سنة 604 هجرية 1207، إذ يعد بداية الصراع الفعلي معهم[2]، وذلك عندما جاءته رسالة من عثمان بن طغماج الملقب بسلطان السلاطين حاكم سمرقند الذي كان تابعاً للخطا يعرض عليه أن يكون تابعاً وحليفاً له متعهداً بدفع ما كان يدفعه لكورخان من أموال[3] للإطاحة بالخطا الكفار ومحاربتهم معه[4]، فعبرت جيوشه نهر جيحون والتقى بسلطان سمرقند وحصلت عدة معارك حتى وقع سلطان خوارزم أسيراً بيد الخطا إلا أنه تمكن من الهرب[5]، الهرب[5]، وفي سنة 607 هـ/ 1210م اتفقوا مرةً أخرى على محاربة الخطا فهزموهم[6]. فهزموهم[6].

ثم قصد ما وراء النهر وملكها مدينة مدينة حتى وصل أوزكند[7] وجعل نواباً عليها[8] ثم ثم جعل حكم بلاد ما وراء النهر إلى حليفه عثمان خان سمرقند وترك حامية خوارزمية ليضمن ولاءه وبسبب إساءة الحامية للشعب وتعديهم عليه واستغلاله لذا ثار عثمان ضدهم وقتل الحامية، بل قتل كل خوارزمي في بلاد ما وراء النهر، ثم أرسل إلى كورخان يدعوه إلى سمرقند ليسلمها له ويعود إلى طاعته[9].

---

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص40.

[2] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص40.

[3] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص291؛ الغامدي، الفتوحات الإسلامية، ص542 ؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص41.

[4] - الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص314.

[5] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص292 – 293؛ الغساني، العسجد المسبوك، ج2، ص315 - 316؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص127.

[6] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294 ؛الجويني، جهانشاي، ج2، ص211.

[7] -أُوزْكَنْد: بالضم، والواو والزاي ساكنان، بلد بما وراء النهر من نواحي فرغانة، و كند بلغة أهل تلك البلاد تعني القرية كما يقول أهل الشام الكفر و آخر مدن فرغانة مما يلي دار الحرب، ولها سور وقهندز وعدّة أبواب وإليها متجر الأتراك، ولها بساتين ومياه جارية. ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان،ج1،ص280.

[8] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294؛ بارتولد، تركستان، ص523 ؛ الغامدي، الفتوحات، الإسلامية، ص543- 544.

[9] -ابن الأثير، الكامل،ج9، ص294؛ بارتولد، تركستان، ص524؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص42.

وعلى إثر ذلك عاد خوارزم شاه إلى سمرقند مقتحماً إياها وقضى على عثمان خان ثم أرسل إلى أمراء فرغانة وباقي أمراء تركستان يدعوهم للخضوع والطاعة فملك تركستان وبلاد ما وراء النهر سنة 609هـ/1213م [1].

وهكذا جاور علاء الدين محمد أعداءه القراخطائيين إلا أن دولتهم أصيبت بالتصدع نتيجة حرب كوجلوك ضدهم كما ذكرنا سابقاً، ومن ثم ساعده ضد القراخطائيين فأصبح مجاوراً لأملاك كجلوك الذي حل محل القراخطائيين . وبقضاء جنكيز خان على ملك النايمان أصبحت أملاك جنكيز خان مجاورة للخوارزميين.

وكانت غاية جنكيز خان توحيد القبائل المغولية، وبعد تحقيق هذا الهدف اتجه شرقاً إلى الصين حلم المغول الكبير بما تحويه من كنوز وخيرات ومراعي، ولم يكن يطمح في توجيه جيوشه غرباً إلا بقدر تثبيت امبراطوريته[2].

لذلك نجد أنه ترك إتمام فتح الصين وتوجه لمقاتلة كوجلوك عندما استولى على الدولة القراخطائية وجمع حوله كل من هرب من جنكيز خان فكون جيشاً عظيماً عند الحدود الغربية للامبراطورية، وهو ما يشكل تهديداً لجنكيز فقرر التوجه غرباً بعد أن قضى على أسرة كين سنة 615هـ - 1215م.

وعند انشغال جنكيز خان بحربه ضد دولتي الخطا والصين، كان علاء الدين محمد خوارزم شاه منشغلاً في الوقت نفسه بفتوحاته في بلاد ما وراء النهر وممالك الغوريين، وقد وصلته أخبار احتلال الصين[3] التي كان خوارزم شاه يطمح في السيطرة عليها ويتطلع لمعرفة أحوالها[4]، فأرسل سفارة بهاء الدين الرازي[5] سنة 612هـ/1215م إلى جنكيزخان رغبةً منه للتأكد من سقوط الصين بيد المغول، وكذلك ليجمع معلومات عن المغول وقوتهم العسكرية[6].

---

[1] - ابن الأثير، الكامل، ج9، ص295؛ بارتولد، تركستان، ص524- 525.
[2] - التونجي، بلاد الشام إبان الغزو المغولي، ص31.
[3] - التونجي، بلاد الشام إبان الغزو المغولي، ص32.
[4] - الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص122.
[5] - ذكر الجوزجاني بأنه سمع منه وقال عنه أنه سيد شريف الذات طيب النسب . ينظر: طبقات ناصري، ناصري، ج2، ص121.
[6] - الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص121؛اقبال ،تاريخ المغول،ص62؛بارتولد، تاريخ تركستان،ص 563 .

وقد رحب جنكيز بهذه السفارة واعترف بخوارزم شاه سلطاناً على الغرب، كما أنه أرسل سفارة إلى خوارزم شاه وبعث له الهدايا[1]، فكانت بداية العلاقة بينهما حسنة، ووقعت اتفاقية تجارية بين الطرفين، وقد حرص جنكيز خان على البعد الاقتصادي فأمن حركة التجار بين شرق وغرب آسيا، وزود المسالك بالحراس للحماية من قطاع الطرق، وأمر الحراس بمرافقة كل من يحمل تجارة حتى يوصلوه إلى معسكرات المغول[2].

وهكذا بدأ التبادل التجاري بين الدولتين ثم حدث ما قطع العلاقات وتبدلت إلى علاقات عدائية حيث سار ثلاثة من تجار بخارى يحملون بضائع من ثياب مذهبة تليق بالأمراء والملوك أخذها منهم جنكيز وأكرمهم وعاملهم معاملة ممتازة ولما هموا بالرحيل أمر جنكيز بأن يرسل كل أمير في دولته وكل قائد من قواده رجلاً أو رجلين من أتباعه بتجارة إلى غرب آسيا وبيعها في خوارزم وشراء بعض منتجاتهم[3].

وبلغ عدد هؤلاء التجار أربعمائة وخمسين رجلًا[4] يرافقهم خمسمائة من الجمال المحملة بالذهب والفضة وحرير الصين[5] إضافةً إلى تحف وهدايا بعثها جنكيز إلى خوارزم شاه[6] شاه[6] مع رسول يحمل له رسالة يقول فيها: **"إن التجار وصلوا إلينا وقد أعدناهم إلى مأمنهم سالمين غانمين وقد سيرنا معهم جماعة من غلماننا ليحصلوا من طرائف تلك الأطراف، فينبغي أن يعودوا إلينا آمنين ليتأكد الوفاق بين الجانبين وتنحسم مواد النفاق من ذات البين"**[7].

وعندما وصل التجار إلى مدينة أترار[8] سنة 615هـ/ 1218م [1]، وقيل سنة 616هـ/ 616هـ/ 1219م [2]، كان يحكم المدينة ينال خان الملقب بغاير خان[3] ، وقد طمع في

---

[1] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج44، ص22.
[2] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص199.
[3] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص51.
[4] - اختلف المؤرخون في عددهم فابن العبري يقول أنهم مائة وخمسون تاجرًا ما بين مسلم ونصراني وتركي، وذكر النسوي أنهم أربعة تجار فقط، في حين لم يشر ابن الأثير والجوزجاني وابن خلدون إلى عددهم. ينظر: النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص85.الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص123؛ابن العبري، تاريخ مختصرالدول، ص200.
[5] - الجويني، جهانكشاي، ج1، ص98.
[6] - الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص123.
[7] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص200.
[8] - اترار: بلده تقع في أقصى الحدود الشرقية للدولة الخوارزمية من طرف ممالك جنكيز خان بساحل نهر سيحون وتعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها. ينظر:الرمزي، تلفيق الأخبار، ص353؛ البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، ص114؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص52.

أموالهم الضخمة، فأرسل إلى خوارزم شاه يخبره بخبرهم وأنهم جواسيس وليسوا بتجار، فجاءه الرد يأمره بحبسهم حتى ينظر في أمرهم، لكن ينال تصرف عكس ذلك فقتلهم وصادر أموالهم[4]. ومن المؤرخين من يرى أن الآمر بقتلهم هو السلطان علاء الدين خوارزم شاه[5]، وأياً كان من أمر بقتلهم فإن هذا العمل الشنيع قاد إلى الدمار والفناء وكان سبباً في تأجيج الفتنة بين الخوارزميين والمغول؛ لأنه لم يحترم المواثيق فاستقدم الخراب، كما عبر الجويني[6] عن ذلك بقوله:**"ولم يعلم أن دماءهم ستحول الدنيا خراب"**، أو كما قال الجوزجاني[7] :**"وأن يكون هذا الغدر سبباً في تخريب الديار"**، ويبدو من ظاهر الأخبار أن السلطان محمد خوارزم هو المسؤول مسؤوليةً مباشرةً عن قتل التجار، إما بإصدار الأمر كما ذكرٍ فريق من المؤرخين ذلك، أو أنه تغاضى أو أيد فعلة ينال، ومن ثم يكون هو المسؤول الأول عن هذه الحرب وفناء الدولة، وكان يمكن لخوارزم شاه إعادتهم إلى بلادهم دون قتلهم وبذلك لا يدع حجةً لجنكيز بإعلان الحرب ضدهم.

وبعد وصول أخبار تلك المذبحة إلى جنكيز خان رغب في تسوية المسألة سلمياً فأرسل رسولاً يدعى ابن كفرج بغرا وهو ابن أحد أمراء السلطان علاء الدين تكش والد علاء الدين محمد ومعه اثنان من المغول[8] يحملون رسالةً من جنكيز خان فيها تهديد ووعيد ويطلب فيها تسليم حاكم أوترار تكفيراً عما حدث[9]، وقد جاء فيها:**"إنك قد أعطيت خطك ويدك بالأمان للتجار وأن لا تتعرض إلى أحد منهم فغدرت ونكثت والغدر قبيح ومن سلطان الإسلام أقبح، فإن كنت تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمر صدر منك فسلم ينال خان إلي لأجازيه على ما فعل**

---

[1] - الرمزي، تلفيق الأخبار، ص353؛ غروسه، قاهر العالم، ص257.
[2] - ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص79.
[3] - الرمزي، تلفيق الأخبار، ص353.
[4] - النسوي، سيرة السلطان منكبرتي، ص84؛ الجوزجاني، طبقات ناصري، ص123؛ أبو شامة، نزهة المقلتين، ص28.
[5] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص336؛الجويني، جهانكيشاي، ج1، ص98؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص200؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج1، ص330؛ الرمزي، تلفيق الأخبار،ص 354؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص52.
[6] - الجويني، جهانكشاي، ج1، ص99.
[7] - الجوزجاني، طبقات ناصري، ج2، ص123.
[8] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص87.
[9] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص54.

حقناً للدماء وتسكيناً للدهماء وإلا فأذن بحرب ترخص فيها غوالي الأرواح"[1]، ولما قرأ علاء الدين الدين محمد رسالة جنكيز خان أمر بقتل ابن كفرج ومن معه من المغول سنة 615هـ/ 1218م[2].

وهذا خطأ آخر يرتكبه السلطان، فالرسل لا يقتلون، وقد عبر النسوي[3] عن هذا الفعل بقوله: **"فيا لها من قتلة هدر دماء الإسلام وأجرت بكل نقطة سيلاً من الدم الحرام"** ويبدو أن خوارزم شـــاه

خاف عاقبة تسليم ينال خان الذي هو ابن خاله[4]، وقيل بل هو خاله، أي أخو تركان خاتون[5]، التي كان لها نفوذاً واسعاً وسلطة كبرى، فإنها تتمتع بنفوذ سياسي وإداري كبير؛ بدليل قدرتها على إقناع ابنها محمد خوارزم شاه على تولية أقاربها المناصب المهمة ومنهم ينال، وهي التي أطلقت عليه لقب غاير خان[6]. كما أنها كانت تتحكم بمعظم الجيوش الخوارزمية كون أغلب القادة والجيوش من عشيرتها ويدينون لها بالولاء؛ لذلك خاف السلطان من عاقبة الأمر؛ لأنه إذا سلم ينال خان خشي أن تقوم ضده ثورة، أو يتمرد ضده كبار رجال الجيش والدولة، فكلهم من أقاربها[7].

إن عدم تسليم ينال خان يعد إعلان حرب، وهو مافعله جنكيز خان بعد أن استنفذ الطرق السلمية والتفاوض معه، فقد أعلن الحرب على السلطان علاء الدين محمد وبعث له برسالة

---

[1] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص87.
[2] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص54.
[3] - سيرة جلال الدين، ص88.
[4] - بارتولد، تركستان، ص568 ؛ حطيط، حروب المغول، ص29؛حمدي، الدولة الخوارزمية، ص73؛الصياد، المغول، ص103 فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص52؛.
[5] - الذهبي، تاريخ الإسلام، ص23 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص553؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص368؛ حطيط، حروب المغول، ص29.
[6] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، م1، ج1، ص98.
[7] - النسوي، سيرة السلطان، ص87 -88؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص230؛ الذهبي، تاريخ تاريخ الإسلام، ج11، ص23؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص553؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص368؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص159؛ بارتولد، تركستان، ص570؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص73؛ الصياد، المغول، ص105؛ فابري، تاريخ بخارى، ص158؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،، ص54.

مختصرة قال فيها: **"أنت الذي اخترت الحرب ولا مرد للقدر وإننا نجهل العاقبة وعلمها عند الله"**[1].

واستعد للحرب وعقد مجلسه العسكري تاركاً إتمام فتح الصين لأحفاده.

وبهذا الصدد يذكر الجويني[2] أن جنكيز خان أرسل الرسل إلى الأطراف طالباً منهم المدد مستحثاً إياهم على رد الوصمة والعار بقتل التجار وكان في طليعة من استجاب بالمال والرجال أرسلان خان أمير القرلق، وكان قد انضم إلى جنكيز خان سنة 608هـ/ 1211م وهو أول أمير مسلم من الترك ينضم إليه وأمير الإيغور إيدي قوت الذي كان قد انضم لجنكيز في سنة 606 ورافقه في حروبه في الشرق[3]، ومن المماليغ[4] سقنان تكين[5]، وتقدمت الجيوش نحو ما وراء النهر سنة 616هـ/ 1219م، ويرى المؤرخون أن أن قوات المغول كانت ما بين 150-200 ألف جندي وجيش الخوارزمين أكثر من ذلك حيث ذكر أن الخوارزميين بلغ عددهم الأربعمائة ألف، وقيل ثلاثمائة وخمسين ألفاً[6].

غير أن ضعف همة السلطان علاء الدين خوارزم وحالة الخوف والتوتر التي عبر عنها الجويني[7] بقوله :**"كان السلطان حائراً في أوضاعه متردداً مشتت الخاطر .... يستشير كل فرد من أركان دولته ويسألهم علاجاً لحل هذه المعضلة"**وهاله ما وصله من أخبار جواسيسه عن المغول وكثرة جنودهم وأسلحتهم ومعداتهم فندم على فعلته واستدعى أمراءه ورجال دولته واستشار أولاً الفقيه الشهاب الخيوفي[8]، وكان عنده كبير المحل فأشار عليه بأن يكاتب عمال الأطراف وأن يجمع العساكر ويسير بهم إلى ضفاف نهر سيحون وينتظر قدوم المغول الذين

---

[1] - لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص97.

[2] - جهانكشاي، ج2، ص100.

[3]- الجويني، جهانكيشاي، ج2، ص100.

[4] - الماليغ : إحدى القبائل التركية التي سكنت المناطق الحدودية من تركستان. ينظر: غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص230.

[5] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص230.

[6] - الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص369؛ التونجي، بلاد الشام، ص35؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص57.

[7] - الجويني، جهانكشاي، ج2، ص14.

[8] - الإمام شهاب الدين أبو سعد بن عمر من فقهاء المذهب الشافعي ومن فقهاء خوارزم المعروفين فقيه فاضل جمع الفقه واللغة والطب وسائر العلوم كان له منزلة عظيمة عند السلطان يشاوره في الأمور العظام وكان قد فر من خوارزم إبان فتنة المغول ولجأ إلى مدينة نَسا في خراسان، إلا أنه قتل على أيديهم بها في سنة 618. ينظر:ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص337؛ النسوي، سيرة السلطان منكبرتي، ص109؛ إقبال، تاريخ المغول، ص104.

قد ساروا مسافةً بعيدةً فيصلون منهكين وجيشه مستريح فيمنعهم من عبور النهر ويمكن التغلب عليهم سريعًا[1] فلم يوافقوه على رأيه.

وأشار بعضهم بأن يترك المغول يعبرون سيحون وهم لا يعرفون مسالك البلاد وممراتها فيتيهون بها وتنهك قواهم فيسهل القضاء عليهم[2] ، ومنهم من أشار عليه بعدم الصدام مع المغول والانسحاب إلى الهند أو غيرها[3]، وبعد طرح عدة آراء في مجلس السلطان انتهى إلى أن يقاتل المغول في مناطق بلاد ما وراء النهر وأن يلجأ لتحصين مدنها واستحكاماتها فأمر بأن يجبى الخراج ثلاث مرات في تلك السنة ليبني سوراً حول سمرقند ثم يشحنها بالرجال لتكون سداً دون المغول وسائر الأقاليم لكنه لم يتمكن من بناء السور لوصول المغول، ولما سمع بوصول جنكيز فرق عساكره بمدن ما وراء النهر[4].

وهذا يعد من أهم الأخطاء الفادحة التي خسر بسببها تلك الحرب، فلو جمع قواته كاملةً وتصدى للمغول الأقل عددًا لتمكن من هزيمتهم غير أنه رأى أن يفرق جنده على مدن ما وراء النهر حسب أهميتها، فقد عزز مدينة أترار بخمسين ألف مقاتل[5]، وبخارى بثلاثين ألف مقاتل[6].

وربما يكمن السبب في هذا التصرف بأنه لم يكن يثق بقادته فكان يخشى تجمع الجيش بيد قائد واحد فيعلن التمرد عليه بعد الانتصارعلى المغول[7]، أو لأنه قدّر أن المغول سيكتفون بأعمال السلب والنهب ثم يغادرون، أو ربما فضل أن يلتقي المغول متحصناً بالمدن، ومن المرجح أنه لم يكن يثق بقادة جيشه ولا بأمه التي كان أغلب القادة موالين لها[8].

- إقليم ما وراء النهر:

---

[1] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص337.
[2] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 337؛ بارتولد، تركستان، ص573.
[3] - الجويني، جهانكشاي، ج2، ص16؛ إقبال، تاريخ المغول، ص66.
[4] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص90.
[5] - الجويني، جهانكشاي، ص101.
[6] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص90.
[7] - التونجي، بلاد الشام، ص35.
[8] - إقبال، تاريخ المغول، ص66؛ التونجي، بلاد الشام، ص35؛ الصياد، تاريخ المغول، ص24.

اندفعت الجيوش المغولية إلى بلاد ما وراء النهر عبر طريق وادي إيلي شمال فرغانة[1]. ومن الطبيعي أن تكون أترار أول هدف لهم كونها أول مدينة تقابلهم وحاكمها ينال خان الذي كان سبباً في الحملة.

وقام جنكيز خان بتقسيم جيشه إلى أقسام أربعة، وحدد لكل قسم المنطقة التي يجتاحها كما يأتي :

القسم الأول: حدد مهمته بمحاصرة مدينة أترار والاستيلاء عليها بقيادة ولديه جغتاي وأوكتاي ومعهم سبعة تومانات[2]- والتومان عشرة آلاف بلغة المغول[3]- واستطاع هذه القسم القسم بعد محاصرة أترار خمسة أشهر من اقتحامها وإلقاء القبض على ينال الذي بعثوا به إلى جنكيز قرب سمرقند فنكل به وقتله[4].

القسم الثاني: كان بقيادة ولده الأكبر جوجي ووجهته مدينة جند التي تعد إحدى أهم القلاع الإسلامية على نهر سيحون[5]،وبعد أن استولى عليها أصدر أوامره بالعبور إلى إقليم خوارزم[6].

القسم الثالث: توجه نحو مدينتي بناكث وخجنده، وهاتان المدينتان سلمهما أهلها من دون مقاومة سنة 616 هـ - 1219م، واتجه بعد ذلك نحو بخارى.

والقسم الرابع الذي يشكل القسم الأعظم من الجيش والقوة الرئيسية بقيادة جنكيز خان وولده تولوي توجه نحو بخارى فاستباحها وحرقها[7]، وبعدها توجه نحو سمرقند- وتقع في دولة أوزباكستان حالياً- ففتحها في العاشر من شهر محرم سنة 617 هـ - 1220م، ثم أباحها قتلًا وتدميرًا[8].

---

[1] - مارشال، عاصفة من الشرق، ص50.
[2] - التونجي، بلاد الشام، ص35.
[3] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص58.
[4] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص93.
[5] - فضل الله الهمذاني، التاريخ الغازاني، ص228 - 229؛ التونجي، بلاد الشام، 35؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص58.
[6] - حمدي، الدولة الخوارزمية، ص140.
[7] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص338؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ص230؛ فامبري، تاريخ بخارى، ص165 .
[8] - حمدي، الدولة الخوارزمية، ص119 - 120؛ ميرخواند، روضة الصفاء، ج5، ص93.

وكان سقوط مدينة سمرقند حاضرة إقليم ما وراء النهر تتويجاً لأعمال المغول العسكرية ونصر مهم لهم، وقبل أن يغادرها جنكيز خان فرض على أهلها جزية مقدارها (300,000 دينار) واصطحب معه إلى قرقورم من أهل الحرف والصناع ما بلغ (30,000) منهم ليعملوا هناك[1].

ويعد الإجهاز على إقليم ما وراء النهر ضربة قاسية وموجعة للخوارزميين؛ لأنه خط دفاعهم الأول فانهارت تبعاً لذلك معنوياتهم وتحطمت خططهم مما سهل على المغول الاستيلاء على باقي أقاليم الدولة الخوارزمية، فإنهم عندما لم يجدوا من يقف بوجههم انقضوا على المدن واحدةً بعد الأخرى.

وكانت تركان خاتون والدة علاء الدين خوارزم شاه التي كانت تسيطر على إقليم خوارزم أهم ولايات الدولة تتابع أخبار المعارك وهزائم الجيش الخوارزمي، وعندما أيقن خوارزم شاه بالهزيمة أرسل إلى أمه تركان يطلب منها أن تغادر إلى إقليم مازندران لتأمن على نفسها ومن معها، فغادرت وهي تحمل خزائنها إلى قلعة إيلال بمازندران[2]، فتتبعها المغول وأسروها ثم صحبوها معهم إلى عاصمتهم قراقورم وماتت هناك سنة 630هـ -1233م[3]، وبعد مغادرتها إقليم خوارزم هي وحاشيتها لم يبق فيها أي نوع من الإدارة أو من ينظم المقاومة، فدخل المغول بكل سهولة للإقليم وهو في حالة من الفوضى[4] والانهيار التام، واستولوا على حاضرتها الجرجانية[5].

وعلى إثر الهزائم التي ألحقها المغول بالدولة الخوارزمية فر علاء الدين خوارزم من قوات المغول التي بدأت تطارده حيث ما ذهب ونزل، ولما بلغه أسر والدته وأبنائه أصابه الهم والانكسار فانسحب مع 20,000 من جنوده[6]، وظل في حالة هروب مستمر من

---

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص64.
[2] - الذهبي، العبر، ج10، ص344.
[3] - النسوي، سيرة جلال الدين، ص؛97ميرخواند، روضة الصفاء، ج5، ص107؛.
[4] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،، ص65.
[5] -التونجي، بلاد الشام، 37.
[6] - الذهبي، العبر، ص59؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص65.

المغول حتى وصل إلى جيلان وآمل[1]، وحين أحس بدنو المغول ركب سفينةً إلى جزيرة أبسكون[2] التي وصلها وقد اشتد عليه المرض فمات في شوال 13 سنة 617- 1220[3].

-المقاومة الخوارزمية :

بعد وفاة خوارزم شاه تقدم أولاده الثلاثة جلال الدين منكبرتي، وآق شاه، وأوزلاغ شاه وعبروا البحر إلى إقليم خوارزم لمقاومة المغول ومواجهتهم، واستطاع منكبرتي[4] الذي خلف أباه أن يجمع الكثير من الجند فكون جيشاً كبيراً، لكن هذا الجيش يتكون من القبائل التركية التي تنتمي لها تركان خاتون، والتي لم ترض أن يتولى جلال الدين الحكم من بعد أبيه، فلم يجد غير القوة لقمعهم، غير أنهم تآمروا على قتله ففر إلى خراسان ومعه 300 فارس[5]، وهناك التقى بالمغول ففر إلى نيسابور، أما أخواه فقد وقعا في الأسر وقتلهم المغول[6].

وصدرت الأوامر من جنكيزخان لتولوي بالسير إلى خراسان خريف 617هـ- 1220م، وكانت مهمته الاستيلاء على مرو حاضرة الدولة الخوارزمية[7].

وفي الوقت نفسه عبر جنكيز خان إلى الضفة الغربية لنهر جيحون واحتل مدينة بلخ سنة 618 هـ - 1221م، وانتشر المغول بعد ذلك في خراسان، إذ توجه تولوي بعد مرو إلى نيسابور فدخلها، ثم توجه إلى هرات التي تعد آخر مدن خراسان التي استسلمت له، ودخلها وجعل عليها حاكماً مسلماً تحت رقابة المغول، وبذلك أتم احتلال إقليم خراسان، وبعدها

---

[1]- امل وجيلان: من اكبرمدن طبرستان تقعان على شواطئ بحر الخزر. ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج1،ص57؛ الصياد، تاريخ المغول، ص39.

[2]- أبسكون : جزيرة في بحرالخزر(قزوين). ينظر:ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج1،ص343.

[3] - النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص108؛التونجي، بلاد الشام، ص36؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص65.

[4] - منكبرتي : هو جلال الدين منكبرتي بن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه،تولى حكم الخوارزميين وبلاد ما وراء النهر بعد وفاة والده سنة 617هـ/1220م.،قتل على يد احد الاكرادسنة628هـ/1231 عندما فر متخفيا من المغول .ينظر: ابن الاثير، الكامل ،ج12،ص369؛الذهبي ، العبر،ج5،ص114؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص91.

[5] - ؛ البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، ص137؛حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص163؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص65.

[6] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص66؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص163.

[7] - البهجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الإسلامية، ص143؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص175؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص 68.

جاءته رسالة جنكيز تأمره بالقدوم إلى الطالقان أعلى نهر جيحون لأنه اعتزم الرحيل إلى منغوليا [1].

أما جلال الدين منكبرتي فقد اتخذ من غزنة[2] قاعدةً له، وبدأ يجمع الرجال حوله، وخرج سنة 618 هـ -1221م إلى السهول المحيطة ببروان شمال شرق غزنة وقاتل طلائع الجيش المغولي فقتل منهم ألفاً وفر الباقون إلى جنكيز خان ينقلون له الأخبار[3]، فأرسل جيشاً كبيراً ودارت معركة شديدة انتهت بانسحاب قسم من جند منكبرتي، فأيقن بالهزيمة، فقرر الانسحاب إلى غزنة، ثم فارقها إلى غرب نهر السند[4] وجيوش المغول تتبعه، وحدثت معركة عندضفاف نهر السند في نفس السنة 618هـ / 1221م، انهزم على إثرها جلال الدين وفر إلى الهند بعد عبوره نهر السند[5]، وحاول بعض المغول اللحاق به لكن جنكيز منعهم[6] .

إذن نجح المغول في تقويض أركان الدولة الخوارزمية دافعين بسلطانها منكبرتي إلى الالتجاء للهند والمكوث فيها.

وهكذا نجد أن خطة جنكيز خان كانت منظمةً صعب على خوارزم شاه- الذي لم يحسن التخطيط في كل شيء بتة- مجابهتها؛ لذلك ترتب عليها احتلال المغول إقليم خوارزم في فترة قصيرة لا تزيد على أربع سنوات، إذ وصل جنكيز خان إلى حدودها الشرقية سنة 616- 1219 وأخضعها، ثم عاد سنة 620هـ - 1223م إلى بلاده ووصل إلى قراقوم

---

[1] - حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول، ص175؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص 68.

[2] - مدينة غزنة: وهي مدينة قصبتها غزن، وهي ولاية واسعة تقع في طرف خراسان مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء وجودة التربة، وهي جبلية، شمالية، بها خيرات واسعة .ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4 ،ص201؛ القزويني، آثار البلاد، ص429؛ لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ص458 - ص460.

[3] - ابن الاثير، الكامل، ج10، ص362؛الجويني ،جهانكشاي،ج2، ص42 ؛ مرسي، المغول، ص86 ؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص75.

[4] - ابن الاثير، الكامل، ج10، ص362؛ النسوي، سيرة منكبرتي، ص156؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ص259؛ غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص300.

[5] - النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص 158؛ الجويني، جهانكشاي، ج1، ص140؛ إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص372؛ ؛ بارتولد، تركستان، ص625؛ ستوف،حياة جنكيز خان،ص189؛غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص300؛.

[6] - الجويني، جهانكشاي، ج2، ص45؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ص260؛ بارتولد، تركستان، ص625؛غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، ص300.

سنة 622هـ - 1225م، وكان ملك التنجوت قد أعلن تمرده في شمال التبت فأعد العدة وأعلن الحرب عليه وهزمه مشتركاً بنفسه في هذه الحرب، لكنه مات سنة 624هـ - 1227م، وهو في سن الثانية والسبعين ولم تكن الحرب قد انتهت[1].

المطلب الثالث: تقسيم المملكة بين أبناء جنكيز خان

كان لجنكيز خان زوجات عدة، إلا أن زوجته المفضلة والمقربة هي يسونجين بيجي، وهي أكبرهن سناً ولها مكانة كبيرة في حياة جنكيز خان، لذا كان لأبنائها مكانة كبيرة وميزة لدى والدهم بحسب تقاليد المغول، وكان لجنكيز خان تسعة أولاد، أربعة منهم من زوجته المقربة يسونجين بيجي وهم : جوجي "أو توشي"، وجغتاي، وأقطاي، وتولوي ويلقب بـ" تولي"، فكان جنكيز يعتمد عليهم اعتماداً كلياً في حروبه، فضلاً عن ذلك فقد كلف كل منهم في حياته بتنفيذ جزء من تقاليد المغول والقيام بالشؤون الملكية والقومية، بغية تدريبهم على مباشرة مهام الحكم وتحمل المسؤوليات[2] فاختار أكبرهم وهو جوجي للصيد الذي كان من أولويات لوازم الحرب عند المغول، أما ابنه الثاني جغتاي فكلفه بتنفيذ الأحكام الجنكيزية والعقوبات، في حين فوض ابنه الثالث أقطاي إدارة شؤون الامبراطورية، وأعطى مهمة تعبئة الجيوش وتجهيزها لابنه الرابع تولي، أما ابناءه الثلاثة من زوجاته الأخريات فان لكل واحد منهم لقب في الجيش المغولي ويؤدون مهامهم العسكرية فيه تحت قيادة أخوتهم وأبيهم[3].

وقد رأى جنكيز خان بأن يقسم مملكته على أولاده وهو على قيد الحياة، وطبقاً للقانون المغولي على الأب أن يعطي قبل وفاته قسماً من أملاكه لأبنائه الكبار بحسب عمرهم ويترك الجزء الأهم لأصغر أبنائه وقد تم التقسيم وفق الآتي:

أولاً: كان نصيب جوجي ابنه الأكبر البلاد الواقعة بين نهر أرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، وكانت تلك البلاد تسمى بأسم "القبجاق" ويطلق عليها اسم القبيلة الذهبية نسبة

---

[1] - ابن الاثير، الكامل، ج10، ص362؛الجويني ،جهانكشاي،ج2، ص42؛ إقبال، تاريخ المغول، ص103، فهمي، تاريخ الدولة المغولية،ص80.

[2]- البهيجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الاسلامية، ص 187.

[3]- إقبال، تاريخ المغول ، ص136.

إلى خيم معسكراتها ذات اللون الذهبي، وكان أغلب أهلها من الاتراك والتركمان، ولما كان جوجي قد توفى قبل وفاة أبيه صارت تلك المنطقة من نصيب ابنه باتو حفيد جنكيز خان[1].

ثانياً: أعطى ابنه الثاني جغتاي بلاد الأويغور، وإقليم ما وراء النهر وكاشغر وبلخ وغزنة[2].

ثالثاً: وخص أوكتاي ابنه الثالث (ولي العهد) قسما يقل عن نصيب أخوته وينحصر في مناطق جبال تار باجاي وأطراف بحيرة الاجول وحوض نهر إيميل الذي يصب في تلك البحيرة ويقع غرب منغوليا[3].

رابعاً: وأعطى ابنه تولوي منغوليا المنطقة الاصلية لجنكيزخان وآباءه وأجداده وتشمل وديان أنهار كرولين وأونن وأرخن ومنطقة قراقورم، وقد حكمها تولوي مدة سنتين 624-626هـ بصفته وصياً على العرش طبقاً للعرف المغولي وبمساعدة ثلاثة من المستشارين إلى أن انتخب الخان الجديد خلفاً لجنكيز خان[4].

وبعد وفاة جنكيزخان ظل العرش خالياً لمدة سنتين، مما دفع كبار الأمراء إلى الاتفاق على عقد مجلس الشورى (القوريلتاي) فأجمعوا في مجلسهم على أن يكون أوكتاي الخان الجديد، لكن الأخير حاول التنحي عن المنصب لأخيه تولوي، لكونه أجدر منه في الحكم طبقاً لقوانين المغول من جهة، ولأنه كان ملازماً لوالده ليلاً ونهاراً وله اطلاع واسع على مفاصل الحكم وقوانينه، غير أن أقاربه وأخوته أغلقوا عليه كل الأبواب وأصروا على تولي المنصب فأجلسوه على العرش وأعلنوا في المجلس بأنه الخان في سنة 626هـ، وعلى الرغم

---

[1] - الـــــــويني ،جهانكشـــــــاي ،ج1، ص73؛ ابـــــــن خلـــــــدون،تاريخ ابـــــــن خلدون،ج5،ص506؛المقريزي،السلوك،ج1،ص394.

[2] - الجويني ،جهانكشاي ،ج1، ص74؛ ابن العبري،تاريخ مختصر الدول،ص396؛القلقشندي،صبح الاعشى،ج4،ص312.

[3]- الصياد، المغول في التاريخ، ص 165؛العريني ،المغول ،ص158.

[4]- الجويني ،جهانكشاي ،ج1، ص 74؛الصياد، المغول في التاريخ، ج1، ص164 – 165.

من توزيع الامبراطورية على أبناء جنكيز خان الأربعة إلا أن دولة المغول ظلت متحدة ومترابطة تحت قيادة الخان الأعظم [1].

ويبدو أن حصول هذا الأمر بهذه الكيفية يُعد أول خرق لقوانين المغول وأعرافهم، وبطبيعة الحال سيكون هذا الأمر له مردودات سلبية على علاقات أبناء جنكيز خان فيما بعد.

[1]- البهيجي، تاريخ المغول وغزو الدولة الاسلامية، ص188- 189.

الفصل الاول

المبحث الثالث

واقع الدولة الاسلامية قبل حركة المغول

(232-656 هـ /847-1258م)

المبحث الثالث

واقع الدولة الإسلامية قبل حركة المغول(232-656هـ/847-1258م):

تقرر في الحكمة قديماً، أن كل فاعل لابد له من قابل، وإلا لم تكن ثم فعلية؛ لانتفاء موضوعها كما لا يخفى. ونريد بـ (الفاعل) هنا الدولة المغولية، وبـ (القابل) الدولة العباسية؛ إذ لو كانت دولة قوية كأول عهدها لما تجرأ المغول على التفكير في الدنو من حدودها.

وعليه لا بد من تمييز أهم العوامل المؤثرة على وجه الإجمال- سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، ونحو ذلك- التي حفزت المغول ودفعتهم على تفعيل حركتهم واتخاذهم القرار الأهم في تاريخهم، وهو اجتياح الدولة الإسلامية والقضاء على الخلافة العباسية. ولم يتخذ هذا القرار- الذي يبدو أنه اعتمد في حياة جنكيزخان- إلا بعد الإحاطة علماً بأحوال الدولة العباسية البائسة، ومعرفتهم بما هي عليه من وهن وتفكك وفساد وضعف على المستوى السياسي والعسكري والإداري.

وهنا لابد من التنبيه إلى مسألة دقيقة في غاية الأهمية، بل يمكن عدها من أهم العوامل المؤثرة في انهيار الخلافة الإسلامية، وقد أهمل جانبها أغلب المؤرخين، بل تغافلوا عنها، لأسباب إثنية وطائفية معروفة، وهي أن الغالب على تركيبة الجيش الإسلامي وقادته في الدولة العباسية كان العنصر التركي، وعندما حان وقت الاصطدام مع المغول التحق كثير من هؤلاء مع الجيش المغولي[1]؛ إذ تجمعهم أرومة واحدة معهم كما لا يخفى، فطغى الانتماء القومي والعرقي على الانتماء الاسلامي، كما أشرنا فيما تقدم إلى ذلك ، وليس بغريب في ظل الظروف القائمة آنذاك بل هذا أمر واضح وحاصل فعلاً حتى في عصرنا

[1] - الجويني، جهانكيشاي، ج2، ص100؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1، ص154؛ الامين،الغزو المغولي،ص132؛ شبر،خلفاء بني العباس،ص538.

هذا، وأصبح مورد فخر واعتزاز يقدم على الانتماء الإسلامي، ولاسيما عند الذين ينادون بانتمائهم إلى العنصر الآري أو الطوراني[1]، وللكلام بقية سنأتي عليه.

نحن لو تأملنا في ظروف الدولة الإسلامية وأحوالها السائدة على مختلف الأصعدة لوجدنا أن واقعها الفعلي يمثل أهم الأسباب التي أدت إلى حركة المغول، ومن ثم انهيار الدولة الإسلامية والقضاء على الخلافة العباسية، ويمكن أن نُجمل هذه الأحوال بما يأتي:

أولاً: ضعف الخلافة الإسلامية متمثلاً بضعف الخليفة نفسه، وهذا الأمر ليس وليد عصر المغول، بل كانت بوادره منذ عصر المتوكل(232-247هـ/ الذي قرب العنصر التركي، لكون أمه تركية الأصل [2]، ومكنهم من مفاصل الدولة وحواصلها، إلى أن وصل الأمر إلى أفول هيبة الخلافة، ولم يبق منها سوى الاسم فحسب. فتراهم يوماً يقتلون خليفة، ويوماً يعزلون، ويوماً يسملون[3].

واستمر هذا الأمر على هذه الحال إلى أن تولى الخلافة الخليفة الناصر لدين الله(575-622 هـ/ 1179-1225م)الذي حكم لمدة سبعة وأربعين عاماً، إذ أعاد للخلافة هيبتها وعم في عهده العدل والأمان ووحد البلاد وقضى على الفساد وخضع له أغلب حكام الأمصار. ولكن بعد وفاته عاد الأمر إلى السفل والانحطاط بأسوأ مما كان [4].

ثانياً: خروج كثير من الأمصار الإسلامية عن خيمة الخلافة الإسلامية واستقلالها بنفسها شرقا وغرباً، ولاسيما في شمال أفريقيا ومصر، إذ قامت الدولة الفاطمية واستقلت عن الخلافة، وأسست القاهرة وأصبحت عاصمتها في قبال بغداد حاضرة الخلافة.

---

[1]- الآريون او الآرية مصطلح استخدمته الشعوب الهندوإيرانية في العصور القديمة كتسمية ذاتيةعلى عكس الشعوب الغير هندوإيرانية، وآرياكعلامة لانفسهم في اشارة الى موطنهم الاسطوري في كتب آفستا المقدسة.
و الطورانية :اي التركية نسبة الى جبال ألطاي او ألتاي وأقليم طوران الموطن الاصلي للعرق التركي. ينظر: توينبي ،تاريخ البشرية،ج1،ص286 ؛ https://ar.wikipedia.org/wiki/.

[2] - يقال لها شجاع، وهي خالة موسى بن بغا. ينظر :ابن حبيب، المحبر، ص44.

[3] - ابن الطقطقي،الفخري في الاداب السلطانية،ص243؛السيوطي ،تاريخ الخلفاء،ص287.

[4] - الورد، شبهات السلفية ، ص ١١٢.

وكذا في اليمن والشام على فترات، ناهيك عن خراسان وبلاد ما وراء النهر، فكان ذلك من أهم الأسباب لضعف الخلافة، ومن ثم انهيارها.

ثالثا: تمكن كثير من الحكام والسلاطين الظلمة من السيطرة على كثير من الأمصار الإسلامية، فعاثوا في الأرض فساداً وتسلطوا على رقاب المسلمين وأرهقوهم بالنهب والسلب والضرائب الفاحشة، فأحلوا في هذه الديار الخراب وأورثوها البوار.

ومن هؤلاء الحكام السلطان محمود بن سُبُكْتِكِيْن الغزنوي[1]، الذي وظف غير واحد من المؤرخين لتدوين أخباره وسيرته وغزواته، وقد وصفه هؤلاء وغيرهم بسيد الأمراء، وشمس الدولة، وأمين الإسلام، وأنه كان متديناً خيراً متعبداً فقيها عادلاً. وأن سيرته من أحسن السير[2].

وجاء من بعدهم من نقل عنهم ثقة منهم بهم، أو لغايات أخرى، فوصل إلينا تاريخ هذا الرجل كما يريده هو [3].

ولكن على الرغم من ذلك فقد وصلت إلينا نتف من بعض أخباره المتناثرة في بعض صحائف التاريخ التي تكشف عن عدم تدينه، وإنما اتخذ الدين وسيلة لفرض سلطانه وتحقيق

---

[1] - السلطان الثاني للدوله الغزنوية بعد والده سبكتكين الذي كان واليا على غزن' من قبل السامانيين حيث استغل ضعفهم وتوسع على حسابهم في غزنه وما وراء النهر متخذا من بشاور عاصمه له سنه 349 هـ/ 960 م وجاء بعده محمود الذي في عهده توسعت الدوله اكثر لتشمل الغزنه ومعظم ايران وما وراء النهر وبعض الهند ويذكر أنه غزا الهند ثمانية عشرمرة طمعا في غنائمها تولى الحكم سنه 388 هـ/ 998م حتى وفاته 421 هـ/ 1030 م و انتهت دولتهم على يد السلاجقة سنة 579 هـ/1183م.ينظر:مسكويه،تجارب الامم،ج7،ص343؛ابن الجوزي ، المنتظم،ج15،ص7؛ابن الاثير،الكامل في التاريخ،ج7،ص462؛ابن العبري،تاريخ مختصر الدول،ج1،ص181؛ ديورَانت، قصة الحضارة، ،ج3، ص125؛ العسيري، موجز التاريخ الإسلامي، ص234.

[2] - الصيرفيني، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٤٨٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج ٥، ص ١٧٥ ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص٢٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٢٧٥؛ أبو زيد، المنابع الذهبية، ص ٣٦٧.

[3] - أبو زيد، المنابع المذهبية ص ٣٦٧.

مآربه فقد كان على مذهب الكرامية[1]، وكان مولعاً بحب الغلمان وشرب المسكر، وأن أفواج البغايا كن يرافقن جيشه حيثما سار[2].

وكان يتوصل إلى أخذ أموال الناس بكل السبل، ومن ذلك- كما عن ابن الأثير- أنه بلغه أن إنساناً من نيسابور كثير المال عظيم الغنى، فأحضره إلى غزنة، وقال له بلغني إنك قرمطي، فقال: لست بقرمطي، ولي مال يؤخذ منه ما يراد وأعفى من هذا الاسم، فأخذ منه مالاً وكتب معه كتاباً بصحة اعتقاده[3].

وجمع من الأموال ما لا يحصى، وقد ذكر الذهبي أنه قال يوما للأمير أبي طاهر الساماني: **"كم جمع آباؤك من الجوهر؟ قال: سمعت أنه كان عند الأمير الرضي سبعة أرطال، فسجد شكراً، وقال: أنا في خزانتي سبعون رطلاً"**[4].

أما بالنسبة لحبه لسفك الدماء، فأمر فوق التصور، وقد بالغ في التنكيل بمن خالفه في المذهب بين قتل وحبس ونفي وصلب ولعن على المنابر، ولاسيما الشيعة والمعتزلة[5].

ولم يسلم منه حتى من ينقاد له من الحكام، أو يخضع لسلطانه فقد ذكر ابن الجوزي، أنه كان يشترط قطع إصبع كل من يصالحه أو يهادنه،وكان عنده من أصابع من هادنه الكثير[6].

---

[1] - الكرامية: نسبة لأبي عبد الله محمد ابن كرام السجزي (ت 255 هـ)، كان يقول بعقيدة التجسيم وقيام الحوادث بذات الله تعالى، وأنه سبحانه مماس لعرشه، وأن الإيمان قول باللسان وإن اعتقد الكفر بقلبه، وابتدع في الفقه ما لا أصل له، كقوله في صلاه المسافر يكفيه تكبيرتان من غير ركوع ولا سجود ولا قيام ولا قعود، وأجاز الصلاة بالثوب النجس وعلى أرض نجسة، وأنه لا تجب النية في الحج أو الصوم أو الصلاة، وأن نية الإسلام في الابتداء كافية عن نية كل فريضة. ينظر:عبد القاهرالبغدادي، الفرق بين الفرق،ج1، ص202-212؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج12، ص 97 ؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج19، ص 332.

[2] - البيروني، الجماهر في الجواهر ، ص ٣٥٩؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج ٩ ص ٢٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ،ج ٨ ، ص١٩٠؛الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٤٨٦.

[3] - الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ١٩٠.

[4]- سير أعلام النبلاء، ج 17، ص 493.

[5] - الورد، شبهات السلفية، ص ٨١.

[6]- المنتظم ، ج٩، ص ٢٣٤.

أما بالنسبة لما فعله بالهنود عند غزوه لبلادهم، فأقل ما يمكن أن يقال عنه: إنه رسم لهم صورة عن الإسلام والمسلمين فى غاية البشاعة من قتل لصغيرهم وكبيرهم واغتصاب نسائهم واسترقاقهم، والاستيلاء على ممتلكاتهم، وتخريب ديارهم، وتدمير معابدهم، ونهب ما فيها من نفائس، ولاسيما معبد سومنات[1] الذي يعد الأكبر والأضخم من بين اثني عشر معبداً، وقد اكتنزت فيه ثروة خيالية هائلة، وكانت له أربعة عشر قبة من الذهب، مما أثار طمع السلطان محمود الغزنوي، فهاجمه في عام (٤١٦ هـ) واستولى على ما فيه من ثروات مكتنزة[2].

ومن هؤلاء السلاطين الظلمة طغرل بك السلجوقي[3] الذي أسرف في دماء العباد وكثر في عهده الخراب والفساد، واحتل بغداد سنة ٤٤٧هـ ، وجرى عليها ما جرى من قتل ونهب وحرق، ولاسيما المخالفين له في المذهب، وقد وصل به الأمر إلى أن تزوج أخت الخليفة رغم انفه[4]. ومن أفعاله المشينة أنه أحرق دار الكتب في منطقة الكرخ التي أوقفها الوزير سابور بن أرد شير[5]. وقيل عن هذه المكتبة بأنها لم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها، كانت

---

[1] - معبد هندوسي في مدينة سومنات التي تقع على الساحل الغربي لنهر غوجارات. ينظر:ابن الأثير،الكامل، ج7، ص684؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 17 ، ص 485.

[2] - ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص28؛ البيروني، الجماهر في الجواهر، ص ٣٥٩؛ أبو زيد، المنابع المذهبية، ص ٣٦٧؛ التوفيقى، دروس في تاريخ الأديان، ص ٦١.

[3] - طغر لبك: محمد بن ميكائيل بن سلجوق أول ملوك الدولة السلجوقية ومؤسسها وُلِد سنة (٣٨٥ هـ)، ونشأ نشأة عسكرية، واشترك فى حروب قومه السلاجقة في بداية توسعاتهم مع الدولة الإيلخانية فى بلاد ما وراء النهر، والدولة الغزنوية، وعرف طغرل بك بالشجاعة، وقوة الشخصية؛ مما ساعده على تبوء مكانة عالية في قومه، فاتفق الأمراء على زعامته لهم، والتفوا حوله. وتمكن طغرل بك بعد فترة وجيزة من السيطرة على مساحة كبيرة ضمَّت خراسان وجرجان وخوارزم وطبرستان وقزوين وزنجاب وهمذان وأذربيجان وكرمان، وآلت إليه أملاك الدولة الغزنوية بعد انهيارها، فصار مجاورًا لبغداد حاضرة الخلافة العباسية، وكان قضى على الدولة البويهية وثورة البساسيري بطلب من الخليفة فلقبه الخليفة القائم بملك المشرق والمغرب، وقد ساعد ذلك على ازدياد نفوذ طغرل بك وعلو مكانته فى الخلافة، حتى تُوفى سنة (٤٥٥ هـ). ينظر :الفارقي ،التاريخ الفارقي،ص186 ؛مجموعة مؤلفين، موسوعة سفير التاريخ الاسلامي، ج10، ص427.

[4] - ينظر: الورد، شبهات السلفية، ص ٨٦.

[5] - أبو نصر سابور بن أَردشير: وزير أبي الحسين بهاء الدولة البويهي والمدبر له الحكم.
ينظر : ابن الاثير، الكامل، ج7، ص 439.

كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة[1].

ومنهم السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه الذي دق آخر مسمار في نعش الخلافة الإسلامية بقبح أفعاله وتهوره وسوء سيرته وسريرته، ولاسيما مع المغول إذ كان السبب المباشر الذي حفزهم لاجتياح العالم الإسلامي، ومن ثم القضاء على الخلافة الاسلامية؛ لسوء صنيعه معهم بإقدامه على الاستيلاء على قافلة للتجار المغول ونهب أموالهم وقتلهم، ثم تمادى في غيه برفض الاقتصاص ممن قتلهم وتعويضهم، فكان ذلك بمثابة الضوء الأخضر لبدء حركة المغول كما سيأتي بيانه.

رابعاً : الصراع السياسي بين السلاطين والحكام بغية التفرد بالحكم والسعي بكل السبل لبسط سيطرتهم والعمل على توسعة مناطق نفوذهم، وقد وصل الأمر الى قتال الآباء والأخوة، فأهلكوا الحرث والنسل، وعجّلوا في خراب الأمة ، ومن صور هذه الصراعات المريرة ما حصل من نزاع بين جلال الدين منكبرتي وأخيه غياث الدين شير شاه على تولي السلطة بعد هلاك أبيهما علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٧ هـ - ١٠٢١م ، وكان السلطان علاء الدين قد أوكل أمور دولته إلى أرشد أبنائه جلال الدين منكبرتي- كما يرى- وخلع ابنه أوزلاغ شاه[2]، الذي كان قد نصبه وليا للعهد؛ لانغماسه في الملذات واللهو والفساد، وقد بدا منكبرتي عهده بالتصدي للمغول وحقق بعض النجاح، ولكن ما لبث إلا قليلاً حتى دبّ الخلاف بين بعض قادة جيشه، وفارق جيشه الجنود الغورية، وأصبح جيشه يقتصر على الأتراك الخوارزميين، فاضطر إلى مواجهة جنكيز خان وجيوشه بما بقي معه من الجنود، فانهزم وهام على وجهه في بلاد السند يبحث عن مأوى ومعه قرابة أربعة آلاف من

[1] - ابن الجوزي ،المنتظم،ج،14،ص366؛ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج١، ص ٦٣٤ .
[2]- هو وأخوه آق شاه هربا الى خراسان فلحق بهما وقتلاهما بالقرب من نسا . ينظر : فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران ،ص83.

الجنود الخوارزمية الذين استطاعوا النجاة بأنفسهم والعبور إلى الضفة الشرقية من نهر السند واللحاق بسلطانهم [1].

وقد استضافهم شعب الهند وقدم لهم ما يحتاجون من مؤن وعتاد وكسوة، ولكن على الرغم من ذلك لم يرعى السلطان منكبرتي وجنوده حرمة إقامتهم في الهند، وأنكروا جميلهم، فأغاروا على بعض أقاليم الهند العامرة وخربوها وجمعوا ما بها من ذهب وفضة، واعتدوا على النساء واسترقواعدداً كبيرا منهن، وفرضوا الإتاوات على الحكام والأهالي، ونهبوا ما وجدوه أمامهم وعاثوا في البلاد فساداً؛ مما ترك أثراً سيئاً لدى كافة الهنود[2].

وبعد فرار منكبرتي إلى بلاد الهند وخراب دولته، رجع جنكيزخان إلى موطنه الأصلي إثر مرض ألم به لعدم موائمة أجواء نهر السند له أثناء مطاردته للسلطان منكبرتي ومات سنة ٦٢٤هـ - ١٢٢٧م وله من العمر اثنان وسبعون عاما[3].

وكان غياث الدين شير شاه قد فر إلى مازندران واعتصم بها من المغول حتى ابتعدوا عنها ثم ظهر على مسرح الأحداث من جديد منافساً لأخيه منكبرتي الذي فر إلى بلاد الهند، وحكم بعض الأقاليم في جنوب وغرب الدولة، يساعده في ذلك خاله المتنفذ إيغان طائسي الذي استغل الفرصة وانفرد بالحكم، ولكن غياث الدين شير شاه واجه خاله والجيوش المنشقة معه وهزمها شر هزيمة سنة ٦٢٠ هـ -١٢٢٣ م واستتب له الأمر، وأراد التوسع فقرر الاستيلاء على فارس بتحريض من أمه المتنفذة، فباغت صاحبها الأتابك سعد بن زنكي واستولى على حاضرة ملكه شيراز سنة ٦٢١ هـ [4]، ولم ينجح غياث الدين شيرشاه في حكم

---

[1] - النسوي ، سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص85؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص188؛غروسيه ، جنكيز خان قاهر العالم ،ص315.

[2] - النسوي ، سيرة جلال الدين منكبرتي ، ص162؛ابن الوردي،تتمة المختصرفي اخبار البشر ،ص155 ؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص190.

[3] - إقبال، تاريخ المغول، ص65-70؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص ٧٣-٨٠.

[4] - ابن الوردي ، تتمة المختصر في أخبار البشر،ج2، ص145؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، ص84.

ماتحت يده من البلاد الخوارزمية؛ لكثرة الفتن والمؤمرات التى تحاك من أصحاب النفوذ، وانغماس الأميرنفسه في الملذات والشهوات، وسيطرت أمه عليه، فكانت تحركه بما ترى وتشاء، ناهيك عن قيام جنوده الأتراك بنهب البلاد وتخريب ما تصل إليه أيديهم[1]. واستمرت الحال بهذه الفوضى حتى عاد أخوه الأكبر جلال الدين منكبرتي من منفاه في بلاد الهند، وكان قد عاث فساداً فيها وأخضع بعض أقاليمها لسلطانه في حوض السند وغنم مغانم كثيرة منها وأكثر القتل بين أهلها من دون تمييز بين مسلم ووثني، فتحالف ضده أمراء إقليم السند المسلمين بعد تعاظم خطره وكثرة شروره، وهم الذين آووه في محنته وساعدوه، وانضم إليهم سلطان دلهي، وسار الجميع لمواجهة منكبرتي، فطردوه من بلادهم فعبر نهر السند سنة ٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م [2].

وأسرع في الأقاليم الغربية من الدولة الخوارزمية الواقعة تحت سيطرة أخيه غياث الدين وشمر عن ساعده لانتزاع السلطة من يد أخيه. وأراد منكبرتي استمالة أخيه إلى جانبه وذكره بوصية والدهما إلا أن غياث الدين شير شاه رفض عرضه وصمم على حربه، ولما وجد منكبرتي أن قوات أخيه تفوقه عدة وعدد عمل على خديعته وأظهر أنه جاء ليقف جنب أخيه أمام المغول وأن يضع نفسه وجيشه تحت تصرفه، فخدعه بهذه الحيلة، ولما اطمئن له غدر به وأعمل السيف في رقاب جند أخيه وهزمه هزيمة منكرة، فسيطر منكبرتي على حكم أقاليم الدولة الخوارزيمية وجلس على عرش أبيه [3].

ونحن لو تأملنا في حيثيات مثل هذه الصراعات التي جرت بين حكام الأمصار، ولا سيما بين الأخوة والأقارب لوجدنا أن النتائج المترتبة عليها كانت من أهم أسباب سقوط الدولة الإسلامية ومن ثم تمكن المغول من السيطرة عليها، ولو وحدوا جهودهم لمواجهة الزحف

---

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران ، ص84 ؛الصاوي،جنكيز خان قاهر العالم ،ص188.

[2] - النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص85-86؛الصاوي،جنكيز خان قاهر العالم ،ص189؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص84.

[3] - النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص18؛ ؛اقبال ،تاريخ ايران ،ص39؛اقبال،تاريخ المغول ،ص98 ،فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٨٥-٨٧

المغولي وأعدوا بعض ما أعدّوه من عدة لمواجهة بعضهم لبعض في نزاعاتهم لما حصل ما حصل.

خامساً: كثرة الصراعات الدموية بين أتباع المذاهب الإسلامية حتى وصل الأمر إلى حد الإبادة التامة في بعض الأمصار الإسلامية، ولا سيما ما حصل للمعتزلة والإسماعيلية والشيعة، بل حتى بين المذاهب الفرعية التى يجمعها أصل واحد، مما عجّل في وهن الأمة، ومن ثم انهيارها، وسنكتفي بإيراد مثال واحد يكشف عن الصورة المأساوية التى تمثل واقع حال الأمة في ذلك الوقت، ومن تلكم الصراعات ما كان بين أصحاب المذهبين الحنفي والشافعي فى أصفهان، وقد سفكت بينهم دماء كثيرة، ثم كانت الغلبة للحنفية[1]. وعندما حاصر المغول أصفهان سنة ٦٣٣ هـ/1236م اتفق معهم الشافعية على فتح أبواب أصفهان على أن يقتلوا الحنفية، ولكن المغول عندما دخلوا بدأوا بقتل الشافعية، ثم ثنّوا بالحنفية، ثم استباحوا المدينة وأحرقوها[2].

فعلى الرغم من فداحة الخطب وعظم المصيبة التي ألمت بالإسلام والمسلمين نجد أن شدة تأجج النزاع المذهبي قد وصل إلى حد التطرف في إباحة الدماء مع أنهم مسلمون تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومن يقولها يكون مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، لا يحل دمه ولا ماله ولا عرضه، كما صح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله :**"مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَصَلَّى صَلاَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ المُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى المُسْلِمِ"**[3] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :**" كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ"** [4]. ناهيك عن كون الشافعية والحنفية من أهل السنة والجماعة

---

[1] - حصلت في نيسابور سنة556هـ ومنها انتقلت إلى أصفهان حتى المدارس لم تسلم فاحرق فيها الكثير من مدارس الفريقين . ينظر:ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص283.

[2] - ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٨ ، ٢٣٧؛ شبر،خلفاء بني العباس ،ص444؛ الورد ، شبهات السلفية، ص ١٢١.

[3] - البخاري، صحيح البخاري،الحديث 393، ج ١، ص 87.

[4] - احمد ،مسند احمد،الحديث 7727، ج13،ص159؛أبي داود ، سنن أبي داود،الحديث4882،ج7،ص244 .

اصطلاحاً، بل يرجعون في الأصول إلى أبي الحسن الأشعري[1]، فما حسبك بما حصل بين بقية المذاهب الإسلامية التى تختلف في الأصول والفروع !

سادساً : تنامي الانتماء القومي بين المسلمين وظهوره بقوة وطغيانه على الانتماء الاسلامي فالعداء بين العنصر الفارسي (الآري) والعنصر التركي (الطوراني) مستحكم بالكلية وعداؤهما للعرب ليس بأقل مما بينهما، فكان هذا الأمر المخالف لمبادئ الشريعة الإسلامية من أهم العوامل المؤثرة في فصم عرى الدولة الإسلامية، وهذا الأمر ليس وليد العصور المتأخرة بل كانت بوادره منذ بداية العصر الأموي، إذ كان الأمويون ينظرون إلى غير العرب من الشعوب الأخرى نظرة دونية باعتبارهم موالي، أما العباسيون فسلكوا نهجاً مخالفاً للأمويين فدولتهم قامت على أكتاف أهل خراسان، وهم الذين تولوا أمرها وأُبعدوا العرب عنها، بل بدأ أمرهم بقتل العرب في خراسان؛ بناء على أوامر صدرت من إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني بأن يقتل كل عربي، بل كل من يتكلم العربية[2].

ولا يخفى أن جُل العرب الذين كانوا في خراسان كانوا من شيعة الكوفة الذين هجرهم زياد بن أبيه إلى خراسان[3]، فقد هجّر من الكوفة وحدها خمسين ألفاً[4]. وهؤلاء لا تستقيم دعوة إبراهيم الإمام مع وجودهم، لكونهم يعتقدون بإمامة أهل البيت(عليهم السلام).

وبعد مقتل إبراهيم الإمام وقدوم أبي مسلم الخراساني إلى الكوفة ومبايعة أبي العباس السفاح سار على نهج إبراهيم الإمام نفسه، وتقدم إلى أبي مسلم بأن لا يدع عربياً لا يدخل في أمره إلا ضرب عنقه[5].

---

[1] - علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل أبي موسى الأشعري وهو مؤسس مذهب الأشاعرة كان من أئمة المتكلمين ولد في البصرة وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم وتوفي ببغداد (324 هـ) بلغت مصنفاته ثلاثمئة كتاب. ينظر : الزركلي، الاعلام، ج4، ص263.

[2] - ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢ ، ص١٥٦؛ الطبري، تاريخ الرسل، ج٤، ص ٣٠٠ ؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٣.

[3] - بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص١٢٣؛ أبو زيد، المنابع المذهبية ، ص٧١.

[4] - الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج5،ص226؛ابن الاثير ،الكامل في التاريخ،ج3،ص83.

[5] - الدينوري، الأخبار الطوال ، ص ٣٥٩.

إذن هكذا بدأت الدولة العباسية خراسانية، ثم برمكية، ثم سهلية إلى أن وصلت الخلافة إلى المعتصم فبدأ بتقويض نفوذ الفرس، وأنهى المتوكل أمرهم فأصبحت مفاصل الدولة بيد آل خاقان الترك، ومن ثم تمكن العنصر التركي من إحكام قبضته على حواصل الدولة الإسلامية، فلم يبق للخليفة من الطول إلا الاسم ومن الخلافة إلا الرسم[1].

ولا يخفى على المتتبع أن طغيان الانتماء القومي على الانتماء الاسلامي يعد من أهم الأسباب التي أنهت الخلافة الإسلامية ، وبدا هذا الأمر جلياً بانضمام كثير من الأتراك المسلمين إلى الجيش المغولي[2] وهذه حقيقة تاريخية وإن لم يبرزها المؤرخون بشكل واضح في مصنفاتهم لأسباب غير خافية.

سابعاً : أفول حركة العقل العربي والإسلامي التي تألقت في العصر العباسي الأول، فقد ازدهرت العلوم العقلية والتجريبية والترجمة على يد نخبة من أرباب العقول المتنورة في هذا العصر، مثل جابر بن حيان الكوفي، والكندي وغيرهم، ولكن عندما تولى المتوكل الخلافة قرب حشوية[3] أهل الحديث والأخباريين، وأصبح رأيهم هو الفصل، فحاربوا أرباب العقول واتهموهم بالمروق من الدين ونبزوهم بالزندقة، فضُربوا وسُجنوا و شُردوا وأحرقت مصنفاتهم. ويشهد لذلك ما فعله المتوكل بأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي(256هـ/873م) الحكيم المتبحر، والرياضي المهندس، وفيلسوف الإسلام والعرب البارع في المنطق والفلك والهندسة والرياضيات والطب والعلوم الطبيعية والنفس

---

[1] - ابو زيد، المنابع المذهبية، ص٧٢.

[2] - الجويني، جهانكيشاي، ج2، ص100؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج1، ص154؛ الامين،الغزو المغولي،ص132؛ شبر،خلفاء بني العباس،ص538.

[3] - الحشوية: هي مدرسة أو فرقة إسلامية في الحديث ومن اسمائهم المُشَبِّهَة، أو المُجسِّمة؛ يذهبون إلى القول بأن الله تعالى جسم وإن الفعل لا يصح إلا من جسم، والباري تعالى فاعل، فوجب أنه جسم، وقالوا إن يده جارحة ووجهه صورة، محتجين بآيات من القرآن فيها ذكر اليد والأيدي والعين والوجه وقوله تعالى :(وَجَاءَ رَبُّكَ **وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**) سورة الفجر ،آية22و **(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**)البقرة،آية210ويرجع أصل تسمية "الحشوية" إلى "جمعهم حشو الحديث من غير تمييز بين صحيحهِ وضعيفهِ، وتقديمه على القرآن الكريم. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص105؛ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص150؛ الذهبي ، المنتقى من منهاج الاعتدال، ج1، ص93.

والجغرافية والأخلاق[1]، وقد عده كوردان واحد من اثني عشر هم أنفذ الناس عقلاً ، وأنه كان في القرون الوسطى يعتبر واحد من ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية[2]. وقال فيه أبوريدة : **"ما أشبه الكندي- أخيرا- بعلماء الطبيعة في القرن العشرين الذين يتوصلون من المادي المنظم إلى العلل العقلية"**[3].

وقد ناله من الحيف مالم ينله غيره، إذ جلده المتوكل خمسين جلدة ونهبت مكتبته وناله وغيره ممن هو على نهجه من العلماء شر عظيم.

وفي قبال ذلك عم الركود الفكري على الواقع الإسلامي؛ لغلبة المنهج الحشوي على الواقع الثقافي والعلمي، وقد طغت حركة نقل الحديث وروايته من دون تدبر.

وشاعت عقيدة التسليم لقضاء الله الحتمي وقضائه المبرم من دون تأثير للإنسان في صيرورة أعماله وأفكاره، كما شاعت عقيدة طاعة السلطان وإن فسق وفجر وظلم؛ لان طاعته من طاعة الله[4].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل واكبه بروز ظاهرة التصوف في المجتمع الإسلامي التي تؤثر العزوف عن الحياة الاجتماعية والانعزال عن الناس والانقطاع إلى الله، وكان للعوامل الاجتماعية والبيئية والسياسية والقومية السائدة الأثر البالغ في بلورة أفكارها ورسم منهجها وتمخض ذلك عن بروز مدرستين فكريتين كانتاعنواناً جامعاً للفرق الصوفية، أولها: مدرسة بغداد الصوفية، وقد حاولت هذه المدرسة أن تمزج بين الجنبة النظرية والنزعة السلوكية الذوقية في تقرير متبنياتهم، والأخرى: مدرسة نيسابور الفارسية الشطحية[5] (مدرسة

---

[1] -ابن أبي أصيبعة، ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج1،ص287 .

[2] - فروخ ،صفحات من حياة الكندي ، ص ٣٢ – ٣٣ .

[3] - أبوريدة ،رسائل الكندي ، ص ٢١٣ .

[4] - البيهقي، القضاء والقدر،ج1،ص219؛ الشاطبي،الاعتصام،ج2،ص583.

[5] - الشطحية اوالشطح :هو التكلم بكلام يحتمل معنيين أَحدهما مذموم والآخر حسن محمود فأظهر- أصحاب الشطح - كلمات كفرية، وفعلوا أفعالاً باطلة كالتمايل والرقص والغناء ووخز أنفسم بالآلات الجارحة، و يعرفه المتصوفة بأنه وجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته واعتذرواعن بعض عباراتهم بأن قائليها معذورون فيما قالوه لأنهم بزعمهم كانوا سكارى غائبين عن وعيهم عند ذكرهم =

السكر) ، وتصدر عن روح عملية تستمد طاقتها من مثل الفتوة والملامتية[1] من جهة، والغيبة عن الحس وإفناء الذات الإنسانية إلى حد إهمال الواجبات الدينية من جهة أخرى.

والفتوة تراث فارسي قديم، وهي نزعة روحية ظهرت للتخفيف من جور ملوك فارس وطغيانهم ودفع ظلمهم ومساعدة الفقراء. وقد اتقدت هذه النزعة من جديد بعدما لمس الناس ظلم السلاطين والحكام والولاة وجورهم وعدم التزامهم بمبادئ الدين الحنيف، فبرزت جماعات الفتوة لتقوم بالتخفيف عن معاناة الناس ومساعدتهم عن طريق التضحية بالمصالح الشخصية والمطالب المادية حتى وصل الأمر إلى إطلاق ظاهرة الشطح [2]. فكان لهذين المنهجين أثراً بالغاً في تعطيل حركة الفكر الإسلامي لحسن ظن الناس بهؤلاء، ومن ثم التأثر بهم والانقياد اليهم .

ثامناً: تأجج العداء بين السلطان علاء الدين خوارزم شاه وبين الخليفة الناصر لدين الله لسعي السلطان لاحتلال بغداد والحجر على الخليفة أو الاطاحة به؛ لعدم حصوله على ما كان للسلاجقة ببغداد من مكاسب ونفوذ سياسي وغيره، وحصلت بينهما حروب[3]، فكان هذا الأمر سبباً في إحجام سائر طبقات المسلمين من تقديم المساعدة عند اجتياح المغول لأراضي الدولة الخوارزمية لأن أغلبهم كان يعتقد بشرعية الخليفة العباسي وعدم جواز مقاتلته[4].

=لهذه العبارات.ينظر:عبد القاهرالبغدادي، الفرق بين الفرق، ج1، ص247 ؛ الأسفراييني، التبصير في الدين،ج1، ص132؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج3، ص14 ؛عواجي، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام،ج3، ص959؛ اليوسف ، الفكر الصوفي، ص305.

[1]- الملامتية طريقة من طرق الصوفية، اسسها أَبو صالح حمدون بن أَحمد النيسابوري (ت271هـ)، تقوم على ملامة النفس في كل الأَحوال فعاقبوها بكثرة العبادات سرّاً، لتأديب النفس ومجاهدتها وصولا إلى محو الذات وإطفاء جذوة الرياء في القلب،أَظهروا إِهمال الشريعة والأَخلاق؛ لينفر عنهم الناس، ويسلم لهم حالهم مع الله . ينظر: السلمي، أصول الملامتية وغلطات الصوفية، ص138؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،ج 3، ص223.

[2] - الورد، المدارس الصوفية، ص ١٣٥.

[3] - ابن كثير ، البداية والنهاية،ج13، ص91؛السيوطي ،تاريخ الخلفاء،ص454؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٩٥

[4] -ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج10،ص372؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٩٥.

تاسعاً: تقاعس عموم المسلمين عن نصرة السلطان علاء الدين خوارزم شاه ونفورهم من حكم الخوارزميين؛ لما لاقوه منهم من ظلم و جور، وتماديهم في الاعتداء على رعاياهم وابتزازهم وسلب أموالهم بطرق غير مشروعة، وهتك حرماتهم، فضلاً عن التطاول عليهم والتعامل معهم بدونية لأسباب مآلها التمايز القومي والعنصري كما أشرنا إليه[1].

عاشراً: إن معظم الجيوش الخوارزمية كانت تتألف من أتراك القبجاق[2] وقنقليمن دون غيرهم من القبائل التركية، وكان هؤلاء لا يمتثلون أمراً إلا إذا كان صادراً من رؤسائهم حتى ولو كان من السلطان نفسه إذ كان ولاؤهم المطلق لسادتهم ورؤساء عشائرهم، وكان سعيهم للقتال الحصول على الغنائم، وليس من أجل مبدءٍ إسلامي أو أخلاقي يحملهم على الدفاع عن الدولة[3].

الحادي عشر: كثرة الخلافات بين أمراء الجيش وقادته وشيوع النفاق بينهم، وعملهم على ارتقاء العنصر التركي وغلبته على غيره من المكونات الأخرى للجيش الإسلامي بغض النظر عن التميز في الكفاءة والمقدرة والإخلاص والتضحية، وكانوا لا يمتثلون لأمر إلا بعد النظر في ما يعود لهم بالنفع والفائدة، ناهيك عن إهمالهم لتدريب قواتهم وقلة استعدادهم للقتال، فأصبح الجيش الخوارزمي ينقصه النظام والطاعة، فضلاً عن عدم قدرته على تحمل الصعاب لذلك كان هذا الأمر من العوامل المهمة لعدم تمكن الخوارزميين من مواجهة الجيش المغولي الذي يتميز بالنظام والطاعة والقدرة على تحمل المشاق ومواجهة المواقف الصعبة[4].

---

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص96.

[2] - القبجاق: او القفجاق اوالقفشاخ وهم قبائل ذات اصول تركية سكنت السهول الواقعة شمال اقليم خوارزم وفي الجزء الشمالي الشرقي من بحرقزوين كبدو رحل،وكانوا يتنقلون طلبا للكلأ واندفعوا الى الاراضي الخوارزمية اثر تصارهم مع السلطان علاء الدين تكش من بنات احد زعماء تلك القبائل. ينظر: كرديزي،زين الاخبار،ص550؛الديار بكري ،تاريخ الخميس،ج2،ص368.

[3] - حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول ،ص 236؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران ،ص ٩٤-٩٥.

[4] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٩٤.

الثاني عشر: إن السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه لم يوكل قيادة جيشه إلى قائد واحد وإنما قسمه وجعل له قادة عدة لخشيته من تجمع الجيوش تحت إمرة قائد واحد، ومن ثم قد يستأثر بالسلطة ويعصي السلطان ويطيح بالأسرة الخوارزمية التى أقدمت بنفسها على هذا الأمر، فكان هذا التصرف أحد أسباب عدم قيادة الجيش بكفاءة وفاعلية، ومن ثم عدم تمكنه من مواجهة الجيش المغولي[1].

الثالث عشر: افتقار بلاط السلطان علاء الدين خوارزم شاه إلى الوزراء الكفاة والمستشارين الدهاة ممن يتميز بحسن الرأي والتدبير والإدارة، فنجد أن معظم أهل الحل والعقد في البلاط هم من النفعيين والانتهازيين الذين يفتقدون لجودة الرأي، ومن هؤلاء الوزير نظام الملك[2] محمد بن صالح الذي أثر على السلطان وجعله يغير خططه العسكرية والإدارية إذ زين له التوجه إلى عراق العجم[3]، ومازندران والمناطق الغربية من الدولة الخوارزمية لبعدها عن الجيش المغولي ومناطق القتال بدلا من التوجه إلى غزنة وبلاد الغور القريبة من جيش المغول[4] فكانت نتائج هذا التوجه مبيرة وكارثية على السلطان وعلى المسلمين.

كما كان لتدخل تركان خاتون والدة السلطان علاء الدين خوارزم شاه في شؤون الدولة أثراً سيئاً في سيرورة الأحداث باتجاه انهيار الدولة الخوارزمية إذ كانت صاحبة سلطان قوي واستبداد في الرأي بما كان لها من قوة ونفوذ في حياة زوجها وفي سلطان ولدها. وكانت هذه الخاتون تنتسب لقبائل قنقلي التركية التي سكنت السهول الواقعة شمال إقليم خوارزم وفي الجزء الشمالي من بحر قزوين، واندفعوا إلى أراضي الدولة الخوارزمية على أثر

---

[1] - النسوي، سيرة جلال الدين، ص 90؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص95.

[2]- نظام الملك: ناصر الدين محمد بن صالح كان غلاما لوالدة السلطان تركان خاتون لم يكن عارفاً بامور الوزارة عرف بحبه لجمع الأموال، قتل على يد جنكيز خان سنة 616هـ/1219م. ينظر:النسوي، سيرة السلطان منكبرتي، ص 76.

[3] - العراق العجمي :هو الاسم اللذي أطلق على المنطقة الجبلية الممتدة من سهول العراق والجزيرة في الغرب الى مفازة فارس في الشرق والتي تقع ما بين اصفهان الى زنجان وقزوين وهمذان والري وقرميسين سمي بذلك في العصر السلجوقي تميزا له عن عراق العرب في منطقة مابين النهرين. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 99؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص220.

[4] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران،ص97.

تصاهرهم مع السلطان[1]، وهاجر كثير من تلك القبائل إلى بلاد الخوارزمين، ولاسيما أفراد عشيرة تركان خاتون، ودخلوا في خدمة ولدها السلطان علاء الدين، وبوساطة نفوذها وقوة تأثيرها تمكنوا من الارتقاء إلى أعلى المناصب، و بسطوا نفوذهم على مفاصل الدولة، على الرغم من طيشهم وجهلهم واستبدادهم وقسوتهم، مما أدى إلى كثرة الاضطرابات بين الناس. وجمعت تركان خاتون حولها عصبة قوية من قواد عشيرتها، وأصبح نفوذها لا يقل عن نفوذ ولدها السلطان وكان ولاء هذه العصبة لتركان خاتون أكثر من ولائهم للسلطان نفسه، بل كانوا يرفضون قراراته ولا يعيرونها أي اهتمام، بل يصدرون قرارات مخالفة لها، وجل اهتمامهم كان منصباً حول منافعهم الشخصية، والحرص على بسط نفوذهم وسيطرتهم، من دون الاهتمام بشؤونات الدولة الإسلامية على الرغم مما هي مقبلة عليه من خطر داهم وخطب عظيم، فكان هذا الأمر من العوامل المهمة التى أدت إلى سرعة انهيار الدولة الإسلامية[2].

الرابع عشر: نشوب الخلاف بين أبناء السلطان علاء الدين في زمن أبيهم ومن بعده؛ فإنهم كانوا من أمهات مختلفة، وكان كل واحد منهم يعمل بطريقته وبما يراه وكل منهم يعتمد على عصبة أمه، لنيل رضا والدهم ومن ثم الفوز بالعرش من بعده، فتشتت جهودهم وضعفت قواهم مما أثر على جهد الدولة وعدتها، فبدلاً من توحيد جهودهم لمواجهة الخطر المحدق بهم زاد الخلاف بينهم في هذا الظرف العصيب، ووصل الأمر بينهم إلى حد الصراع الدموي بعد موت أبيهم، فعجل ذلك في انهيار دولتهم ومن ثم القضاء عليها[3].

الخامس عشر: وجود كثير من الجواسيس والعيون المنتشرين في المدن الإسلامية الموظفين من قبل المغول ، ولاسيما في الدولة الخوارزمية،[4] وكان واجب هؤلاء موافاة

---

[1] - النسوي، سيرة السلطان، ص 87 -88؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص 230؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج 11، ص 23؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 553 .

[2] - النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص 32؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص159؛بارتولد، تركستان، ص570؛؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص90؛ الصياد، المغول ،ص105؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص93،ص97.

[3] - النسوي، سيرة منكبرتي، ص18؛ ؛اقبال ،تاريخ ايران ،ص39؛اقبال ،تاريخ المغول ،ص98 ،فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٨٥-٨٧

[4] - حمدي، الدولة الخوارزمية، ص249؛فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص98.

المغول بأخبار الدولة الخوارزمية وغيرها من البلدان، وإشاعة الفوضى والاضطراب وترهيب الناس وتثبيط الهمم وبث حالة اليأس والرهبة في نفوس المسلمين قبل وقوع المعارك؛ حتى ينهاروا أمام المغول ولا يتمكنوا من مقاتلتهم، ناهيك عن انضمامهم لجيش المغول عند وقوع المعارك[1].

السادس عشر: انقطاع وصول الدعم إلى القوات المرابطة بوجه الزحف المغولي سواء كان في الإمدادات العسكرية أو التموينية، فأدى ذلك إلى انسحاب كثير منهم بعد نفاذ مؤونتهم، ناهيك عن فرار قادتهم حاملين معهم أموالهم وكنوزهم، فتركوا الناس يواجهون مصيرهم المحتوم أمام المغول، مما مكن الجيش المغولي من السيطرة على هذه المناطق بيسر، ومن دون مقاومة تذكر، بل بسطوا نفوذهم على مناطق شاسعة في شرق الدولة الخوارزمية بسهولة؛ لعدم تمكن القوات الموجودة فيها من الصمود لقلة جهود الدعم الواصلة إليهم [2].

السابع عشر: عدم كفاءة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه، على المستوى السياسي والعسكري والإداري ، فضلاً عن جهله وعدم ثقته بأعوانه، فكان لا يأخذ باقتراحاتهم، ناهيك عن عنصريته واستبداده وتهوره بإقدامه على فعل أمور كثيرة لم يحسب عواقبها[3]، فعجلت في القضاء على دولته، وكانت له شخصية مضطربة ونفس مريضة غلب عليها حب السيطرة وبسط النفوذ وحب التملك، ولو على حساب الشعوب الإسلامية، حتى وصل الأمر إلى الاقتتال فيما بينها، مما أدى إلى ضعف الدولة كلها[4]، وقد وصل الطمع بهذا الرجل إلى عزمه على فتح الصين وبلاد الكرج، على الرغم من عدم أهليته وجيشه من الإقدام على هذا

---

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص98.

[2] -ينظر:ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج10،ص 412؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص٩٨ .

[3] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج2، ص17؛ فضل الله الهمذاني ، التاريخ الغازاني، ص244؛ محمد، الاجتياح المغولي ، ص157؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٩٨.

[4] - ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج16، ص347؛ محمد، الاجتياح المغولي ، ص165؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص٩٨ .

الأمر الخطير[1]، ولو قلنا بأن هذا الرجل كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر الدولة الاسلامية لم نكن مجانبين للصواب لسوء تدبيره وتهوره وقبح أفعاله .

وكان قد تولى العرش خلفاً لأبيه سنة ٥٩٦ هـ/1173م ، وقرر السعي لبسط نفوذه على بلدان أخرى على الرغم من ثقل التركة التي خلفها له أبوه بعد وفاته، فقرر مواجهة الدولة الغورية والسيطرة عليها أولاً، والعمل على فرض نفوذه على الخلافة العباسية ثانيا، والتخلص من ربقة التبعية الدولة القراخطائية والامتناع من دفع الضريبة السنوية لها، والسعي لاقتطاع ما يمكن اقتطاعه من الأراضي الإسلامية الواقعة تحت سيطرة القراخطائيين ثالثا، ووصلت حدود الدولة الخوارزمية إلى نهر سيحون، وقد وصل إلى قمة مجده، ولقب نفسه بالاسكندر الثاني تيمناً بانتصاراته، وسنجر[2] تفاؤلاً بطول عمره[3].

ثم أصبحت الدولة الإسلامية في مواجهة مباشرة مع دولة المغول،نتيجة إرتكابه الأخطاء الفادحة من اضعاف الممالك الاسلامية المجاورة اوامره بقتل التجار، والرسل وغيرها مما فصلناه فيما سبق كل ذلك كان بمثابة إعلان الحرب مع المغول، بل أذان بخراب بلاد المسلمين، فكان عاقبته دمار الحواضر الإسلامية، وأزهاق أرواح ملايين الناس، ولم يسلم حتى الأطفال، ونهبت الأموال، وهتكت الأعراض، وقضي على الخلافة العباسية. وكل ذلك جاء بسبب تهور خوارزم شاه ورعونته وسوء استخدام سلطته وإدارته .

الثامن عشر: تهاون الخليفة المستعصم بما ألمّ بالإسلام والمسلمين من خطر عظيم ، وإهماله في الاستعداد لوصول عساكر المغول، كما حكاه ابن الطقطقي المعاصر لتلك الفترة، فقال: **"فلم يحرك منه ذلك عزماً، ولا نبّه منه همة، ولا أحدث عنده هماً، وكان كلما سمع عن السلطان**

---

[1] - الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج2، ص17؛ محمد، الاجتياح المغولي ، ص157؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٩٨.

[2] - هو السلطان السلجوقي سنجر بن ملكشاه ولد 479 هـ/ 1074 م،حكم إحدى وستين سنة وتوفي سنة 552 هـ/ 1157م. ينظر:الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، ص 256؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص294؛
الجويني، جهانشاي، ج2، ص211؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص40.

[3] - ابن الأثير، الكامل،ج9، ص294؛الجويني،جهانشاي،ج2، ص211؛فهمي،تاريخ الدولةالمغولية، ص40.

من الاحتياط والاستعداد شيء ظهر من الخليفة نقيضه من التفريط والإهمال"[1] على الرغم من تحذيره فلم يزده ذلك إلا غفولاً وتهاوناً وانغماساً، وقد أحاط نفسه بحاشية فاسدة مستهترة قد استولت عليه[2]، ولا سيما قائد جيوشه مجاهد الدين أيبك الشركسي المعروف بالدويدار الصغير الذي اتُهم بمخامرة المغول ومكاتبتهم[3]. وقد وصف ابن الطقطقي هذه الحال بقوله : **"وكان أصحابه- الخليفة- مستولين عليه، وكلهم جهال من أراذل العوام- إلا وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي[4]، فإنه كان من أعيان الناس وعقلاء الرجال، وكان مكفوف اليد، مردود القول، يترقب العزل والقبض صباح مساء"**[5].

وقد بلغ استهتار حاشية الخليفة بأمور الدولة وسياستها وعدم إلتفاتهم إلى الخطب العظيم الذي ألمّ بالأمة إلى حد العجب العجاب، وعُدت تصرفاتهم من الغرائب التى لا تصدق، ومن ذلك ما ذُكر عندما بعث إليهم أحد أمراء الخليفة كتابا يقول فيه:

"إرحموا أرواحكم واطلبوا الأمان؛ لأنه لا طاقة لكم بهذه الجيوش الكثيفة. فأجابوه بكتاب يقولون فيه: مَنْ يكون هولاكو؟[6] **وما قدرته ببيت عباس مِن الله ملكهم؟ ولا يفلح من يعاندهم، ولو أراد هولاكو الصلح لما داس أرض الخليفة ولما أفسد، والآن إن كان يختار المصالحة فليعد إلى همدان ونحن نتوسل بالدويدار ليخضع لأمير المؤمنين متخشعاً في هذا الأمر لعله يعفو عن هفوة هولاكو"** [7].

(7).

---

[1] - ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية ، ص٣35.
[2] - شبر،خلفاء بني العباس،ص480.
[3] - شبر،خلفاء بني العباس،ص478 الورد، شبهات السلفية ، ص١٢١.
[4] - ابن العلقمي: محمد بن احمد بن علي هو أسدي اصلهم من النيل ،قيل لجده العلقم يلانه حفرالنهر المسمى بالعلقمي (القازاني)،كان وزيرالخليفة المستعصم بالله وكان محبا للادب والشعرمجل لاهل العلم عاش بعد الخليفة ثلاثة اشهر حيث توفي سنة 656 هـ/ 1258م . ينظر : ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب ،ص337؛الذهبي ، سيراعلام النبلاء،ج 22 ،ص 361.
[5] - ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص333.
[6] - فضل الله الهمذاني ،جامع التواريخ ، ص98؛القرماني،أخبار الدول،ص286؛اقبال ، تاريخ المغول ،ص110.
[7] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٣٦.

ونحن لو تأملنا في مفاد هذا الجواب، فإنه يكشف لنا المستوي الفعلي من السوء والسفل والانحطاط الذي تلبست به الخلافة، ومدى التهاون والعبث بمقدرات الأمة، وأكثر سوءاً منه انقياد الخليفة لمثل هؤلاء الأراذل.

وكان هولاكو قد طلب من الخليفة النجدة عندما كان يحاصر قلاع الإسماعيلية وينذره بالقدوم إن لم يفعل، ولكن الخليفة لم يعر الأمر أية أهمية بتأثير من حاشيته، وعندما فتح القلاع أرسل رسولاً إلى الخليفة يعاتبه[1]، فشاور الوزير ابن العلقمي، فاقترح عليه بذل نفائس الأموال والإبل والجياد والتحف والهدايا في صحبة الرسل الكفاة الدهاة مع تقديم الاعتذار لهولاكو وجعل الخطبة والسكة باسمه، فأُعجب الخليفة برأي الوزير، ولكن الدويدار أثنى الخليفة عن هذا الرأي فاقتصر على شيء نزر لا قدر له[2]، فغضب هولاكو وقال: لابد من مجيئه هو بنفسه أو يسير أحد ثلاثة نفر، إما الوزير وإما الدويدار وإما سليمان شاه، ولكن الخليفة أرسل ابن الجوزي بمشورة من حاشيته[3].

ثم تم الاتفاق على إعداد الجيوش على أن الخليفة يبذل الأموال ويصرف رواتبهم، فقام الوزير بإعداد الجيش، وبعد خمسة أشهر طلب الوزير من الخليفة صرف رواتبهم، ولكنه اعتذر ولم يفِ بما وعد، فسرح الجنود انفسهم، وظل منغمساً في لذاته ولهوه إلى أن ذهب كل شئ[4].

---

[1] - فضل الله الهمذاني ،جامع التواريخ ، ص168.

[2] - فضل الله الهمذاني ،جامع التواريخ ، ص182.

[3] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ص284؛ الامين،الغزو المغولي،ص134؛ شبر،خلفاء بني العباس،ص542.

[4] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ،ج2،ص274؛ شبر،خلفاء بني العباس،ص542.

وذكر المؤرخون أنه وجد في بركة للخليفة من الذهب والكنوز والجواهر ما لم يوصف، وجُمعت فكانت كالجبل، ووجد عنده سبعمئة سرّية وألف خادمة وغير ذلك من الرقيق والأموال[1] .

ولو تأمل كل عاقل في حال الخليفة وشؤونه لدهش وحار في وصف من يملك كل هذه الأموال، ثم يمتنع من تمويل جيشه وصرف رواتب جنده حتى يسرحوا أنفسهم بعد خمسة أشهر من انتظامهم في صفوف الجيش المعد لمواجهة المغول، على الرغم من عظم الخطب وهول المصيبة المحدقة بالأمة ؟!

لأجل كل ما تقدم استمر الزحف المغولي بعد وفاة جنكيزخان باتجاه الغرب وأداموا زخمه وقاموا باحتلال الحواضر والمدن الإسلامية واحدة بعد الأخرى، حتى وصلوا إلى عاصمة الخلافة بغداد، فاستولوا عليها بسهولة سنة656هـ1258م إذ لم تكن ثم مقاومة فعلية تذكر وبعدها واصلوا اندفاعهم نحو بلاد الشام واحتلوها[2].

ولولا صدمة ما حصل لهم من انكسار في معركة عين جالوت[3]، لما أوقف زحفهم شيء لتحقيق هدفهم باحتلال العالم القديم بأسره، وهذا ماسنبينه بالتفصيل في الفصل الثالث عند الحديث عن إعمال نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي على حركة المغول .

---

[1] - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٢١٨؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٣٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣١٨؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، ص٢٦٢ -٢٩٦؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة أحداث سنة ٦٥١- ٦٥٦؛ الورد، شبهات السلفية، ص ١١٩- ١٢١.

[2] - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص ٢١٨؛ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٣٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣١٨؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ج٢، ص٢٦٢ -٢٩٦؛ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة أحداث سنة ٦٥١- ٦٥٦؛ شبر،خلفاء بني العباس،ص542.

[3] -عين جالوت: من اهم المعارك الفاصلة في تاريخ الاسلامي ، وقعت عند سهل عين جالوت في بلاد الشام حيث استطاع المماليك سنة658هـ/ 1260م بقياده قطز هزيمة المغول وايقاف زحفهم ووتبديد خرافة ان المغول قوم لا يهزمون وقد ترتب على هذا الانتصار نتائج عدة سياسية وعسكرية . ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج 12 ،ص 500 ؛ابن واصل ،مفرج الكروب ،ج4 ،ص 327 ؛المقريزي، السلوك، ج1، ص 431؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة، ج7،ص 79 ؛سليمان ،المغول والمماليك ،ص 68.

فلســفة التــاريخ عنــد تــوينبي

المبحث الأول

****

نظرية توينبي في التفسير الحضاري للتاريخ

المبحث الثاني

****

السمات الايجابية في فلسفة توينبي التاريخية

المبحث الثالث

****

المؤاخذات العامة على فلسفة توينبي في التاريخ

المبحث الاول

نظرية توينبي في التفسير الحضاري للتأريخ

المطلب الاولً : ترجمة موجزة لتوينبي: ولد في لندن سنة ١٨٨٩ ميلادية في أسرة مسيحية تنتمي مجتمعياً إلى الطبقة الوسطى المثقفة . كان والده موظفاً في إحدى الشركات، وكانت أمه حاصلة على شهادة بكالوريوس بالتاريخ من جامعة كامبردج. وألفت كتابا مدرسيا في التأريخ وكان لها تأثيرا واضحا- كما يقول توينبي- في تعلق توينبي بالتاريخ وإذكاء محبته له في نفسه منذ الطفولة .[1]

ودرس في مدرسة داخلية في (وتن كورت) لمدة ثلاث سنين ثم التحق بكلية مانشستر، وأمضى فيها مدة خمس سنوات (1902-١٩٠٧) ثم حصل على منحة دراسية مكنته من مواصلة دراسته الجامعية في جامعة اكسفورد(١٩٠٧-١٩١١) فدرس تاريخ اليونان والرومان القديم ، وعين بعد تخرجه معيداً في تلك الجامعة، ثم أرسلته للدراسة في المدرسة البريطانية للآثار في أثينا (١٩١١- 1912) فقضى عاماً واحداً ورجع إلى جامعته .[2]

وبذلك يكون توينبي قد نشأ في مناخ يتسم بالثبات والاستقرار ويستمد أساسه من الإنجيل والكلاسيكيات الاغريقية وكانت سفرته إلى اليونان هي بداية توينبي للعثور على مادته التي سيكتب منها دراسته عن التاريخ ، والتي مكنته أن يرى الحضارات في مواطنها الأصلية[3].

وتحدث توينبي عن هذه السنة التدريبية- التي كانت تهدف لتحسين مهاراته العلمية والعملية- بأنها كانت تكملة لثقافته الاغريقية وأنها كانت سببا في نقله من عالم اليونان والرومان القديم

---

[1]-توينبي، تاريخ البشرية، ج2، ص254؛ الشفقي ، مع ارنولد توينبي،ص 25 ؛صدقي، ارنولد توينبي ، ص 292 ؛ الملاح واخرون، دراسات في فلسفة التاريخ،ص 211.

[2]- صدقي، أرنولد توينبي ، ص293؛الملاح،المفصل في فلسفة التأريخ ، ص٣٨٣ .

[3]- شلبي، نظرات في أرنولد توينبي ، ص38.

إلى عالم القرن العشرين لأنها هيأت له فرصة مناسبة لمقابلة الناس، والإحاطة بأسباب همومهم ومشاكلهم المعاصرة[1].

وقد أتقن توينبي لغات عدة، القديمة منها والمعاصرة ، لاسيما اللغتين (اللاتينية واليونانية القديمة) إذ درس اللاتينية وهو بعمر السابعة ولمدة خمسة عشر عاما، ودرس اليونانية القديمة وهو في عمر العاشرة ولمدة اثني عشر عاماً، وتمكن منهما تماماً، مما هيأ له تصوراً كاملا عن تأريخ تلك الحقبة فكرياً، واجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، فكان له اثرً واضح في رسم فلسفته التاريخية[2]

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى في سنة (١٩١٤) ميلادية تخلف توينبي عن الالتحاق بالجيش، لعدم لياقته طبياً إذ أصيب بالدزنتريا في عام (1912) خلال رحلة له في ريف اليونان[3].

والتحق بدائرة الاستخبارات السياسية في وزارة الخارجية البريطانية، فمكنته هذه الوظيفة من الاطلاع على القرارات السياسية التي تصاغ من وراء الكواليس، وعلى كيفية تزوير الوثائق الرسمية . هذه الوثائق التي يتلقفها المؤرخون من دون تدبر في واقعها، فيكتبون منها تاريخ الأفراد والشعوب. كما اشترك في مؤتمر الصلح[4] عام (1919) ميلادي بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى[5].

كما اشترك في المؤتمر الذي عقد عام ١٩٤٦ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية([6]). يقول توينبي عن تجربته: **"وفي كل مؤتمر(من هذين المؤتمرين) لم تكن وظيفتي إلا ثانوية، ولكنها كانت**

---

[1]- صدقي، أرنولد توينبي ، ص293؛الملاح ،المفصل في فلسفة التأريخ ، ص383.

[2]- صدقي، أرنولد توينبي، ص293؛الملاح ،المفصل في فلسفة التأريخ ، ص ٣٨٤ .

[3]- المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكرالغربي،ص140.

[4]- عقده الحلفاء المنتصرون في باريس لتحديد أسس السلام في المرحلة القادمة، وتقرير كيفية تقسيم الغنائم ورسم خريطة العالم. ينظر: يحيى،التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر،ص540.

[5]- صدقي، ارنولد توينبي، ص294.

[6]- عقده الزعماء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية- الحلفاء والاتحاد السوفيتي- في يالطا الواقعة على ساحل شبه جزيرة القرم، لرسم سياسة العالم وتقرير مصيره،ويسمى بمؤتمر الصلح الثاني.ينظر:توينبي،من الشرق والغرب،ص1-4؛صدقي ،ارنولد توينبي،ص293.

توصلني إلى المقاعد الخلفية في قاعة المؤتمر، وكنت أمسك بأوراق قد تلزم وقد لا تلزم المندوبين الجالسين في الصف الأمامي، ولما كانت مسؤوليتي بالفعل ضئيلة فإن فرصتي للمراقبة كانت جيدة، فإن الساعات الكثيرة التي أنفقتها في المؤتمرين مصغياً أصبحت جزءاً قيماً جداً من ثقافتي " [1]

وفي عام ١٩٢٤ ميلادي عرضت على توينبي وظيفة مدير المعهد البريطاني للشؤون الدولية- ومقره تشانام هاوس في لندن- فقبلها واستمر يعمل فيها لمدة ثلاثة وثلاثين عاماً، كرس فيها جهده لتحرير مسح سنوي ضخم للشؤون العالمية إلى جانب كتاباته التاريخية الخاصة، وتولى خلالها إصدار حولية (مسح للشؤون الدولية) وقد اتاحت له هذه الوظيفة فرصة الاطلاع على أوضاع العالم المعاصر بعمق، وقدمت له تسهيلات كثيرة لإنجاز موسوعته التاريخية [2].

وراجت فكرة تصنيف كتاب (دراسة في التاريخ) في ذهنه خلال مشاهدته مسرحية (انيجونة) لسو فكلس في عام ١٩٢١، بيد أنها لم تنتقل إلى حيز التنفيذ إلا في عام ١٩٣٠، وقد أصدر المجلدات الثلاثة الأولى من كتابه في عام ١٩٣٤، وقبل الحرب العالمية الثانية أصدر ثلاثة مجلدات أخرى ، وفي عام ١٩٥٤ أصدر أربع مجلدات أخرى هي تتمة الكتاب، وعاد وأصدر المجلد الحادي عشر في عام ١٩٥٩تحت عنوان (أطلس تاريخي ومعجم جغرافي) وأخيراً أصدر الجزء الثاني عشر تحت عنوان (مراجعات) في عام ١٩٦١[3]وقد عد كولن ولسن [4] هذا الكتاب بمثابة سجل لأغرب سفرة روحية في عصرنا هذا ، وهو أيضا أطول كتاب تاريخي ألفه كاتب بمفرده في هذا العصر؛ لأنه يقع في أكثر من خمسة آلاف صفحة.ويبدو أن السبب الرئيسي في نجاح توينبي في إنجاز هذا العمل الكبير هو حسن استغلاله لوقته[5].

---

[1]- توينبي ، تجارب ، ص٥٢؛الملاح، المفصل في فلسفة التأريخ ، ج١ ، ص٣٨٤- ص ٣٨٥.

[2]- توينبي، التحديات الكبرى ، ص5؛ صدقي، أرنولد توينبي، ص296؛ المحبشي ،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي ،ص142؛الملاح، المفصل في فلسفة التأريخ، ج١، ص٣٨٥.

[3]- صدقي، ارنولد توينبي ، ص296؛محمود ، سيرة الفكر التاريخي عند توينبي ، ص69؛الملاح ،المفصل في فلسفة التأريخ ، ج١،ص٣٨٥؛ دراسات في فلسفة التاريخ ،ص211.

[4]- ولسن، سقوط الحضارة، ص١٤٦

[5]- الملاح،المفصل في فلسفة التاريخ، ج١، ص٣٨٥.

ويرى غير واحد من المفكرين أن السبب الرئيسي الذي دفع توينبي على تأليف كتاب (دراسة في التاريخ) هو قلقه على مصير الحضارة الغربية من الانهيار، ولم يتمكن من التجرد عن مشاعره الخاصة وعواطفه في تقرير موضوعات كتابه- كما هو مقتضى قواعد البحث العلمي- بل كانت ظاهرة جداً على الرغم من حرصه على عدم ظهورها[1] لذلك وصف كولن ولسن كتاب توينبي بأنه **"شخصي أكثر مما كان مؤلفه يريده أن يكون"**.توفي توينبي سنة ١٩٧٥ ميلادية وقد ناهز عمره ستة وثمانين عاما[2].

المطلب الثاني: الشخوص المؤثرة في دراسة توينبي للتأريخ:

لاشك بأن المؤثر الأول على سيرورة توينبي التاريخية كانت أمه ، فقد كان فضلها عليه عميماً وهي التي جعلت منه مؤرخاً - كما يقول هو- عندما أذكت في نفسه منذ الطفولة محبة التاريخ وكانت صحبتها له صحبة فكرية مفيدة ومميزة [3]، كما تأثر توينبي- على وجه العموم- بعدد من الكتب والمؤلفات لمفكرين متميزين ومن ذلك "الكتاب المقدس، فقد أثر فيه تأثيراً عميقاً وأجاممنون لإسخيلوس[4]، وفاوست لجوته- ومنه استوحى فكرة التحدي والاستجابة في سير التاريخ ونشوء الحضارات- كما تأثر بأفلاطون، وشكسبير، وميلتون، وشيلي، وبالعالم النفساني يونج، وبرجسون[5] الفيلسوف الفرنسي "[6]، ويرى بعض الباحثين

---

[1]- بريتون ، جغرافية الحضارات ، ص 25؛المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي ،ص145؛الملاح،المفصل في فلسفة التاريخ ، ج١،ص٣٨٦ .

[2]- ولسن، سقوط الحضارة ، ص١٤٦.

[3]- توينبي ، تجارب ،ص89؛ المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي ،ص138؛الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ، ج١، ص٣٨٣؛.

[4]- اسخيليوس:روائي مسرحي تراجيدي يوناني(525ق.م-456ق.م)،كل مسرحياته ذات طابع درامي مأساوي مقتبسة من تاريخ اليونان.ينظر:باندولغي ، تاريخ المسرح، ج1،ص121؛خفاجة ، دراسات في المسرحية اليونانية ،ص57.

[5]- فيلسوف فرنسي (1859-1941)يرى ان نشوء الحضارة كان نتاج وثوب روحي يحرك كل حضارة من من التحدي وعبر الاستجابة. ينظر: المحبشي ،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي،ص178؛هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي ، ص315.

[6]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج1 ، ص75؛ الشفقي ، مع أرنولد توينبي، ص 32 ؛شلبي،نظرات في ارنولد توينبي،ص38-42؛ الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ،ج١،ص٣٨٤؛ هيرمان، فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي ، ص335 .

الباحثين أن توينبي قد تأثر على وجه الخصوص بفلسفة القديس أوغسطين[1]، ولاسيما من الجانب الديني، وبفلسفة التاريخ عند ابن خلدون[2]، وبفلسفة شبنجلر[3]، وهذا وإن كان صحيحاً بالجملة، ولكن ليس إلى حد التأثر البالغ، فتصور هؤلاء فيه شيء من المبالغة، إذ قلما نجد مؤرخاً أو مفكراً أو باحثاً لم يتأثر بمن سبقه .

أ: القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٢٠م)

إن فهم القديس أوغسطين للتاريخ يستند إلى مرجعيته الدينية، وينطلق من مُسلّمة دينية تفيد بأن الله كلي القدرة والعلم- أي أنه تعالى قادر على كل شيء، وعالم بكل شيء- ومن ثم فهو غير خاضع لأي وجه من وجوه الضرورات . فهو الذي خلق الطبيعة، وهو قادر على أن يغيرها إن أراد ، وعالم بما كان و يكون[4]. "وباختصار فان الله يقرر مستقبل التاريخ "[5].

"[5].

ولا يخفى أن قدرة الله عز وجل المطلقة وعلمه المطلق لا يستوجب أن يكون الإنسان مجبوراً في أفعاله، فقدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه وإرادته لا تحد من اختيار الإنسان ولا

---

[1]- يعد من أشهر آباء الكنيسة اللاتينية، ولد في تاجرت في الجزائر سنة 354م، وتعلم في قرطاجنة، وسافر إلى روما، ثم رجع إلى دياره وأصبح أسقفاً لكنيسة هيو،درس الخطابة وأولع بالاتينية والادب اللاتيني من أشهر كتبه (مدينة الله،الاعترافات) توفي سنة 430م.ينظر: اسماعيل،توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ،ص13 ؛طرابيشي ،معجم الفلاسفة،ص120؛ مهورباشة،فلسفةالتاريخ،ص47؛النشار،فلسفة التاريخ،ص75.

[2]- ابو زيد ولي الدين عبد الرحمن محمد بن خلدون الحضرمي الاشبيلي صاحب المقدمة المشهورة، ولد في تونس سنة (732هـ / 1332م) وتوفي في القاهرة سنة (808هـ / 1406م)، ويعد مؤسساً لعلم الاجتماع، ومؤصلاً لفلسفة التاريخ.ينظر: سلطان ، أداة فلسفة التاريخ،ص23؛غنيمي ،فلسفة التاريخ،ص27 وما بعدها.

[3]- أزفلد اشبنجلر رائد التفسير العضوي للحضارة (1880- 1936م) ولد في مدينة بلاكنبورج بألمانيا، تعبّر فلسفته للتاريخ عن نزعة وجودية ترتكز على التصور الجماعي من دون الفردي، ويرى ان تفسير التاريخ لا ينبغي أن يكون منطقياً أو عقلياً، وإنما بحسب رؤية شعرية، من أبرز كتبه (تدهور الغرب).ينظر:علم الدين، فلسفة التاريخ،ص55.

[4]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ص75؛ الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ج١ ، ص94 . توينبي توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ص75.

[5]- جيري ،المذاهب الكبرى ، ص١٤٧؛الخشاب ،تاريخ الفلسفة ،ص255؛مهورباشة،فلسفة التاريخ ،ص49.

تحملـه علـى فعـل شـيء أو تركـه، كعلـم المعلـم بطلابـه ومسـتواهم العلمـي قبـل إجـرائهم الامتحان، للعلاقة الوثيقة والمتصلة بين المعلم وتلامذتـه، والله عز وجل علـة العلل والخـالق المطلق، ولأرتباط المعلول بعلته ابتداءً واستمراراً، بمقتضـى عنايتـه بـه، والعنايـة فرع العلم والقدرة، فإنهما من صفات واجب الوجود الذاتية الجمالية المطلقة.

وبمقتضى هذه الرؤية، فإن التاريخ- بحسب فهم أوغسطين- يتمحور حول الحادث (المخلوق) والقديم (الخـالق) والله خـالق الزمـان والممكنـات (حادثـة) ولا يمكـن للحـادث ان يفهـم القـديم الأبـدي ولا أن يصـفه أو يعللـه، "ومـع ذلـك؛ فـإن الله فـي أطـار التـاريخ البشـري هـو العنايـة، فشؤون التاريخ الأرضي يتولاها الله (تعالى) ويحكمها كما يشاء، وليس في الإمكان مطلقا الاعتقاد بأنه ترك ممالك البشر خارج قوانين العناية، ولذلك فإن العالم عند أوغسطين انسجام تام، فهو منتظم متناسب الأجزاء؛ لأنه يقوم على قواعد من القياس والعدد والصورة، وهذا النظام المتمثل في العالم يدل على أن الله يرتب الأشياء حسب الغاية التي ينشدها"[1].

إذن لا وجود للصدفة في سيرورة التاريخ- عند أوغسطين- فإن كل شـيء حصل بتقدير الله سبحانه، وإن إرادته غير خاضعة للضرورات فكل أحداث التـاريخ مسيرة كما يشاء[2]. فلا يمكن قبول الصدفة عقلا ولا نقلا؛ وذلك لتوافق حكم العقل مع حكم الشرع، فإنه لا يمكن قبول حدوث شـيء من دون سبب وعلـة توجـب حدوثـه، وإن التـأريخ وحوادثـه لا يمكـن أن تكـون حاصلة بالصدفة، فالصدفة ليست دائمة ولا غالبة. وكل حادث في الوجود لابد لـه من محدث وعلة وسبب، وإن هذه الاسباب ليس بالضرورة أن تكون واحدة، وإنما قد تجتمع أسباب عدة في صنع الحدث، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو دينية أو اقتصادية[3] .

فإن قيل: بأن الشرور والظلم الواقعة في أحداث التـاريخ تستلزم نسبة الظلم والجور إلـى الله تعـالى مـا دام كل شـيء يحدث بعنايتـه وإرادتـه، وهـو منـاف لعدلـه وحكمتـه ولطفـه وإحسـانه وغيرها من صفات الكمال والجمال التي يجب ان يتصف بها.

---

[1]- الشـرقاوي ، أدب التـاريخ عنـد العـرب ، ص١٢٠؛صـبحي ،فـي فلسـفة التـاريخ ،ص170؛ مهورباشة،فلسفة التاريخ ،ص59.

[2]- جيري ، المذاهب الكبرى ، ص ١٤٨ ؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٩٥.

[3]- صبحي ،في فلسفة التاريخ ،ص166؛ مهورباشة، فلسفة التاريخ ،ص58.

وجوابه- كما يرى أوغسطين- بأن إرادة الله قد سمحت للشيطان بغواية الإنسان حتى يتمكن من الاستفادة منها[1]، أي أن كل ما يتعرض له الإنسان من ويلات ومصائب وبؤس، إما لإظهار كماله، وإما لتصحيح أخطائه ونقائصه. وكذلك فإن الله يدخر لنا بعد الموت ثواباً أبدياً جزاء صبرنا على تحمل الآلام والشرور، والموت لا يُعد شراً ، بل مقدمة للخير المدّخر. [2].

وبمقتضى ما أقره أوغسطين، بأن كل شيء في أحداث التاريخ يسير على وفق إرادة الله تعالى وعنايته بمقتضى اللطف الإلهي الذي لا يستلزم الجبر أو التفويض، فهو بذلك يرفض الرأي القائل بوجود تعاقب دوري في التاريخ، فيرى بأن الأحداث التاريخية تسير بخط مستقيم منذ خلق آدم (بداية التاريخ) إلى يوم القيامة (نهاية التاريخ)[3]. وعلى وفق هذه الرؤيا ميز أوغسطين نمطين من أنماط الحياة في التاريخ، أولهما يتألف من الذين يتوقون إلى الحياة الجسدية ورغباتها ويغلب عليهم الظلم والخصام وهؤلاء سماهم (أصحاب المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان) والآخر يتألف من الذين يتوقون إلى الحياة الروحية، وسماهم (أصحاب المدينة السماوية أو مدينة الله) ، وهؤلاء تكون العلاقة فيما بينهم قائمة على محبة الله والخير والتعاون وخلص القديس أوغسطين- بمقتضى تفسيره الديني للتاريخ- أن السلطة النهائية لقيادة المجتمع ينبغي أن تكون في يد الكنيسة، دينياً وسياسياً[4].

وأخذ الأسقف جاك بوسيه (1627- 1704م)[5] بمذهب أوغسطين، وألبسه حلّه جديدة وقدمه بصورة أكثر ملائمة لظروف العصر[6].

---

[1]- الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ج١، ص ٩٥.

[2]- اوغسطين ،مدينة الله ،ج1،ص 482؛جيري ، المذاهب الكبرى، ص١٥٠.

[3]- جيري ، المذاهب الكبرى ، ص150.

[4]- جيري ، المذاهب الكبرى ، ص١٥٠_ص١٥١؛ الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ج١، ص٩٦.

[5]- واعظ ديني ولد في ريجون في فرنسا، ودرس القانون في متز وعمره اثنا عشر سنة، وقد تفرغ للّاهوت وأصبح قسيساً سنة 1652م، وذاعت شهرته في باريس، كان يؤكد على سلطة الكنيسة ويعارض حركات الإصلاح البروتستانتية، وكان على صلة وثيقة بالبلاط الملكي في عهد لويس الرابع عشر وأصبح معلماً لابنه، له مؤلفات عدة، أشهرها (مقال في التاريخ العالمي).ينظر:صبحي،في فلسفة التاريخ،ص171.

[6]-الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ، ج١، ص٩٧.

إن تأثر توينبي بالقديس أوغسطين لم يكن من باب المصادفة، ولم يأت من فراغ، فالقديس أوغسطين يعتبر من أكثر الشخصيات أهمية لكل من أراد التوفيق بين العقيدة المسيحية والفلسفة[1].فقد قدم أوغسطين الإيمان المسيحي بوصفة إيماناً لا يلغي العقل، وذلك من خلال عبارته الشهيرة " **افهم كي تعتقد، واعتقد كي تفهم** " فأصبحت هذه العبارة بمثابة قاعدة لمن أراد التوفيق بين العقل والإيمان المسيحي[2]

إذن مع القديس أوغسطين أضحى موضوع التاريخ، هو تاريخ الانسانية بشكل عام، وذلك من خلال نظرته الشاملة التي وحدت التواريخ الجزئية " تاريخ شعب، أمة، امبراطورية " إلى تاريخ للبشرية جمعاء، وهذه الفكرة امتدت إلى منهج توينبي التاريخي الذي اعتبر التاريخ الحقيقي هو تاريخ البشرية جمعاء، وليس تاريخ أمة بعينها، فقد جعل توينبي من الحضارة الوحدة الحقيقية لدراسة التاريخ، وعدها بمثابة الركيزة الأساسية التي استند إليها في صياغة منهجه التاريخي[3]

إن مسار التاريخ كما صورهُ توينبي يكشف عن تأثره إلى حد كبير بتصور أوغسطين ، فقد كان التصور الديني لمسار التاريخ عند كليهما دافعا لبعض المفكرين للحكم بأن توينبي قد وحد بين علم التاريخ وعلم اللاهوت، كما فعل من قبل أوغسطين[4]

وعلى الرغم من ظهور الأثر الديني في تفسير توينبي لحركة التاريخ، ومن ثم حمله على التأثر برؤية القديس أوغسطين في تفسير التاريخ [5]إلا أنه أمر نسبي، فإن فلسفة أوغسطين في تفسير حركة التاريخ قائمة على مبدأ الحتمية التاريخية وأن كل أحداث التاريخ تسير على وفق إرادة الله تعالى وتقديره وعنايته، كما تقدم بيانه، وهو بخلاف رؤية توينبي في تفسير

---

[1]-توينبي ، مختصردراسة للتاريخ ،ج1،ص75؛ تيزيني، تاريخ الفلسفة القديمة والوسيطة ، ص360؛المحبشي ،فلسفة التاريخ ،ص149.

[2]- علم الدين، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، ص 44؛ موسوعة ستانفورد للفلسفة ، القديس اوغسطين ، ص 26 ؛النجم، توينبي ونظريته التحدي والاستجابة ، ص 21 .

[3]- غنيمي، فلسفة التاريخ، ص39؛ مهورباشة، فلسفة التاريخ ،ص 55؛ النجم ، توينبي ونظرية التحدي ، ص31 .

[4]- هنا ، فلسفة الحضارة، ص110.

[5]- علم الدين، فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي، ص٤٢.

سيرورة أحداث التاريخ، فهي قائمة على أساس نظرية التحدي والاستجابة وهي تفيد بوجود أثر مباشر لأفراد المجتمع في تسيير عجلة التاريخ، ولا سيما دور الأفراد المبدعين في قيام الحضارات ونشوئها، وكذلك بالنسبة لدور البروليتاريا في أفول هذه الحضارات بعد نضوب الحالة الإبداعية عند الأقلية المبدعة في ديمومة التحدي وفقدان الاستجابة الناجحة، كما سيأتي بيانه، والفرق بين الفلسفتين واضح جداً.

ولا يخفى أن مبدأ الحتمية التأريخية، يقضي بأن يسير المجتمع على وفق فكرة الجمود والمصير الحتمي، فلا فائدة من العلم والعمل؛ لأن المصير واحد، وانما الذي يمكّن الانسان من الانطلاق نحو الاجتهاد والبذل وتطوير نفسه ومجتمعه هو الاختيار والإرادة الحرة، وهو ما تفيده نظرية التحدي والاستجابة؛ فإنها تعمل على تقوية إرادة المجتمعات والتصدي للأزمات والصعاب والأخطار ومواجهتها بقوة، وهو أمر مهم للغاية في حركة المجتمعات وتطور الحضارة فيها .

أما بخصوص التوجه الديني عند توينبي، فهو اتجاه عام لا يمكن تخصيصه بالتأثر بأوغسطين ، فيما لو استثنينا المنهج المادي الصرف أو طريق الوجودية الملحدة، او حتى الذين يقصرون دور الله على إيجاد الإنسان كجسم نام حساس متحرك بالإرادة عاقل فحسب، ثم يفوض أموره إليه (اختيار مطلق) .

ب: عبد الرحمن ابن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨هـ) (1332- ١٤٠٦م)

يرى معظم الباحثين- المستشرقين منهم والعرب- أن ابن خلدون يُعدّ أول من أضفى صفة العلم على فن التاريخ، وجعله علماً مستقلاً بذاته. وإليك بعض أقوالهم:

قال شمت: **"علينا القول هنا بأن ابن خلدون يعد أول المفكرين الذين اعتقدوا بأن العلم يُكتشف من خلال المشاهدة والإلهام، كما كان سابقا في تعريف حقل التاريخ واعتباره علماً مستقلاً يدرس الحقائق التي تقع في مجال العلم"**[1].

[1]- شمت، ابن خلدون المؤرخ ، ص٥٩.

وقال أيضا: **"المفهوم الجديد للتاريخ الذي وضعه لنا ابن خلدون، والذي يُوسع من خلاله مجال التاريخ، ويعتبره علماً قائماً بحد ذاته، إنما هو مفهوم مبتكر لم يذكره أي مؤرخ أو كاتب من قبل"**[1].

ومنحه ويد جيري لقب (مؤسس علم التاريخ)[2] ، ويرى روبرت فلنت أن أول كاتب اتخذ البحث في التاريخ موضوعاً لعلم خاص هو ابن خلدون[3].

وقال توينبي- الذي ذكر ابن خلدون في مواضع عدة من كتابه دراسة التاريخ- : لقد وضع ابن خلدون فلسفة للتاريخ هي بدون مجاملة أعظم عمل من نوعه ابتدعه العقل في أي زمان أو مكان[4].

أما بالنسبة لرأي الباحثين العرب في عد ابن خلدون مؤسساً لعلم التاريخ والاجتماع فظاهر، حتى عد بعضهم نتاجه بـ (الطفرة الكبرى)[5]، ويبدو أن ما ذكره هؤلاء "يرجع إلى تحديد ابن خلدون للركائز الاساسية التي يستند عليها فن التاريخ بصفته علماً، شأنه كشأن باقي العلوم المستندة على ركائزها أو أركانها التي تقوم عليها وهي :

١- الموضوع المتميز: وهو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية.

٢- المسائل والأحوال العارضة التي ينبغي أن تكون المحمولات فيها أعراضاً ذاتية لموضوع العلم.

٣- الغرض، على أساس أن لكل علم غرضاً يختص به ويختلف عن الغرض المترتب على غيره من العلوم"[6].

---

[1]- شمت ، ابن خلدون المؤرخ ، ص٦١.
[2]- جيري ، المذاهب الكبرى ، ص١٣٤.
[3]-صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية، ص٥٦١.
[4]- توينبي ، تاريخ البشرية ،ج2،ص160؛ الحصري ،دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص 260 ؛ صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص 134؛علم الدين ، فلسفة التاريخ عند توينبي ، ص٢١.
[5]- مهورباشة، فلسفة التاريخ ،ص 59؛الوردي، منطق ابن خلدون ، ص١٠٩ .
[6]-الورد، تأملات في فلسفة ابن خلدون التاريخية، ص١٢٨- ص١٢٩.

وموضوع التاريخ عند ابن خلدون هو العمران البشري والاجتماع الانساني، ومسائله هي الأحوال العارضة ذاتاً على الموضوع بلا واسطة، والغرض منه تحرّي طريق الصدق والصواب في نقل الأخبار من خلال مطابقتها للواقع وإمكانية وقوعها[1].

كما ذهب جمع من الباحثين الغربيين- فضلا عن العرب- إلى عد ابن خلدون مؤسساً لفلسفة التاريخ، منهم: روبرت فلينت، و جورج سارتون، وتوينبي، ووينكلسون[2].

ويبدو ان ما ذهب إليه هؤلاء يرجع إلى المنهج العلمي الذي اعتمده ابن خلدون في صياغة مذهبه التاريخي، وهذا المنهج يرتكز على ثلاثة أسس ضرورية لبناء فلسفة التاريخ:

١- إن فن التاريخ عند ابن خلدون يُعد علماً مستقلاً بذاته، لوجود الأركان الأساسية التي يقوم عليها العلم وهي: الموضوع والمسائل والغرض...

٢- عد التاريخ من العلوم الفلسفية التي تعتمد على النظر والتعليل ومعرفة الاسباب...

٣- النظرة الشمولية للتاريخ والتصور الكلي المنتزع من سير أحداثه وموضوعه وأحواله العارضة وأسبابه وعلله، ثم تعميم النتائج المستخلصة من أحداثه الجارية[3]. وقد قرر ابن خلدون بأن حقيقة التاريخ **"خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل: التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف المتغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ من ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصناع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"**[4].

ويرى ابن خلدون ضرورة هذا الاجتماع وأنه لا بد له من وازع- سلطان او حاكم- يحفظ الأمن ويحقق الانتظام فيه[5].

---

[1]- الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص 264؛الورد، تأملات في فلسفة ابن خلدون التاريخية ص١٢٩.

[2]- صبحي، فلسفة التاريخ، ، ص١٣٣-١٣٤؛ هاري ، تاريخ الكتابة التاريخية ؛ ج1، ص١٤٠ .

[3]- غنيمي ، فلسفة التاريخ ، ص 15؛الورد ، تأملات في فلسفة ابن خلدون ، ص١٣٠-١٣١ .

[4]- ابن خلدون، المقدمة ، ص٣٤؛ الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص 264 .

[5]- ابن خلدون ،المقدمة ،ص٤٠.

وفي ضوء ذلك نجد أن العمران عند ابن خلدون يقوم على ركيزتين:

أولهما: ضرورة الاجتماع الإنساني .

والاخرى: لزوم وجود الوازع (السلطان).

وزاد الفلاسفة ركيزة أخرى للاجتماع الإنساني وهي النبوة، إلا أن ابن خلدون يراها غير برهانية، وإنما مدركها الشرع[1]. وهذا مجانب للدقة والصواب؛ لأن عد مدرك النبوة شرعي يستلزم الدور المحال؛ لأن العلم بصدق النبي وصدق دعواه النبوة نظري، والنظر عقلي، وإلا لزم انقطاع حجة النبي[2].

ويمكن تصنيف نوعين من العوامل التي عدها ابن خلدون مؤثرة في الاجتماع الإنساني وأحواله العارضة:

١- عوامل بيئية وجغرافية تتحكم بها الطبيعة، فالموقع الجغرافي المناسب من حيث اعتدال المناخ، ووفرة الماء، وسهلية الأرض وخصوبتها، وطيب الهواء، تعد سبباً مباشراً على قيام العمران.

٢- عوامل ذاتية، متمثلة بالعادات والتقاليد والاقتداء، والعصبية التي يعدها أساساً للملك، وكذلك الدين الذي يراه ابن خلدون ليس ضروريا لقيام العمران، وإنما يزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية[3].

أما النظريات الكلية التي انتهى إليها ابن خلدون- وهي تعد الهيكل الأساسي لفلسفة التاريخ- فيمكن تمييزها على أنواع ثلاثة من ظواهر الاجتماع الانساني[4]:

---

[1]- ابن خلدون ،المقدمة ، ص40.

[2]- الورد ، تأملات في فلسفة ابن خلدون، ص١٤٢.

[3]- صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص 140؛الورد ، تأملات في فلسفة ابن خلدون ص ١٣٢.

[4]- علم الدين ،فلسفة التاريخ ،ص36؛مهورباشة،فلسفة التاريخ ،ص61؛الورد ، تأملات في فلسفة ابن خلدون ص132.

1- الظواهر السياسية: وتتمثل بجملة من الكليات من قبيل: حصول الملك والدولة بالقبيل والعصبية، أو إذا استقرت الدولة فقد يستغنى عن العصبية ، وأن العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره، وأن الدول العظيمة الملك والعامة الاستيلاء أصلها الدين، وأن الدين يزيدها قوة، وكل دولة لها حصة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها، وأن عظم الدولة واتساعها وطول أمدها يرتبط بنسبة القائمين بها في القلة والكثرة، وأن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة، وأن من طبيعة الملك الانفراد بالمجد والترف والدعة والسكون، وإذا استحكمت هذه الطبائع أقبلت الدولة على الهرم، فإذا نزل بها لا يرتفع، وأن الدول لها أعمار طبيعية كما الاشخاص، وأن الظلم مؤذن بخراب العمران، وأن الأمم الوحشية أقدر على التغلب من سواها ، وأن الأمة إذا غلبت وصارت في ملك غيرها أسرع إليها الفناء[1].

٢- الظواهر الاقتصادية: وتتمثل بجملة من الكليات، من قبيل أن الكسب هو قيمة الأعمال البشرية، وأن السعادة والكسب إنما تحصل لأهل الخضوع والتملق، وأن الاحتكار غالبا ما يعود بالتلف والخسران، وأن معنى التجارة اشتراء الرخيص وبيع الغالي، وأن الفلاحة معاش المستضعفين، وأن الصنائع لا بد لها من العلم. وأنها تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته، وأن رسوخها في الأمصار إنما هو برسوخ العمران الحضري، وإنها تستجاد و تكثر إذا كثر طالبها، وأن الأمصار إذا قاربت الخراب انقطعت منها الصنائع[2].

٣- الظواهر المورفولوجية (البنية الاجتماعية) وتتمثل بجملة من الكليات، من قبيل: أن الدول أقدم من المدن والأمصار، لأنها توجد بعد قيام الدول، وأن الملك يدعو لنزول الأمصار، وأن المدن العظيمة والهياكل المرتفعة يشيدها المُلْك الكبير، وأن تفاضل الأمصار والمدن في الرفاهية والتجارة إنما هو في تفاضل عمرانها في القلة و الكثرة، وأن رسوخ الحضارة إنما

---

[1]- ابن خلدون، المقدمة ، ص١١٩-١٣٠؛ الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص 333 – ص 342 ؛علم الدين،فلسفة التاريخ،ص32.

[2]- ابن خلدون ،المقدمة ص٢٨٤-290

هو باتصال الدولة ورسوخها، وأن الحضارة غاية العمران ونهايته، وأنها مؤذنة بفساده، وأن الأمصار التي تكون كراسي الملك تخرب بخراب الدولة وانتقامها[1].

(نتائج أفكار ابن خلدون المؤثرة في فلسفة توينبي)

يعتبر توينبي أحد الذين أفادوا من دراسة ابن خلدون للتاريخ، وأعجبوا به، حتى أنه ذكره في مواضع عدة من كتابه المهم " دراسة للتاريخ " واعتبر أن ابن خلدون قد وضع فلسفة للتاريخ، هي بلا مجاملة أعظم عمل أبدعه عقل في أي زمان ومكان[2] ، إذن لاشك في وجود تأثير لكثير من أحكام ابن خلدون الكلية على فلسفة توينبي في التاريخ ؛ لكونه المؤسس لعلم التاريخ – كعلم له موضوع ومسائل وغرض- وهو المؤصل لفلسفة التاريخ، فمن الطبيعي أن يتأثر به توينبي وغيره، ولكن ليس على وجه الإطلاق، فهناك جوانب عدة تباينت فيها الآراء واختلفت ، ومن ذلك :

١- إن بعض الأحكام التي أطلقها ابن خلدون- على وجه كل- اللازمة لنشوء أي حضارة لم يأخذ بها توينبي، من قبيل توقف الدولة على العصبية وروح القبيلة، وكذلك ما قرره ابن خلدون بخصوص عدم حاجة قيام العمران إلى الدين وإنما عده سبباً لقوة الدولة، ومثل هذه الأمور إنما صدقت على بعض المجتمعات ولم تصدق على بعضها الآخر. ولم يأخذ توينبي بمثل هذه الامور على وجه كلي .

٢- ان مذهب ابن خلدون في ارتباط معظم الظواهر الاجتماعية بالبيئة الطبيعية مبالغ فيه، وحمّل الظواهر الجغرافية أكثر مما تحتمل، ولا سيما في أثر الهواء والمكان على الأخلاق، بينما نجد أثر ذلك عند توينبي يكاد يكون معدوماً، وإن وجد فهو نسبي كما سيأتي بيانه.

---

[1]- ابن خلدون المقدمة ، ص ٢٥٦-٢٧٩ ؛ مهورباشة،فلسفة التاريخ ،ص68؛ الورد ، تأملات في فلسفة ابن خلدون ، ص ١٣٢-133.

[2]- توينبي ، تاريخ البشرية ،ج2،ص160؛الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص 260؛ خوري ،دراسة التاريخ الحضاري عند توينبي ،ص96 صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص134 ؛علم الدين،فلسفة التاريخ ،ص21.

٣- أرجع ابن خلدون أحداث التاريخ إلى مبدأ الحتمية، وفق نظرة كلية غير قابلة للتخصيص، وهو مخالف لمبدأ التحدي والاستجابة الذي قرره توينبي، ولاسيما مع الأخذ بموجبات ديمومة التحدي وفاعليته المستمرة، وسيأتي بيان هذه المسألة.

ويتفق ابن خلدون وتوينبي حول فكرة نشأة المجتمعات، لكن يختلفان في آلية الانتقال، أي انتقال المجتمعات البدائية، من بدائيتها إلى حالة المجتمعات الحضارية، حيث يعتقد ابن خلدون أن العصبية هي صلة الوصل بين المجتمع البدوي والمجتمع الحضري، وغاية العصبية هي الملك، إما بالاستبداد أو المظاهرة، حسب حالة القبيلة. اذن العصبية بحسب رأي ابن خلدون هي ضرورية في طور تأسيس الدولة، لكن في طور الاستقرار تعرقل نشاط الدولة[1] .

ج _ أوزفلد شبنجلر(1297-1354هـ/ ١٨٨٠- ١٩٣٦م)

ترجع شهرة شبنجلر إلى كتابه (تدهور الغرب) الذي بين فيه فلسفته في التاريخ، وقد خلفت هزيمة بلده ألمانيا في الحرب العالمية الأولى أثرها على صياغة أفكاره الفلسفية والنفسية، فكان شديد التشاؤم، لا منتمياً، ويشعر باغتراب عميق تجاه المفاهيم والقيم السائدة في مجتمعه وعصره [2]، وكان يؤمن بالتركيب الطبقي للعصور الوسطى، وهي طبقة المجتمع الإقطاعي (النبلاء) وطبقة الكهنوت (رجال الدين) وطبقة الفلاحين والعمال، وهذه الطبقة جردها من أي دور مهم في قيادة المجتمع أو صنع الحضارة[3].

وتكشف فلسفته عن نزعة وجودية (جماعية) تستند إلى الإحساس الفطري والشعري في فهم أحداث التاريخ، ومن ثم رفض المنطق والنظر المجرد في فهم الاحداث[4] . ولم يقتصر توظيف شبنجلر نزعته الوجودية لدراسة الأفراد فحسب وإنما لدراسة الحضارات باعتبارها

---

[1]- الخضير، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص173؛ الشفقي ، مع أرنولد توينبي ، ص 32 .
[2]- ولسن، سقوط الحضارة ، ،ص١٤١؛ هيرمان،فكرة الاضمحلال ،ص296.
[3]- الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٣٦١.
[4]- الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٣٦٢-363 ؛ولسن، سقوط الحضارة، ص١٣١.

كائنات عضوية حية، وأفرادها هم كالحجيرات في داخل جسم الإنسان[1]. ولا يخفى أن هذا التصور العضوي للحضارات يجرد الأفراد من دورهم الفاعل ويجعله هامشيا [2].

فإذن وجودية شبنجلر جماعية وهي على الضد من التصور الوجودي المعروف الذي يعد الوجود الحقيقي هو وجود الذات، ولكن على الرغم من ذلك فإنه استطاع أن يقدم للمذهب الوجودي- القائم على تعطيل دور العلم والعقل- ركائز علمانية عقلانية بعيد عن الصوفية والرمزية [3].

أما نشوء الحضارة برأي شبنجلر، فإنه يتضح من خلال تعريفة للحضارة فهي عنده **"عبارة عن روح زاخرة بالإمكانيات تأتي إلى الوجود في بيئة خارجية، بها الكثير من القوى في حالة فوضى، فتشرع في التأكيد على صورتها ضد هذا الخليط، ثم تفرض صورتها عليه، وهنا يصبح تاريخ حياة هذه الحضارة هو تاريخ هذا النضال بينها وبين تلك القوى، وفي أثناء ذلك النضال يتحقق العديد من الاوضاع "**[4].

أما المنهج الذي اعتمده شبنجلر في تقرير فلسفته في التاريخ فلم يكن على وفق قواعد منهجية واضحة، بل كان- كما يقول ولسن- "لا يبحث بالفعل، وإنما يقرر فقط، وهو لا يكترث أحياناً لإعطاء أي سبب للأشياء التي يقررها"[5].

ولكن يمكن أن يقال بأنه منهج شعري، وقد ذكر هو نفسه بأن يعتمد على إحساسه الفطري في فهم أحداث التاريخ، وقال أيضاً: "إن الطبيعة يجب أن تدرسها كعالم، والتاريخ كشاعر"[6].

---

[1]- شبنجلر،تدهور الحضارة الغربية،ص266..
[2]- الملاح، المفصل في دراسة للتاريخ ص 364.
[3]- بدوي ،شبنجلر،ص42؛الملاح، المفصل في دراسة للتاريخ ، ص٣٦٥.
[4]- بدوي، شبنجلر ، ص98 -99؛شبنجلر،تدهور الحضارة ،ص226.
[5]- ولسن، سقوط الحضارة ، ص١٣٥.
[6]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٣٦٥و٣٦٧.

والمتحصل أن منهج شبنجلر، هو الاكتفاء بالقراءة والتدوين بحسب رأيه الشخصي غير المدعم بالأدلة العقلية أو النقلية، من براهين فلسفية أو منطقية أو شواهد وأدلة واقعية متواترة أو بطريقة تحليلية أو استقرائية واضحة.

يرى شبنجلر أن الحضارات هي جوهر التاريخ، ولذلك عني بالكتابة عن الحضارات الكبرى، لكونها مناسبة للبحث وفهم التاريخ، فهو يراها "تراكيب عضوية، وأن التاريخ هو مجموع سيرتها "[1] ، وأنها " ذاتيات أولية وأصيلة، وأنها تنشأ من أعمق أغوار الروحانية وأسسها "[2].

ويرى أن لكل حضارة شخصية تميزها عن غيرها من حيث الأفكار والعواطف والانفعالات والارادة والشعور، ولها موتها الخاص بها، بل لكل حضارة عظمى لغة سرية لشعورها بالعالم لا يفهمها إلا من ينتمي لتلك الحضارة [3]. وهذا التصور يجعل من الحضارات ككيانات مسورة مؤصدة لذلك ذهب الى الاعتقاد بأن تاريخ الإنسانية يتألف من حضارات عدة مستقلة عن بعضها، وتختلف كل حضارة عن الأخرى سواء في الجوهر أو في الأسلوب[4]، ورفض الرأي القائل بأن تاريخ الإنسانية يمثل خطاً متصاعداً يبدأ بالتاريخ القديم، ومن بعده الوسيط، ثم الحديث[5].

كما رفض الفكرة السائدة في الغرب بأن أوربا مركز العالم وأن الحضارات الأخرى تدور في فلك الحضارة الأوربية وتابعة لها، ووصفها بالفكرة البطليموسية[6] التي ترى أن سائر الكواكب تدور حول الأرض، فهو يراها مساوية لغيرها من الحضارات[1].

---

[1]-شبنجلر، تدهور الحضارة ، ج ١، ص٢١٣.

[2]- شبنجلر، تدهور الحضارة، ج٢، ص٤٨٣؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٣٦٩-٣٧٠.

[3]- شبنجلر، تدهور الحضارة ، ج ١، ص ٦٨و٦٩.

[4]- بدوي، اشبنجلر ، ص١٢٦ ؛ شبنجلر، تدهور الحضارة، ج ١، ص 65.

[5]- شبنجلر، تدهور الحضارة، ج ١، ، ص٦٠- ٦٩.

[6]- نسبة إلى بطليموس القلوذي (100م- 180م) عالم فلكي وجغرافي ومنجم وشاعر إغريقي، وهو صاحب كتاب المجسطي، يقوم نظامه الفلكي على أساس أن الأرض ثابتة وأن الأفلاك تدور حولها، ولد وتوفي في الإسكندرية.ينظر: ابن صاعد ، طبقات الامم،ص29.

وخلص إلى أن الحضارات الكبرى ثمان هي: البابلية، والمصرية، والهندية، والصينية، والكلاسيكية (اليونانية- الرومانية) والعربية، والمكسيكية، والغربية، وتناول ست منها بالبحث والدراسة، وعني عناية خاصة بدراسة ثلاث منها هي: الكلاسيكية، والعربية، والغربية[2].

وقد تناول هذه الحضارات بالدراسة على أساس مقارن وعدها ككائنات عضوية كما يفعل علماء الأحياء عند دراسة الحيوانات، وأنها تخضع لقانون مصيري صارم بمقتضى دورة الحضارة الحيوية (ولادة، شباب، شيخوخة، فموت) أو(ربيع، صيف، خريف، شتاء) وأن مرحلة المدنية هي المرحلة الأخيرة من حياة الحضارة[3].

ووجد- بحسب رؤيته- بأن الحضارة العربية قد دخلت مرحلة المدنية في القرن العاشر الميلادي، وتحولت إلى مدنية فاقدة للروح والحيوية، وظهرت فيها مذاهب الشك والإلحاد، وأخذت عوامل التحلل والتفكك تنخر في بنيانها الداخلي حتى خمدت انفاسها ودخلت مرحلة الموت بعد الغزو المغولي لبغداد عام ١٢٥٨م ، أما الحضارة الغربية فوجد أنها قد دخلت مرحلة المدنية في القرن التاسع عشر وستواصل حياتها المتدهورة حتى تصل مرحلة الموت في حدود ٢٢٠٠ م[4].

إن الرابطة القوية التي جمعت بين توينبي مع المؤرخ والمفكر الألماني شبنجلر، هي رابطة نشأت من اهتمامهما المشترك بالحضارات وتتبع نشوئها وسقوطها، فقد عبر شبنجلر عن اهتمامه بعمله " اضمحلال الغرب " 1917، أما توينبي فقد ضمن اهتمامه بالحضارات

---

[1]- شبنجلر، تدهور الحضارة ، ج ١، ، ص٦٠-٦٣.

[2]- بريتون، جغرافية الحضارات، ص 23 الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٣٧٢-٣٧٣.

[3]- بدوي، اشبنجلر ، ص42؛توينبي،مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص 352؛صبحي ،في فلسفة التاريخ ،ص243؛ هيرمان ،فكرة الاضمحلال،ص290.

[4]- الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ ، ج١ ص٣٧٤-٣٧٥.

وتاريخها ومظاهر تطورها في عمله " دراسة للتاريخ" 1927 فالاهتمام كان مشتركاً، وشبنجلر سبق توينبي بقرابة عشر سنوات[1].

وقد سعى شبنجلر إلى تفسير مسار التاريخ تفسيراً بيولوجياً، اتسم بالكثير من التشاؤم، فوجهت إليه الانتقادات وإلى كل من يقول: إن الحضارة تولد وتنمو وتزدهر، ثم تضمحل[2].

أما توينبي فكانت نظرته إلى الدول القومية أدنى من أن ينظر اليها كحضارة، وكان يؤكد على ضرورة دمج المجتمعات التي لها نفس القيم، والعمل على اختزالها في وحدات شاملة، تعرف بالحضارات أو المجتمعات، وكانت البداية مع بلاده بريطانيا، فكانت الحضارة عنده مرادفة للمجتمع[3] ومن القضايا الأخرى المهمة التي قررها توينبي في كتابة "دراسة للتاريخ " أن معيار النمو ليس في النجاح العسكري أو السياسي أو العلمي، وإنما في القدرة على الاستجابة الملائمة لسلسلة من التحدي الأقل مادية ، ويرى توينبي أن خلاص المدنية الغربية لن يأتي إلا بمولد الروح المسيحية من جديد[4].

ولايخفى وضوح النظرة التشاؤمية في سيرورة أحداث التاريخ الحضاري، فهي تعبر عن رؤية جبرية خالصة مجردة عن أية فاعلية لدور الإرادة والاختيار، وهما مما جُبل الإنسان بهما والظاهر أن الواقع الاجتماعي المتردي الذي كان سائداً آنذاك، من سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية كان له أثراً بالغاً في حمل الفلاسفة ورجال الدين على رسم هذا الواقع بصورة جبرية؛ لتهوين ويلات الحروب والظلم والفقر على أفراد المجتمع.

ونحن لو تأملنا فيما قرره شبنجلر في فلسفته للتاريخ نجد فيها جوانب عدة لها تأثير- على وجه الإجمال ولاسيما في الاتجاه الوجودي- على فلسفة توينبي التاريخية، ومن ذلك أثر الحرب العالمية على بلورة رؤية شاملة عن الحضارات.

---

[1]- شلبي، نظرات في أرنولد توينبي، ص43 .

[2]- المطيعي، ارنولد توينبي، ص20 .

[3]-توينبي ،مختصر دراسة للتاريخ ،ج1،ص352؛وينظر:مسعد ، فلسفة الحضارة عند توينبي ، ص797 .

[4]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ،ج3، ص195؛ الشفقي ، مع ارنولد توينبي ، ص8؛ الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١٣.

ورؤية شبنجلر عن تاريخ العالم من حيث النشأة والتطور والاضمحلال والسقوط كان لها أثراً واضحاً على فلسفة توينبي في التاريخ، ولاسيما من جهة خوفهما على مصير الحضارة الغربية. فقد ذهب شبنجلر إلى أن الحضارة الغربية تمر بمرحلة التحلل؛ فإنها سلكت سبيل المدنية التي تعتمد على التكنلوجيا في كافة مناحي الحياة، وارتدت ثوب المادية وأهملت حاجات الناس الدينية والروحية، بل حملتهم على التخلي عنها بمقتضى سياساتها الاجتماعية والاقتصادية وغيرها مما تتطلبه المدنية الحديثة، وهذا ما يتفق فيه توينبي مع شبنجلر على وجه الإجمال ولكن على الرغم من ذلك يختلف توينبي مع شبنجلر من وجوه عدة:

منها: الاختلاف المنهجي في تقرير عموميات كل منهما، فيمكن عد منهج توينبي علمياً، بينما كان منهج شبنجلر شعرياً.

ومنها: أن الدور الأساسي لنشوء الحضارة ونموها عند توينبي يرجع الفضل فيه للأقلية المبدعة، بينما يجرد شبنجلر هذا الدور منهم ويجعله جماعياً.

ومنها: اختلاف توينبي مع رؤية شبنجلر في عد كل حضارة متميزة بنفسها من حيث الأفكار والانفعالات والإرادة، بل حتى موتها عن الحضارات الأخرى .

ومنها: اعتقاد شبنجلر بمبدأ الحتمية الذي يكشف عن جبرية خالصة، وهو بخلاف ما يراه توينبي من إمكانية انقاذ المدنية من السقوط بوساطة تحفيز التحدي وإثارة فاعليته على وجه الاستمرار، ومن ثم تحصل الاستجابة الناجحة.

المطلب الثالث :المعالم الرئيسة لفلسفة التاريخ عند توينبي

كان توينبي يرى أن التاريخ تجميع لتجارب الأمس للاستفادة منها اليوم، وبهذه الطريقة يستطيع الحاضر أن يستفيد من الماضي إذ قال بهذا الصدد: " إن العصر الوحيد الذي تضع فيه يديك على أناس أحياء هو عصرك أنت، عندما تكون حياً، فإذا استطعت أن تضع يدك عليهم وهم أحياء ودرستهم في هذه الحياة بشكل حسن، ربما استطعت إذن أن تحيى الذين

عاشوا عام 1000 أو 2000 قبل الميلاد، ولكنك إذا عجزت عن دراسة الأحياء ودراسة طبيعتهم، عجزت من ثم عن دراسة الجنس البشري في أي عصر كان "[1].

وقد بنى توينبي فلسفته في تفسير التاريخ على جملة من الأسس المتميزة التي تكشف بوجه ما عن سعة اطلاعه على حركة التاريخ الحضاري، وفي ما يأتي مجمل لأهم هذه الأسس:

أولاً: المجتمعات البدائية والحضارية:

يرى توينبي أن المجتمع هو موضوع الدراسة التاريخية القابلة للفهم، والمجتمعات منها ما هو بدائي ومنها ما هو متحضر ، وعلى الرغم من كثرة المجتمعات البدائية إلا أنها غير مؤهلة للدراسة لاندثار معظم أثارها، وشحة المعلومات المتعلقة بها التي تساعد على دراستها، ناهيك عن كثرتها وصغرها ، ومن ثم أصبح تكوين رؤية مناسبة عنها أمر في غاية الصعوبة، ولاسيما أن تاريخ بعضها يرجع إلى ثلاثمئة ألف سنة[2].

لذلك كان تركيزه منصباً على دراسة المجتمعات المتحضرة الكبيرة لقابليتها للدراسة، وذلك لتوافر المعلومات المتعلقة بها نسبياً، وقد حدد توينبي هذه الحضارات بإحدى وعشرين حضارة تصلح للدراسة، ست منها أصلية تطورت عن المجتمعات البدائية وهي (المصرية، والسومرية، والمنيوية[3]، والصينية، والمايانية، والإندیانية[4]) وأرجع تاريخها إلى ستة آلاف سنة، أما الخمس عشرة الأخرى فترجع في انتسابها إلى الستة الكبرى[5].

لكنه في الوقت نفسة يؤكد على أن الطبيعة البدائية وإن بدت خامدة مكبوتة، إلا أنها تبقى في أعماق الشعور، وتظل تنبض بالحياة في أرقى المجتمعات حضارة، فعلى الرغم من اختلاف

---

[1]- الشفقي ، مع ارنولد توينبي ، ص11 .

[2]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١،ص٥٨-60.

[3]- المينوية: حضارة قديمة نشأت في كريت.انتشرت خلال القرن السابع عشر ق.م عبر بحر ايجه الى اليونان ومنها انتشرت خلال القرنين التاليين .ينظر توينبي،دراسة للتاريخ،ج1،ص46؛النشار ، فلسفة التاريخ نشأتها ،ص246.

[4]- المايانية والاندیانية –نسبة الى نهر الانديز-نشأتا بأمريكا الجنوبية. ينظر : فيفر، الارض والتطور البشري،ص33.

[5]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١،ص٥٨-٥٩.

نوع المجتمع من حيث الزمان والمكان، إلا أنه يوجد بينهما تشابهه جوهري، وهو حالة الانغلاق التي يعيشها كل منهما، ورغم ما يبدو من اتساع الحضارات إن قورنت بالجماعات الضئيلة التي هيأنا لها بالغريزة، فإن لها مع ذلك نفس الخاصية، وهي أنها تقبل بين ظهرانها أقواما وتقصي آخرين. فبين الأمة- مهما كانت ضخامتها- وبين البشرية من البعد كما بين المتناهي واللامتناهي، والمغلق والمفتوح[1].

وعندما يتناول توينبي عدد الحضارات أو المجتمعات البدائية والمجتمعات المعروفة، كما وصفها، فإنه يرى أن عدد المجتمعات البدائية قرابة 650 مجتمعاً معظمها لا يزال حياً، وهي بذلك تفوق عدد الحضارات المعروفة التي لا يتجاوز عددها الواحد والعشرين، لكن بالمقابل تتفوق الحضارات على المجتمعات البدائية في اتساعها الفردي، والمجتمعات البدائية بجمعها الغفير، فحياتها قصيرة الأمد نسبياً، وهي محصورة في رقع جغرافية محدودة المساحة نسبياً كذلك[2].

ثانيا: فكرة البنوة والأبوة للحضارات:

يرى توينبي أن بعض الحضارات هي وليدة حضارات أخرى سابقة عليها زمانياً ومترتبة عليها، كالحضارة الغربية الحديثة المتولدة من الحضارة الهيلينية (اليونانية والرومانية) [3].

وكذلك الحضارة الإسلامية المتولدة من الحضارتين العربية والإيرانية، وهما بدورهما تولدا من الحضارة السورية[4]. وسيأتي الكلام على مدى تمامية ذلك عند الكلام على الجوانب السلبية في تفسير توينبي للتاريخ في المبحث الثالث.

ويبدو أنه لم يفسر التأثير الحضاري الطبيعي والجيد في انتقال الثقافات وتلاقحها نتيجة الاندماج الحضاري والتطور الثقافي والحرية الدينية والانفتاح السياسي، فإن ما أخذته

---

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج3، ص192 .
[2]- توينبي بحث في التاريخ ، ج1 ، ص89-90 .
[3]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص21-26 .
[4]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ،ج1 ،ص27-34 .

الحضارة الاسلامية كانت نتيجة لطبيعتها الأيدلوجية الإسلامية، في تقبل الحضارات وأخذ الصحيح منها وتنقيح وتعديل بعضها الآخر، وإضافة كل ما هو جديد، فالحضارة الإسلامية حضارة منفتحة وغير مغلقة وهي قائمة على التحاور والمناقشة والنتيجة القائمة على الأدلة البرهانية الواضحة.

وعلى الرغم من صياغة الفكرة بهذا الوجه إلا أن توينبي لا يراها قاعدة كلية يمكن تطبيقها على كافة الحضارات لعدم صلوح بعض الحضارات لإمكانية تطبيقها عليها كالحضارة المصرية التي يراها لا تنتمي إلى أية حضارة أخرى، لا من جهة الأبوة ولا البنوة[1]. ولا يخفى أن عدم صلاحية هذه الرؤية للانطباق بوجه كلي فيه كشف عن عدم دقتها وتخلفها عن الصحة، ولاسيما انتقاضها من جهة رؤيته بعدم إمكانية النقل والاقتباس بين الحضارات لان ذلك مضر ويؤدي إلى تسمم الحضارة المقتبسة فعدم إمكانية النقل والاقتباس لا يولد حضارة من أخرى[2].

فيبدو أنه لم يفسر التأثير الحضاري الطبيعي الجيد في انتقال الثقافات وتلاقحها نتيجة للاندماج الحضاري والتطور الثقافي والحرية الدينية والانفتاح السياسي، فإن ما أخذته الحضارة الإسلامية كانت نتيجة لطبيعتها الأيدلوجية في تقبل ما عند الحضارات وأخذ الصحيح منها وتنقيح بعضها الآخر وتعديله، وإضافة كل ما هو جديد، فالحضارة الإسلامية حضارة منفتحة وغير مغلقة وهي قائمة على التحاور والمناقشة والنتيجة القائمة على الأدلة البرهانية الواضحة.

ثالثا: نظرية التحدي والاستجابة:

إن هذه النظرية ليست من ابتداعات توينبي وانما " سبقه إليها (وند وودريد) في كتابه (استشهاد الإنسان) الذي طبع لأول مرة في سنة ١٨٧٢ وأعيد طبعه مرات عدة. وكذلك

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج1 ،ص147.

[2]- الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص410.

العالم الاجتماعي الأمريكي توماس في مفهومه عن الأزمة "[1]. كما تحدث عنها جوته في كتابه (فاوست) [2]. إلا أن توينبي استطاع أن يستثمر هذه الفكرة ويوظفها بنطاق واسع في دراسة نشأة الحضارات وتحللها[3].

ومفاد هذه النظرية أن نشوء الحضارات يحصل نتيجة لتلبس أقلية مبدعة من أفراد المجتمع بحالة من التحدي في وجه الصعوبات والظروف القاسية التي تواجه المجتمع، فتحقق الاستجابة الناجحة لتجاوز هذه الصعوبات، ومن ثم تنشأ الحضارة وتنمو. وحتى تتجاوز الحضارة مرحلة التحلل وتبقى مزدهرة ينبغي ديمومة فاعلية حالة التحدي عند الأقلية المبدعة، وينبغي أن لا يكون هذا التحدي مفرطاً في صعوبته بحيث يولد اليأس والإحباط، ولا سهلا جداً حتى لا تحصل حالة من التهاون والتفريط . فالتحدي المثالي ينبغي أن يكون متوسطاً بين الإفراط والتفريط، واصطلح عليه توينبي بـ (الوسط الذهبي) [4].

وميّز توينبي نوعين من هذه التحديات، كل نوع منها يتأتّى من أكثر من حافز كما سيأتي بيانه.

- النوع الاول: تحديات البيئة الطبيعية:

إن البيئة الجغرافية القاسية والظروف الصعبة التي تفرضها البيئة الطبيعية تدفع الإنسان إما إلى الهجرة عن موطنه واتخاذ موطناً آخر بديلا عنه يكون أكثر ملائمة، وإما أن يتحدى هذه الظروف ويعمل على تجاوزها من طريق تعديل بيئته وتذليل صعوباتها لتكون مناسبة للعيش ويحافظ على وجوده، ومن ثم يشرع في بناء حضارته. فإذن دوافع بناء حضارة في مثل هذا النوع من الطبيعة وتحدياتها على قسمين:

١- تحدي الأرض الجديدة:

[1]- الطاهر ، مسيرة المجتمع ، ص ٢٤٦.
[2]-جمعه،فلسفة التاريخ ،ص113؛ ولسن،سقوط الحضارة،ص148.
[3]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ، ٣٨٩.

[4]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص٤٧٠-٤٧١؛علم الدين، فلسفة التاريخ،ص174؛المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي،ص202؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص٣٨٩-٣٩٠؛النشار،فلسفة التاريخ نشأتها،ص255.

يرى توينبي أنه من خلال استقراء تاريخ الحضارات نجد أنها بلغت قمة ازدهارها في المناطق الجديدة (الأرض البكر) ولاسيما إن لم يكن أحد استوطنها من قبل؛ لأن حالة التحدي التي يفرضها الواقع الجديد تكون ضرورية وفاعلة، فتوجب استجابة حيوية ناجحة، ويضرب لنا مثلا على ذلك الحضارة الهندية، حيث اتخذ المجتمع الهندي- آنذاك- من جنوب الهند كأرض جديدة لهم، وشرعوا بالأخذ بأسباب التحضر، ولاسيما من الجنبة الدينية (الهندوسية) فكانت الاستجابة ناجحة [1].

٢- تحدي البلاد الشاقة:

وهي البلاد التي تتميز بقساوة مناخها ووعورة أرضها وحزونتها، فإذا تلبس مجتمعها بحالة من التحدي لتذليل مثل هذه الصعوبات وعمل على تعديلها وجعلها أكثر ملائمة، فإنه لا بد من حصول استجابة ناجحة، ويمثل توينبي لذلك بـ (دلتا النيل) فقد كانت مغطاة بالمستنقعات والأدغال، فاستطاع الإنسان المصري القديم أن يعدلها ويستصلحها، لينشئ عليها حضارته، ولذلك يرى توينبي أن الحضارة المصرية هي هبة المصريين لا هبة النيل، كما يقول هيرودوت[2]. وكذا الحال بالنسبة لدلتا نهري دجلة والفرات[3].

إلا أن هذا الحافز لا يمكن عدّه كحالة مطردة؛ لتخلفه في حالات عدّة، كعدم مبادرة الأسكيمو لتعديل بيئتهم الطبيعية وعدم هجرتهم منها، وكذلك بالنسبة لسكان البوادي، بل تكيفوا مع ظروفها، ومن ثم لم يكونوا أصحاب حضارة.

النوع الثاني : تحديات البيئة البشرية:

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص11؛وينظر:علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ١١٩-١٢٠.

[2]- هيرودوت : او هيرودوتس(484-425ق.م) مؤرخ اغريقي يوناني وثق الحروب بين الفرس واليونان في القرن الخامس ق.م ، ووصف عدة اماكن زارها حول العالم . ينظر:هيرودوت ،تاريخ هيرودوت،ص5؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٣٩٠.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص98؛ صبحي،في فلسفة التاريخ،ص269؛ علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١١٧-١١٩؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٣٩٠-٣٩١؛ النجم،توينبي ونظرية التحدي،ص80.

يرى توينبي أن هناك ثلاثة دوافع تحفز المجتمعات البشرية على قبول التحدي لخلق استجابة ناجحة من هذا الوجه وهي :

١- دافع الضربات :يتولد هذا الدافع عقب ما تخلفه الغزوات والاعتداءات الحربية والهزائم العسكرية من آثار سيئة على المجتمع، ولاسيما من الناحية النفسية والاقتصادية والاجتماعية، فيكون قبول حالة التحدي لتجاوز هذه الآثار أمر ضروري، فينتج عقبها استجابة ناجحة. ومن ذلك ما ترتب على الوقائع الكثيرة التي حدثت بين الفرس واليونانيين[1].

٢- دافع الضغوط: يريد توينبي بالضغوط هنا، الضغط الخارجي أو التحديات التي تأتي من الخارج كالشعوب التي تتعرض لعدوان مستمر من خارج حدودها، كالضغط الذي تعرضت لها الحضارة المصرية، إذ كان الجزء الجنوبي منها معرضاً لضغط واعتداءات من قبائل النوبة باستمرار، وكذا الحال بالنسبة للدولة العثمانية عند حدودها مع الغرب[2].

٣- دافع العقوبات: ويراد به التحدي الداخلي الذي يحصل من قبل جزء فقط من المركّب الاجتماعي الذي يفقد قدرته على مواجهة التحدي لما يتعرض له من ظروف اجتماعية قاسية كالاضطهاد والسخرة والاستعباد، فتبعث عند هذه الفئة تحدّ استثنائي يؤدي الى استجابة استثنائية ، أي ان هذا الجزء من المركب الاجتماعي - مجموعة بشرية- توجه قدراتها الى مجال اخر فتبدع فيه ، ويضرب لذلك مثلا بإيمان الزنوج الارقاء بالمسيحية التي تحمل معاني القيم كإستجابة على التحديات الغربية[3].

رابعا: ارتقاء الحضارات عند توينبي :

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص147-165؛وينظرعلم الدين، فلسفة التاريخ، ص 121

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص181؛وينظرعلم الدين، فلسفة التاريخ، ص 121؛النشار،فلسفة التاريخ نشأتها،ص253.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص233؛علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١٢١.

ذهب توينبي أن نشوء الحضارات وأخذها بأسباب النمو والارتقاء إنما يتحقق بعد نجاح الأقلية المبدعة من أفرادها في تقديم استجابة ناجحة عقب حالة التحدي الفاعلة التي تجاوزوا بها ما واجهوه من صعوبات وظروف قاهرة[1].

وهنا ينبغي التساؤل عن كيفية تمكّن هذه الأقلية من إخراج حالة التحدي من القوة- أي القابلية والاستعداد- إلى الفعل. ومن ثم تقديم استجابة ناجحة .

يرى توينبي- إجابة على هذا التساؤل- بأن حركة الفرد المبدع عبارة عن حركة مزدوجة قائمة على الاعتزال والعودة، فإن انقطاع الفرد المبدع بالقوة- الاستعداد- عن محيطه الاجتماعي وابتعاده عن الناس في مكان منعزل يتيح له فرصة تفعيل طاقاته الكامنة في داخله، سواء كان هذا الانعزال اختيارياً أو يأتي من طريق قوة دافعة تضطره إلى ذلك، وكيفما كان فإنه- بحسب رؤية توينبي- يتلبس بحالة من الاستنارة الداخلية والتجليات النسكية[2]، وإذا لم يخرج صاحب هذه الحالة الدفقية (الناسك) بما يترتب عليها ويعود للناس لإثارة هممهم بالإقبال عليه والقبول بما يفيدهم وبقي في عزلته وانقطاعه تصبح عديمة الجدوى؛ لعدم الانتفاع بها[3]، ويمثل توينبي لحالة الاعتزال والعودة بعدد من تجارب الأنبياء للاستدلال على هذه الظاهرة الطبيعية[4]، ويستشهد بما ذكره ابن خلدون في بيان معنى النبوة- على وفق التفسير الفلسفي الإسلامي- "أن للنفس استعداداً للانسلاخ من البشرية إلى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات في لمحة من اللمحات، وذلك بعد

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص470-472.

[2]- ربما كان توينبي متأثرا بكتاب الأبطال وعبادة البطولة للمؤرخ الاسكتلندي توماس كارليل (1795-1881) مع انه لايقر بذلك لكنه يقر بأثرالفيلسوف الفرنسي برجسون(1859-1941) الذي كان له فضل التوحيد بين الصوفي والعبقري فقد رأى برجسون "أن ذوي النزعات الصوفية هم بأصلهم العبقريات المبدعة، كما ان فعل الابداع يتجلى في اللحظة القدسية التي تتم خلالها التجربة الصوفية". ينظر:توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص355؛المحبشي ،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي ،ص105.

[3]- توينبي، مختصر دراسة لتاريخ ، ج١، ص٣٦٣.

[4]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص٣٦٥.

أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل ... ثم تعود النفس إلى البشرية بعدما تستقبل عن طريق الملائكة الرسالة التي يوكل إليها إبلاغها إلى البشر"[1].

وبعد عودة هؤلاء من الاعتزال وإقبالهم على المجتمع يعملون على حث الناس على قبول دعوتهم والأخذ بآرائهم وتحفيز نشاطهم على الإبداع من طريق الاستثارة من نفس إلى نفس أو من طريق المحاكاة على الرغم من صعوبة المهمة[2].

وبمقتضى ذلك يتحقق التقدم والارتقاء مع النجاح في تحقق النمو والارتقاء الحضاري، إلا أنه غير كافٍ لدوام النجاح في الاستجابة، فحتى تكون الاستجابة ناجحة (بالفعل) لا بد من ديمومة هذا التحدي باستمرار وعلى المدى البعيد؛ فإن قوام التقدم الحضاري هو وجود حركة متكررة في الوقت نفسه، كحركة العجلة المتأتية من حركة دواليبها[3].

خامسا: انهيار الحضارات وتحللها:

بعد ان قرر توينبي أن سبب قيام الحضارات هو تمكن الأقلية المبدعة من تحدي الصعوبات ونجاحها في تحقيق استجابة ناجحة متواصلة، إلا أن هذه الأقلية إذا تلبست بحالة من الارتخاء والدعة وتوقفت عن تقديم استجابات ناجحة متواصلة، فإنها ستكون سبباً في انهيار الحضارات لتحولها إلى أقلية (مغرورة متكبرة مسيطرة) تريد أن تحافظ على مكتسباتها ولو باستخدام القوة والعنف لفقدان تأييد أغلبية أفراد المجتمع لهم فيفقد المجتمع وحدته لظهور أغلبية معارضة للأقلية، ويسميها توينبي (البروليتاريا) [4]وهي على قسمين (

---

[1]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص84؛توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص٣٦٤؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ، ص٣٩٤-٣٩٥.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ح١، ص٣٦٣؛وينظرعلم الدين ،فلسفة التاريخ ،ص129.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص425؛وينظر الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص٣٩١-٣٩٢.

[4]-يستخدم توينبي لفظ البروليتاريا للدلالة على الطبقة الدنيا من المجتمع التي تقوم باعمال تتطلب جهدا ومعاناة مع قلة الاجر،وتشمل سكان الارياف والمدن المعدمين والمهاجرين الاجانب ، وهذه فئة حاقدة على المجتمع الذي تعيش فيه وتتحين الفرص للوثوب عليه ،اما ماركس فيوسع نطاقها لتشمل عمال المناجم وكل من يبيع عمله رخيصا في سوق العمل ، والفارق الجوهري بين المفهومين ان مفهوم البرو ليتاريا لدى توينبي يعني عامة الشعب في مقابل الاقلية الحاكمه سواء كانت مبدعة ام مسيطرة، في حين ان البروليتاريا

داخليـة) مضـطهدة ومـقهورة و(خارجية) تأتي من وراء الحدود وترفض الاندماج[1] ، فتلجأ إلى استخدام القوة والعنف حيث يرى ان كل حضارة منتصرة يمتد أثرها الى آماد بعيدة وتجرف في طريقها شعوبا وجماعات مجاورة لها لكنها ترفض الاندماج وتتحين الفرصة للغزو ،وهذه الشعوب تقع خارج النطاق الجغرافي السياسي للحضارة المنتصرة سرعان ماتتوحد فيما بينها وتنشق عن الحضارة المنهارة وتبدأ بشن الغارات الحربية عليها ، ويضرب لذلك مثلا عندما هاجم الاشوريون بابل والبرابرة روما وهاجم المغول الحضارة العربية الاسلامية[2].

وهنا تتبع الدول سياسة " الوفاق الاجتماعي " بغية القضاء على الانقسام في المجتمع المتحلل فتعمد إلى جانب محاولتها أيضا إقامة علاقات مع الحضارات الأخرى .

وتظهر هذه الفكرة كما يعتقد توينبي " في مفهوم المؤسسات التي تضم في جنباتها كل مناحي الحياة السياسية والدينية للمجتمع الذي تقوم فيه هذه المؤسسات " [3].

وإجمالا أن مصير الحضارات تقرره في النهاية الحالة الأخلاقية للأقلية المبدعة[4]. ويرى توينبي أن دخول الحضارة في مرحلة الانهيار الحضاري لا يعني تحللها وموتها في القريب العاجل، فقد تستغرق قروناً حتى تصل إلى مرحلة التحلل إذ تمر هذه المرحلة بعصور ثلاثة :

في مواجهة الرأسماليين عند ماركس قائمة على اساس الفارق في الملكية. ينظر:توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص٤١٢-٤١٣ ؛مؤنس ، الحضارة،ص219؛النجم،توينبي ونظرية التحدي ،ص90..

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص342وص٤١٢ ؛ توينبي ، تاريخ البشرية ،ج1،ص136؛خوري ، التاريخ الحضاري عند توينبي ،ص45؛ المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكرالغربي ،ص207؛النجم ،توينبي ونظريته،ص91.

[2]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص٤١٢-٤١٣ ؛ ولسن ، سقوط الحضارة، ص ١٥١-١٥٢ ؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٣٩٧-٣٩٨.

[3]- غنيمي، فلسفة التاريخ، ص188.

[4]- ولسن ، سقوط الحضارة ، ص١٥٢ ؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٣٩٨.

1-عصر الاضطرابات: وهو الدور الذي تتوقف فيه الأقلية عن الإبداع، ومن ثم تحاول أن تفرض سيطرتها بالقوة حفاظاً على مركزها، فتنشأ الفتن والحروب الداخلية والخارجية، وقد تستغرق هذه الاضطرابات قروناً عدة[1].

٢- عصر الدولة الجامعة: وتحاول فيه الأقلية احتواء هذه الاضطرابات وإعادة ما فقدته من هيبة وسلطان بالسعي لنشر ديانة عالمية في الوسط الذي تنتمي إليه الأغلبية المقهورة؛ لأنه أكثر ملائمة من غيره. ويرى توينبي أن الدول الجامعة لا تعدو كونها استجابات "مستبدة عاجزة لا تلبث مهما طال عليها الأمد أن تنهار أمام دفعة الحياة في الديانة الجامعة التي تنبعث من موكب الأكثرية المقهورة"[2].

٣- عصر الفراغ : وهو الدور الأخير الذي ينتهي بموت الحضارة او تحجرها؛ لأن الوسط المقهور الذي بعثت فيه الديانة الجامعة يحاول توظيفها لتقويض " أركان الإمبراطورية الفاسدة وما ساد فيها من عبادة باطلة للمعايير النسبية، وتقديس مهدور للصنميات الفانية في شتى مرافق الحياة الفكرية والاجتماعية، ثم تهب الحياة بعد ذلك للحضارة الطالعة "[3].

سادسا: البقاء للحضارة الغربية المسيحية وحدها:

أشرنا في ما تقدم بأن توينبي حدد الحضارات الصالحة للدراسة بإحدى وعشرين حضارة وأن معظمها تحجر ومات .

ويرى توينبي أن الحضارات الباقية إلى الآن هي سبع. وقد دخلت ست منها مرحلة الانحلال بعد أن توقفت عن النمو من الداخل، ومن ثم ضعفها في تقديم استجابات ناجحة، وأخذ أبناؤها يدورون في فلك الحضارة الغربية وهي (الأرثوذكسية البيزنطية، والأرثوذكسية الروسية، والاسلامية، والهندو كية، والصينية، والكورية اليابانية).

---

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ،ج1، ص ٤٠ وص411.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1،ص40؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٣٩٩.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص ٤٠-٤١؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٣٩٩.

أما الحضارة السابعة، فهي الحضارة الغربية القائمة في وقتنا هذا في أوربا الغربية والكومنولث البريطاني، والولايات المتحدة، وأمريكا اللاتينية، فيراها توينبي لا تزال حية- وإن دخلت مرحلة الشدائد- ولكن ما زال بينهم وبين مرحلة الانحلال التي دخلت فيها بقية الحضارات قرون عدة، ومن الضروري أن تنتبه لنفسها وتحاول تجنب المصير الذي وصلت إليه الحضارات الأخرى[1].

إذن الحضارة الغربية تمر بشدائد؛ لأنه يراها حضارة علمانية تعيش على بقايا مختلفة من المبادئ المسيحية المشوهة. ولم يستطع توينبي إخفاء عواطفه الحارة تجاه حضارته، وخوفه على مصيرها على الرغم من إيمانه بإمكانية خلودها لذلك فهو يرى أنه أمامها أحد الاحتمالين الآتيين:

أولهما: فشل الغرب في توحيد العالم تحت رايته، ومن ثم سينتفض أبناء الحضارات الأخرى ولا سيما المسلمون ضد أسيادهم الغربيين، غير أن توينبي يستبعد حصول هذا الاحتمال لأن الأسلحة الحديثة تؤدي إلى دمار شامل للعالم في حال استخدامها، فضلاً عن عجز التقليد بين المسلمين عن مقارعة الغرب.

والآخر: تفعيل دور الدين في توحيد أبناء الحضارات ومن ثم قيادة زمامها، ولكن كيف **؟!**

يرى توينبي إمكانية تحقق ذلك ببعث ديانة رباعية جديدة، تأخذ من الهندوكية والبوذية نبالة الروح المسالمة، ومن الإسلام روح الأخوة الانسانية، ومن المسيحية مثلها العليا[2].

لكن الحرب العالمية الاولى، أصابت توينبي بخيبة أمل كبيرة، وانحدار لمعنوياته، وخلفت لدية شعوراً بأن الحضارة الغربية قد فقدت حيويتها ودخلت في مراحل الانهيار والتفكك، وأنها على وشك الفناء[3].

---

[1]- توينبي، بحث في التاريخ، ص ٣٥٦-٣٥٨ ؛ خوري ، التاريخ الحضاري، ص51 ؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص408-410.

[2]- توينبي ، بحث في التاريخ ،ص35؛ الملاح ؛ المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٤٠٨-٤٠٩.

[3]- شلبي ، نظرات في ارنولد توينبي ، ص39 .

هذا مجمل لفلسفة توينبي في التاريخ، وهناك بعض الموارد أشرنا إليها استطراداً سنتناولها في المبحثين التاليين، عند الكلام على إيجابيات فلسفته وسلبياتها، ولا سيما رأيه عن الحضارة العربية والإسلامية .

المبحث الثانـي

السمات الايجابية في فلسفة توينبي التاريخية

المبحث الثاني

السمات الإيجابية في فلسفة توينبي التاريخية

تتميز متبنيات توينبي في فلسفة التاريخ- في ضوء تقريراته- بجملة من السمات الإيجابية، وإن عكّر صفو إطلاقاتها جملة من القيود- رغم وجود بعض الاستثناءات والتي تعد غير يسيرة- إلا أنه نقض كثيراً من النظريات والآراء القائمة غير المقررة على أسس علمية، وكان مصيباً في كثير من نقوضاته.

ويمكن أن نجمل أهم آرائه الإيجابية المقررة على وفق ما يأتي:

أولا: الرفض الظاهري لنظرية تفوق الجنس أو العرق:

تقوم هذه النظرية العنصرية على أساس تميز الجنس الأبيض عموماً والأشقر خصوصا المعروف بالإنسان النوردي، أو الوحش الأشقر كما يصطلح عليه «نيتشه» (1844-1900م) الفيلسوف الألماني المعروف بدعوى أنه أقدر من غيره من الأجناس الأخرى على التصور الضروري والنظري، والتفكير السليم، والأخذ بأسباب المعرفة؛ لتفعيل ملكة الخلق والإبداع ومن ثم قدرته على التقدم الحضاري والروحي. و الوجه في كل هذا التميز يؤول إلى تأثير العامل الوراثي فإن موجبات الإبداع والتفوق انتقلت من السلف إلى الخلف؛ بمقتضى المورثات الجينية التي تميز هذا الجنس عن غيره من الأجناس والأعراق الأخرى[1].

إلا أن توينبي رفض- ظاهراً- هذه النظرية، وذكر بأن المفاهيم التي ترتكز عليها تفتقر إلى الموضوعية وإلى الأبعاد العلمية.

واستعان توينبي- في معرض رده على أصحاب هذه النظرية- بنتائج الدراسات التي تناولت أصول السلالات البشرية لنقض دعوى التفوق العرقي، إذ توصل أصحاب هذه الدراسات

[1]- النجم ،توينبي ونظرية التحدي والاستجابة ،ص78؛النشار،فلسفة التاريخ نشأتها،ص247.

إلى أن الإنسان الأبيض ينقسم بحسب صفاته البدنية إلى أجناس ثلاثة، خصّوا كل جنس منها بإسم متميز عن غيره[1]. وهي كما يأتي:

أ – الجنس الالبي[2]: وقد أسهم هذا الجنس بسبع حضارات أو تسع وهي : السومرية، والحيثية، والهيلينية، والغربية، والمسيحية الأرثوذكسية الأصلية، والفرع الروسي منها، والإيرانية. فهذه سبع ، وأضاف بعضهم المصرية، والمينوية . فتكون تسع.

ب – الجنس النوردي[3] : وقد أسهم هذا الجنس ببناء حضارات خمس هي: الهندية، والهيلينية، والغربية، والمسيحية الأرثوذكسية الروسية، وربما الحيثية.

ج – جنس البحر الأبيض المتوسط ، وقد أسهم هذا الجنس في بناء حضارات عشر هي : المصرية، المينوية، والسورية، والغربية، والهيلينية، والمسيحية الأرثوذكسية الاصلية، والإيرانية، والعربية، والبابلية، والسومرية.

ونحن لو نظرنا في عناوين هذه الأجناس وتأملنا في آثارها لوجدنا أن بعضها قد تشترك مع غيرها من الأجناس الأخرى في بناء أكثر من حضارة منفردة بعينها، بينما نجد إسهامات بعضها كانت أقل مشاركة من غيرها في البناء الحضاري ومن بينها الجنس النوردي (الوحش الاشقر).

ولا يخفى أن ما خلص إليه أصحاب هذه الدراسات يكشف عن عدم تمامية مفاد نظرية تفوق الجنس الأبيض، ولا سيما الوحش الاشقر- كما يسميه نيتشه- لوجوه ثلاثة:

أولها: قلة مساهمة الجنس النوردي في المشاركة الواسعة في البناء الحضاري قياساً بغيره من الأجناس.

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص19.

[2]- أصل النسبة لجبال الألب الواقعة في شمال إيطاليا، وهي نسبة اعتبارية ولا علاقة لتكون هذا العنصر بمرتفعات الألب، وإنما المراد به العنصر المنتشر حولها وفي وسط أوربا وشرقها وفي جزء من بلدان الشرق الأوسط مثل سوريا ولبنان . ينظر توينبي،دراسة للتاريخ،ج1،ص89؛علم الدين ،فلسفة التاريخ،ص114.

[3]- النوردي او الوحش الاشقرويراد به شعوب شمال غرب أوربا عموماً، والشعوب الاسكندنافية خصوصاً، وأصل النسبة مأخوذة من النرويج.ينظر توينبي،دراسة للتاريخ،ج1،ص86-89.

والثاني: سعة مشاركة الجنس الألبي، وجنس البحر المتوسط في بناء حضارات عدة مقارنةً بالجنس الأشقر.

والثالث: مساهمة الجنس (الأسمر، والأصفر، والأحمر) في البناء الحضاري ، فقد أسهم الجنس الأسمر- الشعوب الرافيدية- في الهند، والملاويين في أندونيسيا في حضارتين هما الهندية، والهندوكية.

وأما الجنس الأصفر، فقد أسهم في حضارات ثلاث في شرق آسيا هي: الحضارة الصينية، وحضارتي الشرق الاقصى: الحضارة الأصلية في الصين وما تفرع منها في اليابان وكوريا.

بينما قام الجنس الأحمر وحده ببناء حضارات أربع في الأمريكيتين وهي: حضارات الأزتك، والإنكا، والمايا، والحضارة المكسيكية[1].

بينما جرّد أصحاب هذه الدراسات العنصر الأسود من المساهمة الفعلية الإيجابية في أي حضارة [2].

وبذلك نخلص إلى أنه ليس ثَمّ تبرير لأصحاب هذه النظرية التي تفيد بأن جنس معين كان السبب في الانتقال من البدائية إلى الحضارة، أو أخذ بأسباب الانتقال الحركي من حيثية الاستعداد إلى الفعلية في مكان محدد قبل ستة آلاف سنة[3].

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج1، ص 19 و 59.

[2]- يلاحظ على ما ذهب إليه أصحاب هذه الدراسات بخصوص تجريد العنصر الاسود عن المساهمة في البناء الحضاري، فإنه ليس برهانياً، إذ لم نجد عندهم ثَمّ حجة يُعتد بها تدعم هذه الرؤية، فعدم وجود أثر واضح على وجود مساهمة لهم في بناء حضارة لا يعني عدمه بالكلية، وليس ثَمّ ما يمنع من اشتراكهم ولو نسبياً في بناء الحضارات التي تنسب إلى الجنس الابيض، ولا سيما أن الظروف الصعبة التي تعرضوا لها من استعباد وسخرة واضطهاد تحول من نسبة أي إسهام إليهم . أما من أرجع سبب تخلفهم في هذا الشأن إلى قصورهم الذاتي والتكويني ذهنياً وفكرياً وإبداعياً، فإنه يكشف عن نظرة عنصرية يرجع سببها إلى القصور الذهني والفكري عند أصحابها، وتوينبي وقع بنفس الخطأ الذي انكره على دعاة العرقية عندما عد العنصر الاسود هو الوحيد الذي لم يسهم اسهاماً ايجابيا وفعليا في أي حضارة.ينظر:توينبي،مختصر دراسة للتاريخ ، ج1، ص92؛هيرمان،فكرة الاضمحلال،ص334.

[3]- النشار ، فلاسفة أيقضوا العالم ، ص 364

وهنا لابد لنا من طرح السؤال الآتي: هل تمسك توينبي- من الناحية الفعلية والمنهجية في تقريراته- بما خلص إليه في تخطئة أصحاب نظرية التفوق العرقي؟ هذا ما سنبينه في المبحث التالي الذي خصصناه للجانب النقدي لفلسفة التاريخ عند توينبي .

ثانياً: رفض نظرية وحدة الحضارة الانسانية:

ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أنه لا وجود إلا لحضارة واحدة، هي الحضارة الغربية، فهي وحدها مصدر الإشعاع الفكري والحضاري، وأن كل ما قدمته الأمم السالفة من نتاجات فكرية ومنجزات مادية تعد بمثابة روافد تصب في نهر الحضارة الغربية أو توابع لا تخرج عن دائرتها، وإلا فهي لا تعدو كونها آثاراً وبقايا أطلال طمرتها رمال الصحراء.

ويرى توينبي أن هذه النظرية هي إحدى نتاجات الفكر الغربي الذي يستكثر على المجتمعات غير الغربية قدرتها على الأخذ بأسباب التحضر، ومن ثم عدم قدرتها على العطاء الحضاري. وهي فكرة ليست بصحيحة، والسبب في رواجها يؤول إلى سيطرة الغرب سياسياً واقتصادياً على غيره من المجتمعات[1].

ويُرجع توينبي سبب بلورة هذه الفكرة ومن ثم التمسك بها إلى أوهام ثلاثة:

الأول: وهم حب الذات:

ذهب توينبي إلى أن هذا الوهم حالة طبيعية بنسبة ما، والأمر لا يقتصر على تلبس المجتمع الغربي لوحدهِ بهذا الوهم، فهؤلاء اليهود يرون أنهم الشعب المختار، بل الشعب المختار الأوحد من دون غيرهم ، واليونانيون يطلقون على غيرهم من الشعوب- ولاسيما العنصر الجرماني- لفظ البرابرة وغيرهم [2].

والثاني: وهم الشرق الراكد:

---

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ج1،ص59.

[2]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ،ج1 ،ص61؛ النشار ،فلسفة التاريخ نشأتها،ص244.

يرى توينبي أن هذا الوهم الشائع قائم على أسس واهية، والدراسات التي تناولت هذه المسألة ليست موضوعية، فالشرق الذي يعم المجتمعات المتواجدة فيما بين مصر والصين، كان متقدماً على الغرب في الأزمان السابقة، وهو الآن يتخلف عن الغرب بمراحل، فالغرب دائب في حركته والشرق متلبس بحالة من الركود[1].

ولا يخفى أن حالة الركود هذه ليست بلازمة، ويشهد لذلك حالة الازدهار الحضاري التي تعيشها بلدان الشرق الاقصى، بل فاقت الغرب في بعض الجوانب.

والثالث: وهم التقدم بوصفه حركة تلتزم خطاً مستقيماً:

يرى توينبي أن هذا الوهم ناشئ من سطحية التفكر في تقرير هذا النوع من الحركة، ومما قرره مؤرخو الغرب والمهتمون منهم بدراسة تاريخ الحضارة الإنسانية، إذ قسموا تاريخ العالم إلى ثلاثة أدوار أو أقسام (قديم، ووسيط، وحديث) بالاستناد إلى معطيات التاريخ الاوربي [2].

إلا أنه يرى عدم صحة هذا التقسيم، فهو عنده أشبه بالجغرافي الذي يقوم بتصنيف كتاب عن جغرافيا العالم، وإذا به يتحدث عن جغرافيا حوض البحر الأبيض المتوسط وأوربا فحسب من دون بقية بلدان العالم[3].

وفي ضوء هذا الرفض لنظرية وحدة الحضارة خلص توينبي من خلال دراسته للتاريخ إلى أن هناك واحداً وعشرين مجتمعاً استطاع تجاوز مرحلة المجتمع البدائي ونجح في بناء حضارة.

ووجد أن هذه المجتمعات الحضارية تتسم بسمات معينة، وتجمعها أطوار حضارية متشابهة تصلح للدراسة على وجه المقارنة بافتراض أنها حضارات متعاصرة من وجهة نظر فلسفية، ومتساوية من حيث القيمة على الرغم من صعوبة المهمة للتصدي لمثل هذه الدراسة؛ لأن

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص 62.
[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص 61؛ النجم ،توينبي ونظرية التحدي،ص78.
[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص 59-65؛ النشار ،فلسفة التاريخ نشأتها،ص243.

المعطيات التاريخية والمادة المتوافرة المتعلقة بها شحيحة، والتعامل معها من الصعوبة بمكان، بحيث لا تتيح تطبيق الأساليب العلمية المعتمدة، ومن ثم استخلاص القوانين وصياغتها على وجه كلي[1].

ولكن على الرغم من ذلك فقد تناول هذه الحضارات بالدراسة، نشأة، ونمواً، وسقوطاً، وانحلالاً، فضلاً عما يترتب على كل ذلك.

ثالثا : رفض نظرية البيئة الطبيعية:

ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن العامل الأساسي لقيام الحضارات هو عامل البيئة؛ فالبيئة السهلية الصالحة للزراعة التي تتوفر فيها المياه وتتميز بمناخ مناسب للاستزراع والاستقرار تعد السبب المباشر الذي يأخذ بيد الأمم نحو الاندفاع لبناء الحضارات وازدهارها، بينما تقف البيئة الصعبة عائقاً أمام نشوء أية حضارة ونموها.

إلا أن توينبي خطّأ اصحاب هذه النظرية فيما ذهبوا إليه، بعد قيامه ببحث استقرائي لمجموعة من الحضارات في بلدان مختلفة من العالم، وقام بمقارنتها من حيثية بيئاتها الطبيعية المتباينة، وخلص إلى أن البيئة السهلة ليست بشرط لازم لولادة حضارة ما ونشوئها وازدهارها، واستشهد بأمثلة عدة لتأكيد ما أفاده ومن ذلك، أنه لو عددنا نهر النيل سبباً مباشراً لنشوء الحضارة المصرية، وكذا بالنسبة لحضارة ما بين النهرين فإن عدم قيام حضارة في وادي الأردن على الرغم من وجود البيئة الطبيعية السهلة يدحض رؤية أصحاب هذه النظرية[2].

وأيضاً إذا كانت بيئة الأمازون ساعدت في نشوء الحضارة الأنديانية، فأنه لم تنشأ حضارة في حوض الكونغو على الرغم من تشابه الظروف المناخية والطبيعية[3].

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص69-71؛ خوري، التاريخ الحضاري، ص15؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص387-388.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص56؛ النجم ،توينبي ونظرية التحدي،ص85.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص58؛ جمعه،فلسفة التاريخ عند ارتولد توينبي،ص115.

وكذا الحال بالنسبة لعدم قيام حضارة في حوض الدانوب وقيامها في حوض النهر الأصفر في الصين على الرغم من التشابه بالمناخ والتربة بين الحوضين[1].

وذهب توينبي إلى أبعد من ذلك في الأخذ بمفاد نظريته، فعد أن البيئة الصعبة والظروف القاسية تعد سبباً لدفع الإنسان وحثه على قهر الصعاب ومن ثم الإبداع والتقدم ، كما أن رقة العيش وسهولة تيسر أسبابه وأدواته قد تقف حائلاً يمنع من التحفيز على الإبداع والابتكار[2].

وهذا وإن كان مقبولاً بوجه ما، ولكن لا يمكن التسليم به كنظرية ذات حكم كلي؛ لمحدودية الموارد الصالحة للانطباق عليها، وإلا فإنه لا يمكن إنكار التأثير الضروري للبيئة السهلة والصالحة لقيام الحضارة، ولا سيما من جهة المناخ الملائم للاستقرار، ووفرة المياه، وخصوبة الأرض، وإلا لقام ولو ما يشبه الحضارة في المناطق القطبية، والأراضي الحزنة ذات التضاريس الوعرة والقاسية، والصحاري القاحلة.

وعموما ان خلاصة ما قرره توينبي انه لاالجنس ولا البيئة ان اخذ كل منهما بمفرده يمثل العامل الايجابي الذي ايقض الجنس البشري من حالة الركود الى طريق الحضارة[3].

رابعاً: التحدي والاستجابة:

هذه الفكرة مترتبة بوجهٍ ما على نقض النظريات الثلاث المتقدمة، ولاسيما نظرية البيئة الطبيعية، وهي ليست وليدة أفكار توينبي، بل سبقه إليها غير واحد من العلماء، كما أشرنا إلى ذلك في المبحث الأول. وذكر آرثر هيرمان بهذا الصدد، أن توينبي "استعار مفهوم التحدي والاستجابة من الفيلسوف الفرنسي برجسون (1859- 1941) في مفهومه عن الوثبة الحيوية إذ يرى أن نشوء الحضارة كان نتاج وثوب روحي يحرك كل حضارة من التحدي

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص56صبحي ، في فلسفة التاريخ ، ص269؛ النجم ،توينبي ونظرية التحدي،ص80

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص56-93.

[3]-توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص100؛ النشار،فلسفة الحضارة نشأتها،ص247.

وعبر الاستجابة إلى تحدّ أبعد...وهو بذلك نقل الاستبطان الذاتي الصاعد من الفرد إلى التجربة الجمعية للمجتمعات الكبيرة"[1].

وفضل توينبي فيها يكمن في استثمار هذه الفكرة وتوظيفها على نطاق واسع في دراسة نشأة الحضارات وازدهارها وانحلالها.

ويرى توينبي، بأن التحدي والاستجابة "قانون تحول المجتمعات من الحالة البدائية المتوحشة إلى الحالة الحضارية، تحوّل من الركود إلى الحركة الدافعة"[2].

فالصعوبات التي تفرضها البيئة الطبيعية واللوازم المترتبة عليها توجب تلبس الأفراد- ولاسيما المبدعين منهم- بحالة من التحدي تجاه هذه الصعوبات، ومن ثم تحصل استجابة ناجحة بتجاوز هذه الصعوبات تمكن من الأخذ بموجبات التحضر والازدهار.

ويشترط توينبي لتحقيق استجابة ناجحة بأن لا يكون التحدي بالغ الصعوبة بحيث يولد الإحباط واليأس، ولا يكون بالغاً في السهولة، مما يولد الاستهانة والتفريط واللامبالاة. بل يجب أن يكون هذا التحدي على حدّ من الوسطية بين الصعوبة والسهولة؛ لتجنب حالة الإفراط والتفريط ، ومن ثم حصول أفضل استجابة ممكنة.

واصطلح توينبي على هذا الحد الوسطي بـ (الوسط الذهبي) [3]. فخير الأمور أوسطها.

مقومات نظرية التحدي والاستجابة ولوازمها

ترتكز هذه النظرية- بحسب ما قرره توينبي- على مقومات عدة لابد من حصولها لتحقق فعليتها، كما يترتب عليها لوازم عدة مقترنة بنوع التحدي وأمده، ويمكن تحريرها على النحو الآتي:

---

[1]- فكرة الاضمحلال، ص 315.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص 85.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج1،ص470-471؛ المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكر الغربي،ص202؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ ،ص389-390؛النشار،فلسفة التاريخ نشأتها،ص255.

1- الإبداع الفردي اللازم لخروج التحدي والاستجابة من القوة إلى الفعل:

ذهب غير واحد من فلاسفة التاريخ إلى تجريد الفرد من التأثير الإبداعي المتميز في دفع حركة التقدم وتفعيل أسباب التحضر، وعدّوا المجتمع ككائن عضوي حي، وأن الأفراد المبدعون ما هم إلا أجزاء منه أو بعض خلاياه المتركب منها، ومن هؤلاء هربرت سبنسر في القرن التاسع عشر، وشبنجلر في القرن العشرين[1].

وقد أنكر عليهم توينبي هذا المذهب الذي يعد المجتمع ككائن حي، فإن أصحابه لم يقدموا أي تفسير مناسب لبيان علاقة المجتمع بأفراده.

كما ذهب بعضهم إلى الضد من هذا الرأي، وتنكروا لمكانة المجتمع، فهو في نظرهم ليس سوى حشد ذرات من الافراد. ويرى توينبي أن هؤلاء لم يقدموا لنا كذلك أي تفسير مقبول لعلاقة الأفراد بالمجتمع، فإن المجتمع البشري عبارة عن نظام للعلاقات بين الكائنات البشرية، وهي ليست مجرد وجودات فردية وإنما حيوانات اجتماعية؛ لعجزها عن البقاء فيما لو تجردت عن مثل هذه العلاقات فيما بينها[2].

ولما أنكر توينبي على أصحاب هذين المذهبين ما يرونه، خلص إلى أن المجتمع يُعدّ ميداناً للفعل، وهو يؤول إلى الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع، وقد استفاد توينبي في تقرير رؤيته من تحليلات برجسون التي تفيد بعبثية الاعتقاد بأن تقدم المجتمع يتحقق بنفسه على وجه التدريج بفضل الحالة الروحية التي يتلبس بها المجتمع خلال فترة تاريخية معينة[3]. والحق أن حالة التقدم إنما تحصل عندما يقوم المجتمع على القيام بحالة تجريبية قائمة على الإيمان، ومثل هذه الحالات إنما تتهيأ على يد شخص ما يتميز بمميزات خاصة تأخذ بيد المجتمع للاعتقاد بما يفيده. فهؤلاء الأفراد الذين يتمكنون- بما يحملونه من متبنيات موجبة للتقدم- من قيادة مجتمعاتهم نحو الارتقاء العلمي والفكري والروحي، لا يمكن أن نعدّهم أفراداً عاديين،

---

[1]- بدوي،شبنجلر،ص71؛صبحي،في فلسفة التاريخ ،ص243؛النشار،فلسفة التاريخ،ص228.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص349-354.

[3]- شلبي ،نظرات في ارنولد ،ص42.

بل هم فوق ذلك بكثير؛ لتجسيدهم- واقعاً- صفة الإبداع والعبقرية والنبوغ إلى الحد الذي يمكن أن يُطلق عليه بالإعجاز كما يراه غيرهم[1].

وهنا لابد من إثارة هذا التساؤل، وهو كيف تمكن هؤلاء الأفراد من التلبس بحالة الإبداع والنبوغ، ومن ثَم نجاحهم في قيادة المجتمع نحو الرقي؟!

والظاهر أن توينبي لا يميل إلى اعتبار أن مثل هذه الصفات المتميزة إنما تحصل بوساطة التجربة والتحصيل الثقافي والكسب النظري، بل يعدها وجهاً من وجوه الهبة واللطف والإلهام الإلهي .

فهؤلاء العباقرة والمتصوفة والكُمّل هم في واقع الأمر الخميرة في الكتلة البشرية العادية، فعندما تتهيأ فكرة دينية أو علمية، فإنها تتمثل- تصوراً وتصديقاً- في عقول هؤلاء الأشخاص الملهمين[2].

ولا يخفى ظهور استفادة توينبي من طروحات برجسون في بيان حالة الإبداع الحضاري الذي يأتي به المبدعون من ذوي النزعات الروحية والصوفية، فإنه يرى أن الحقيقة تقذف في نفس الصوفي العظيم "من نبعها كأنها قوة جارفة، وتنحو رغبته- بمعاونة الله له- إلى استكمال مشيئته تعالى في تكييف الأنواع البشرية وفقاً لإرادته"[3].

ولا يخفى أن رؤية توينبي عن حالة الإبداع عند هؤلاء الملهمين من ذوي النزعات الصوفية ماهي إلا انعكاساً لما جاء في الكتب المقدسة التي تتحدث عن ظاهرة الوحي الإلهي النازل على الأنبياء والرسل، ومن ثم وجد (ويدجيري) أن جوهر تفسير توينبي للتاريخ هو في

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص354.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص357.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص355؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص293-394.

النهاية تفسير ديني[1].وهو بذلك يقترب كثيراً من تفسير توماس كارليل عن دور الأبطال ودور العناية الإلهية في اختيار هؤلاء الأبطال وبعثهم[2].

2- إدامة التحدي:

يرى توينبي أن الدوافع الباعثة لفعلية حالة التحدي ومن ثم حصول استجابة ناجحة في وقت ما، لا ينبغي أن يقتصر أمدها على ذلك الوقت، ولا ينبغي أن يكون مآلها الوهن والأفول، وإنما يجب دوامية التحدي الفاعل من قبل المبدعين وإثارته على وجه الاستمرار، وخلق حالة من الاستعداد لمواجهة ما يستجد من صعوبات وعاديات . فإن "التحدي الأمثل هو ما يشتمل على كمية الحركة التي تحمل الطرف المتحدي خطوة أبعد من استجابة ناجحة بمفردها، تحمله من مرحلة استكمال الاستجابة إلى مرحلة صراع جديد، من مشكلة واحدة حلت إلى مواجهة أخرى. أي من مرحلة (الين) إلى مرحلة (اليانج) كرّة أخرى"[3].

إن (الين) و (اليانج) مصطلحان صينيان، يراد بالأول السكون، والثاني الحركة، استعملها توينبي في تصوير الاستجابة الناجحة للتحدي من قبل المجتمع[4].

وهو ما يلزم ديمومة تنشيط حافز التحدي، واستمرارية بعث الحركة لتحقيق الاستجابة الناجحة؛ لذلك رأى توينبي أن حركة التقدم الحضاري عبارة عن حركة متتابعة ومتقدمة في الوقت نفسه، فهي أشبه "بحركة العجلة الناتجة من حركة دواليبها، فالدواليب فعلا تدور على محاورها دورات متكررة متتالية، ولكن حركتها الدورية هذه هي التي تسير العجلة إلى الأمام، وهكذا فإن للحضارة حركة متقدمة إلى الأمام، هي في الوقت ذاته حصيلة حركات دورية جزئية"[5].

---

[1]- جيري، المذاهب الكبرى، ص330؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص394.

[2]- الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص394.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص313-314.

[4]- الملاح، المفصل في فلسفة للتاريخ، ص391.

[5]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ص425-426؛ قسطنطين، في معركة الحضارة، ص161؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ ص392.

3- معيار التقدم الحقيقي:

يرى توينبي- وهو محق في ذلك تماماً- أن السيطرة السياسية والتفوق الحربي والتقدم التكنولوجي لحضارة من الحضارات- فيما لو تمكنت من كل ذلك - لا يمكن عدّه ميزاناً مناسباً لقياس مستوى الارتقاء الحضاري لها، معللاً ذلك بأن "التوسع الحربي التكنولوجي عادة هو نتيجة نزعة حربية تعد بدورها قرينة على التدهور، ولا تبدي التحسينات التكنولوجية سواء كانت زراعية أو صناعية سوى ارتباط قليل، أو لا شيء بينها وبين الارتقاء الصحيح" [1].

لذلك وجد توينبي أن قوام التقدم يكمن في عملية التسامي متمثلة بالتغلب على الحواجز المادية، من طريق "إطلاق طاقات المجتمع من عقالها لتستجيب للتحديات التي تغدو منذ الآن وصاعداً داخلية أكثر منها خارجية، روحانية أعظم منها مادية"[2].

4- سبب انهيار الحضارات:

بينا في ما تقدم - بحسب ما قرره توينبي- أن السبب الأساسي لقيام حضارة ما ونموها يكمن في مبادرة الأقلية المبدعة في المجتمع لإعمال التحدي اللازم لتحقق استجابة ناجحة على وجه الاستمرار، ومن دون توقف أو فتور.

فكان من الطبيعي أن يقرر أن السبب الرئيسي في انهيار الحضارات وتحللها هو فتور النشاط الابداعي عند الأقلية المبدعة وخفاء بريقه وفقدانه، ومن ثم توقف حصول أي استجابة ناجحة أو مقبولة، سواء كان هذا الأفول يرجع إلى توفر متطلباتهم وإشباع رغباتهم، أو لتلبسهم بحالة من الترف والارتخاء غير المحفز على بعث حالة التحدي من جديد، وكيفما

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1 ص475-476؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص392

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ،ج1 ص476؛الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ص392.

كان، فلا بد لها من المحافظة على ما حققته من امتيازات وإن تطلب ذلك استخدام القوة ضد أغلبية أفراد المجتمع الرافضين لما آلت إليه الأحوال لحملها على الطاعة[1].

ولا يخفى أن هذه الطاعة إنما كانت للأثر الإيجابي المتأتي من الاستجابة الناجحة للمبدعين. وهذا بدوره يكون مدعاة لإعجاب غالبية أفراد المجتمع، ويولد القناعة بقدرات هؤلاء المبدعين ويدفع العامة لتقليدهم والاقتداء بهم، ولكن مع توقف الإبداع تتوقف طاعة العامة ويصعب انقيادهم للأقلية التي كانت مبدعة، وهكذا تتحول إلى "أقلية مسيطرة تسعى إلى الاحتفاظ بمركز لم تعد جديرة به باستخدام القوة"[2].

وإذا وصلت الأمور إلى هذا المنحى، فلا بد من ظهور حالة الانشقاق في صفوف الأغلبية غير المبدعة والفاقدة لمميزات الأقلية التي كانت مبدعة، ويسمي توينبي هذه الأغلبية بـ (البروليتاريا).

ولا يخفى أن مفاد هذا المصطلح من وجهة نظر توينبي يختلف عما عند ماركس، فهذا يقصد به الطبقة العاملة التي توفر رزقها بالاعتماد على عملها اليومي، وهو غير حالة التعبيرعن الانشقاق التي تحصل في المجتمع[3].

5- البروليتاريا:

بعد أفول بريق الحالة الإبداعية عند الأقلية المبدعة وعدم تمكنها من تقديم استجابة ناجحة على وجه الاستمرار، ثم تمسكها بالمحافظة على ما حصلت عليه من مكاسب وامتيازات على الرغم من عدم مواصلة التحدي الإيجابي، فإنه بمقتضى هذه الحال تحصل عند الطرف المقابل- أعني أغلبية أفراد المجتمع (البروليتاريا)- حالة من فقدان الثقة بالأقلية التي كانت مبدعة، وتتحول حالة الإعجاب بهم إلى نفور منهم، وانشقاق ومعارضة وصولاً إلى المقاومة باعتماد العنف.

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ،ج1 ص356.

[2]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ،ج1 ،ص412.

[3]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ،ص397.

وقد قسم توينبي البروليتاريا المنشقة إلى قسمين:

أ- البروليتاريا الداخلية: وتتمثل بعموم المجتمع المحروم من حقوقه المشروعة واستحقاقات انتمائه المجتمعي، ناهيك عن حالة الذل والهوان التي يعيشونها بسبب خضوعهم لهيمنة الأقلية المتسلطة التي كانت مبدعة . فعند ذلك تبدأ مرحلة التمرد ورفض الخضوع لسلطة الاقلية، وتنشأ الفتن المحلية والحروب داخل الكيان المجتمعي الواحد، ولاسيما مع إصرار الأقلية على فرض سيطرتها بالقهر والقوة والإذلال، وقد تستمر هذه الحال لقرون عدة[1].

ومن أوضح الأمثلة على البروليتاريا الداخلية التي حصلت في الحضارة الهيلينية هي الكنيسة المسيحية التي انبعثت من ديناميس روما، "حتى قدّر لها أن تبتلع الامبراطورية كلها، وأصل هذه الكنيسة، نفر من المبشرين الوافدين من الشرق، ومن جماعة العبيد، وصيادي السمك، وهم من بين الجماعات التي كان الاسكندر المقدوني قد أخضعها لسلطان الهيلينية"[2].

ويرى توينبي أن البروليتاريا الداخلية للمجتمع الهيليني تتألف من عناصر ثلاثة: أولها، يتألف من المجتمع نفسه عندما كان يشعر بالحرمان.

وثانيها، يتألف من حضارات أخرى.

وثالثها، يتألف من جنود تشعر بالاضطهاد بسبب استغلالهم[3].

وأياً كان فتحدي الكنيسة كان قاسياً ودام طويلاً، ولكنه أثمر استجابة ناجحة، ولاسيما في عهد قسطنطين[4] .

ب – البروليتاريا الخارجية:

---

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج1، ص411-412.

[2]- عبيد، معرفة الماضي ، ص23.

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1 ص17.

[4]- قسطنطين الاول :ابوه قسطنطيوس بن كلوروس وامه الامبراطورة هيلانة، ولد في نيشيش(نيش شمال يوغسلافيا)سنة272م،تولى حكم الامبراطورية الرومانية سنة 306م حتى وفاته ،كان وثنيا ثم اعتنق النصرانية اواخر ايامه وعند وفاته سنة337م دفن في كنيسة الرسل المقدسة (في تركيا حاليا).ينظر:أومان ،الامبراطورية البيزنطية،ص3-13؛السحالي ،اصلاحات قسطنطين الاول الدينية والسياسية في اوربا،ص10.

وتنبعث من وراء الحدود، وترفض الاندماج المجتمعي، ومن ثم تسلك سبيل الغزو والعنف لتحقيق أهدافهاويرى توينبي أن حالة الزهو والغرور والتكبر والأنانية التي تتلبس بها الأقلية المسيطرة تعد سبباً مباشراً في قصور الحالة الإبداعية عندهم في مواجهة التحديات[1].

ومع ملاحظة الفوارق الحاصلة بين المجتمعات في الرقي والتمدن والعمران والثراء وغير ذلك من موجبات التقدم والتفوق، فإن المجتمع الفاقد لكل ذلك لا يبقى ساكناً أزاء ذلك، فإن ما يكتنفه من تخلف وانحطاط وعوز وحرمان وعدم تمكنه من الأخذ بأسباب العيش الكريم يكون دافعاً لانتهاز أية فرصة مواتية حتى ينقض على المجتمع الآخر المتمدن، ومن ثم القضاء على مكتسباته التي جاءت نتيجة لاستجابة ناجحة بعد تحد ليس بالهين، ويسوق توينبي لنا مثلاً على البروليتاريا الخارجية، هو حركة هجرة الشعوب التي كانت تعرف بـ (البرابرة) عندما كانت تهيم على وجهها، بعدما تلبست الحضارة الهيلينية بحالة الاحتضاربعد توقفها عن الابداع[2].

ومن هذه الشعوب القبائل الجرمانية، فهي "كانت خاضعة لسلطان الحضارة اليونانية والرومانية (الهيلينية) ثم تحركت فوصلت وقت وفاة الحضارة الهيلينية، ثم أقامت لنفسها ممالك على نفس التربة الهيلينية"[3].

ويخلص توينبي إلى أن سبب الوصول إلى هذه النتيجة (انهيار الحضارة) يكمن بما يأتي:

1- قصور الطاقة الإبداعية وفقدان عوامل ديمومتها عند الأقلية المبدعة التي كانت تقود المجتمع.
2- عزوف أغلبية المجتمع عن محاكاة الأقلية التي كانت مبدعة بعد قصور طاقتها الإبداعية وفقدان الرغبة في تقليدها.
3- تفكك النسيج الاجتماعي نتيجة لاعتراض الأغلبية على الأقلية المتميزة ومن ثم ظهور الانشقاقات بين مكونات المجتمع الواحد [1].

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج1 ص413.

[2]- توينبي ، بحث في التاريخ،ج2،ص36.

[3]- عبيد، معرفة الماضي ، ص125.

هذه بعض الجوانب التي يمكن أن تعد إيجابية بحسب ما قرره توينبي في فلسفته التاريخية، وإن شابها بعض المؤاخذات، أشرنا الى بعضها فيما تقدم، ولكن توجد مؤاخذات ليست بالقليلة على هذه النظرية، ولا يمكن قبولها بوجه، سنتناولها في المبحث التالي.

[1]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ،ج1 ص413

المبحث الثالث

المؤاخذات العامة على فلسفة توينبي في التاريخ

المبحث الثالث

المؤاخذات العامة على فلسفة توينبي في التاريخ

تتميماً لما تقدم لابد من بيان الجوانب السلبية المترتبة على ما قرره توينبي، ولاسيما من جهة المنهج المعتمد، فضلاً عن تخلفه عما وعد به، أو التزامه بما انتقد به غيره، فعلى الرغم من المكانة العلمية التي تبوءها، واشتهار نظرياته التي قررها في فلسفة التاريخ وسرعة استقبالها في الأوساط العلمية ولاسيما الغربية منها، إلى حد وصفته به ((مجلة لوك)) بأعظم مؤرخ معاصر [1]، إلا أنه يمكن أن يلاحظ على ما قرره من آراء، وما توصل إليه من نظريات جملة من المؤاخذات والنقوض والرؤى التي لا يمكن قبولها بوجه، وإليك ما عنّ على وجه الإجمال:

أولا: مما يؤخذ على توينبي الأخذ بما وراء التاريخ وعدم الالتزام بالمنهج العلمي المعتمد في صياغة النظريات التاريخية، إذ أطلق كثيرا من أحكامه نتيجة لإيمانه بتدخل الإرادة الإلهية في صيرورة الأحداث التاريخية؛ لذلك عد غير واحد من المختصين في هذا الفن من المعرفة، بأن تفسير توينبي للتاريخ كان تفسيراً لاهوتياً بعيداًعن التفسير العلمي التجريبي.

ويشهد لذلك دعوة توينبي إلى تبني ديانة رباعية بإمكانها أن تحل مشكلة العالم الحضارية لذلك قال عنه الصحفي والمؤرخ البريطاني هيلز، بأنه متنبئ استغل سعة اطلاعه في التاريخ لبيان تعاليمه الدينية ومن ثم تأكيدها [2].

ويلاحظ على ما ذكره هؤلاء: بأن معظم المعطيات التاريخية لا يمكن أن تخضع للحقل التجريبي الذي يستند بالأساس إلى تكرار المشاهدة كما في العلوم الطبيعية؛ لأنها آثار غابرة ومعطيات مندثرة، على أن كثيراً منها رهين بما جاء عن القدماء، ومن الصعوبة بمكان

---

[1]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص410.

[2]- خوري ، التاريخ الحضاري ، ص12، و116 ؛الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص412.

معرفة ما وصل إلينا عنهم أكان يمثل الواقع كما هو ومجرداً عن الأفكار القبلية والأهواء السياسية والعصبية أم خلافه.

وأما في ما يتعلق بما ذكره هيلز وغيره فصحيح بالإجمال، وفيه تأكيد لما أشرنا إليه بأن معظم المؤرخين لم يستطيعوا التجرد عن المتبنيات القبلية فيما حرروه ولا سيما في المسائل الدينية وتوينبي أحد هؤلاء .نعم، نحن لا ننكر ما للجانب الديني من أثر مهم في رسم حركة التاريخ، ولا ننكر أثر التدخل الإلهي في سيرورة الحياة، وإلا فإن إنكاره مكابرة وعناد. ولكن ليس من وجهة نظر توينبي، فإنها ترجيح بلا مرجح، ومعظم ما قرره بهذا الخصوص، فإنه ليس برهانياً، بل قائم على مصادرات من دون إثبات، ولا سيما فكرة الالوهية ومقوماتها وما يترتب عليها.

ثانيا: وأخذ عليه غير واحد من فلاسفة التاريخ سوء تطبيق المنهج العلمي في تقرير أبحاثه، كما عن المؤرخ الهولندي بيتر جيل[1]، فهو يرى أن توينبي كان ينتخب الشواهد التي تتوافق مع ما يتبناه، وتدعم الحجج التي يعرضها، أو سوقها على الوجه الذي يريده، ومن ثم توظيفها بما يخدم رؤيته ، ويرى أن المنهج الذي اعتمده توينبي في المقارنة بين الحضارات عديم الجدوى وليس منه فائدة؛ فإن لكل وقعة أو حدث تاريخ ظروفه الخاصة به، ومن البعيد جداً تكرار هذه الظروف على الوجه الذي حدثت فيه، ومن ثم يلزم أن لا يُعتمد على المقارنة بين الحضارات[2].

ولا يخفى أن ما ذكره بيتر جيل صحيح إجمالاً، فيما لو استثنينا بعض العموميات التي لا يخلو عنها أي حدث تاريخي. فهناك كثير من الشواهد التي تؤكد على وقوع أحداث جزئية وحالات خاصة، كان لها الأثر في تغيير حركة التاريخ على الوجه الذي لم يكن في الحسبان.

---

[1]-بيتر جيل: (1887-1966)كاتب ومؤرخ وسياسي وأستاذ في جامعة أوتريخت.ينظر:موسوعة بروكهوس على الانترنيت-https://brockhaus.de/ecs/enzy/article/geyl-pieter-catharinus-arie.

[2]- تشيكو.مفهوم الحضارة،ص106؛خوري ،التاريخ الحضاري ، ص١١١-١١٢ ؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٤١٢.

ويرى (جيفري باراكلو) رئيس الرابطة التاريخية في إنجلترا للمدة (١٩٦٤-١٩٦٧م) ، أن السبب الحقيقي لإعراض المؤرخين عن كتاب توينبي في دراسة التاريخ يكمن في الأخطاء العلمية والمنهجية التي تضمنها الكتاب لعدم توافر المادة العلمية التي تساعد في كتابة فلسفة للتاريخ لذلك قرر المؤرخون المحترفون، أنه لابد من تحقيق أمرين مهمين ضروريين لإنجاح أي دراسة في فلسفة التاريخ، أولهما: المتابعة الدقيقة للعلاقة بين التاريخ والعلوم الاجتماعية.

وهذا أمر صحيح بالجملة لعدم تحقق الدقة المبتغاة في تقرير المطالب فيما لو جرى تناولها بمعزل عن بقية العلوم الضرورية.

والآخر: المعرفة التامة والدقيقة بالتاريخ الآسيوي والأفريقي وحتى التاريخ الخارج عن أوربا كلها[1].

وهذا أمر ضروري لابد منه لكونها مسرحاً لحصول كثير من الأحداث بين أطراف الصراع عليها، كالصراع الفارسي الهيليني، وشمول مساحات واسعة منها بتغلب الحضارات القائمة في أوربا عليها.

ثالثا: انحياز توينبي بالكلية بقلبه وروحه- فيما قرره- إلى جانب الحضارة الغربية، فهو لم يدخر وسعاً في الاستدلال على موت حضارات العالم بأجمعها أو حكمه بأنها صائرة إلى الموت ولكنه استثنى الحضارة الغربية من هذا الموت الحتمي الذي تحتم على غيرها[2]، على الرغم من عدم وجود أي حجة مبنية على أسس علمية تسوّغ له هذا الاستثناء، سوى ما كان يأمل به من شمول الحضارة الغربية بشيء من العناية الإلهية أو اللطف الإلهي، ينقذها وحدها من هذا المصير المحتوم[3].

---

[1]- جيفري، الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية ،ص ٢٨٢-٢٨٣؛ الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١٧.

[2]- الشرقاوي ،ادب التاريخ عند العرب ،ص108.

[3]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ،ج3، ص195؛ الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١3.

وهذا ترجيح بلا مرجح، بل أماني تكشف عن رسوخ عقدة التفوق العرقي عند توينبي، وإن أظهر خلاف ذلك.

ولا يخفى على المتتبع وقوع توينبي في تناقض منهجي غير مقبول ولا يمكن تبريره، فعلى الرغم من تصريحه بالاعتقاد باختيار الإنسان وحريته على مستوى الفرد والمجتمع، نجده هنا جبريّا خالصاً، فهو يفرض حتمية الموت على جميع الحضارات من دون تقرير حجة يعتد بها عند العقلاء على ذلك، وفي الوقت نفسه، يفرض حتمية الحياة وديمومتها للحضارة الغربية على الرغم من الشدائد التي تتعرض لها[1] .

رابعاً: ومما لوحظ على دراسة توينبي للحضارات، أنه تعامل معها وكأنها كائنات عضوية حيّة، يجري عليها ما يجري على الأحياء، من ولادة ونمو وفتوة و شباب وشيخوخة ومن بعدها الموت، وافتراض أبوة إحداها للأخرى وبنوة هذه لتلك يجعل منهما وكأن بينها تقابل التضايف بل كأن الحياة بالنسبة لهذه الحضارات صفة ذاتية متركبة من صفتي العلم والقدرة[2].

ولكن على الرغم من ذلك فهو يرى عدم إمكانية التأثر والنقل والاقتباس بين حضارة وأخرى لأنه يؤدي إلى تسمم الحضارة المقتبسة[3].

وهذا مستغرب منه جدا؛ إذ من غير المعقول أن لا يورث الأب بعض السمات للابن، أو يترك له شيئا من الأثر، وإلا فالنسبة بينهما لا واقع لها.

وفي هذا الصدد يشخص الباحث الاجتماعي (سوروكن) مدى التناقض في ما ذهب إليه توينبي؛ إذ بيّن أن حضاراته لا تعد كيانات حقيقية بحسب ما يذكره توينبي نفسه في مناسبات

---

[1]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١٢.
[2]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١ ، ص354.
[3]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٤١٠.

عدة، ومن ذلك التغير الحاصل في الظواهر الاقتصادية والتقنية في الحضارة الواحدة، بينما تبقى الظواهر الأخرى من دون أن تتلبس بالتغير، وأحياناً يحصل خلاف ذلك تماماً[1].

إذن ما يصطلح عليه توينبي بالحضارات، لا يعدو بحسب الواقع كونه مجرد مجالات ثقافية تتخللها عناصر عدة من الأنظمة والتكتلات الاجتماعية والثقافية الكبيرة والصغيرة. وهذه العناصر قد تتناغم مع جانب من تلكم المجالات فيحصل التحضر والازدهار، وقد لا يتحقق لها الانسجام في جانب آخر فيحصل الاخفاق[2].

ويشهد لهذه الحقيقة أن توينبي نفسه قال بها- في معرض نقده للمنهج الذي اعتمده شبنجلر في دراسة الحضارات إذ عد "المجتمعات من الناحية الذاتية أو الموضوعية مواضيع مفهومة للبحث التاريخي. أما من الناحية الموضوعية فإن المجتمعات هي الأساس المشترك بين حقول العمل النسبية لعدد من البشر هم أنفسهم عضويات حيّة، ولكنهم لا يستطيعون أن يكونوا بطريقة سحرية عملاقا على صورتهم من تقاطع ظلالهم واجتماعها، ثم ينفخون في هذا الجسم اللامادي نفس الحياة الخاصة بهم "[3].

ولكن على الرغم من هذا النقد الصريح للمفهوم العضوي للمجتمعات والحضارات الذي قرره شبنجلر، إلا أن توينبي ذهب إلى هذا المفهوم نفسه في دراسته للحضارات والعلاقات فيما بينهما، فتقريراته تنطلق من هذا المفهوم، ورأى أن كل حضارة تمر بمراحل أو أعمار متعاقبة كأفراد البشر، مؤصلاً لذلك وكأنه حقيقة ثابتة على الرغم من كون المقدمات التي استند إليها غير مسلم بها، فوقع في نفس ما انتقد فيه اشبنجلر[4].وفي ضوء ما تقدم، فإن ما ذكره توينبي فيما يتعلق بعدد الحضارات وما تمر به من مراحل، من ولادة ونمو وشيخوخة

---

[1]- خوري، التاريخ الحضاري، ص108.

[2]- خوري، التاريخ الحضاري، ص 108؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٤١٠-٤١١.

[3]- توينبي ، بحث في التاريخ ، ج١ ، ص ٣٦٢.

[4]- الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١١.

واحتضار وموت لا يمكن أن يعد كلاماً مبنياً على مقدمات صحيحة تستلزم صحة النتائج، بل لا يعدو كونه كلاماً فارغاً بعيداً عن القواعد العلمية[1].

وأما بخصوص نصائحه لأبناء غير حضارته في التخلي عما جاءت به حضاراتهم، والالتحاق بركب الحضارة الغربية، فلا أظن أنهم بحاجة إلى مثل هذه النصائح، فهي لا تستند لحجة برهانية ولا إلزامية، ولا تعدو كونها كلمات خطابية أو شعرية صدرت من واعظ قليل التحصيل، وإلا فإنهم أدرى بتراثهم وبشؤوناتهم فيما لو استثنينا المظاهر البراقة.

خامسا: عدم وضوح التصور المطلوب لدراسة التاريخ عند توينبي وقصور رؤيته في النظر إلى صيرورة أحداث التاريخ على وجه معقول ولو بنسبة ما، ولم يكن موفقاً في إطلاق أحكامه حول تشخيص أسباب الحوادث وإلى أين صائرة، ولا في كيفية التعاطي معها على الرغم من الشهرة الواسعة التي حظي بها توينبي ودراسته، وقد أرجع (جفري باراكلو) سبب الرواج الهائل لكتاب توينبي في الغرب ما بين عام (1945- ١٩٥٥) إلى حالة القلق والاضطراب التي يعيشها قسم من المجتمع الغربي؛ لما خلفته الحرب العالمية الثانية من آثار سلبية،" وعلى الرغم من ذلك، فقد استقبل المؤرخون منذ البداية كتاب توينبي بالسلبية وكانت التهمة الحقيقية الموجهة إليه، هي النقص البيّن في وضوح التصور؛ مما يفقد الكتاب قيمته العلمية، وقد كتب أحد النقاد: **"لم يحدث قط أن مثل هذا التركيب المعماري الضخم قام على مثل هذه الأسس النظرية الضعيفة"**[2].

سادسا: يرى توينبي بأن أبناء الحضارات غير الغربية غير مؤهلين ذاتياً للأخذ بزمام الإبداع والتقدم الحضاري، ومهما بلغوا في التطور، فإن دورهم لا يعدو كونه تقليداً للحضارة الغربية. وهذه رؤية عنصرية بحتة تكشف عن إيمان توينبي العميق بنظرية التفوق العرقي، وإن ادعى رفضه لها[3]، وما زعمه توينبي منقوض بوجوه:

---

[1]- الملاح ،المفصل في فلسفة التاريخ،ص411.

[2]- جيفري ، الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية ، ص٢٨١ ؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص ٤١٧.

[3]- الملاح،المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١٦.

منها: إن معطيات التفوق الحضاري، لا تقتصر على التطور العلمي والتكنلوجي، بل هناك معطيات أخرى ملازمة لها لا تقل أهمية عن التطور العلمي، بل هي واقعاً أهم منه، وهي الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والتربوية وغيرها.

وقديماً قسم الحكماء العقل إلى العقل النظري- متمثلاً بعلوم المنطق والرياضيات والطبيعيات والإلهيات- والعقل العملي- متمثلاً بتهذيب الأخلاق على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع- وعدّوا العقل العملي غاية للعقل النظري، والنظري مقدمة له، وما بعث الله عز وجل الأنبياء إلا لهذه الغاية[1].

ومنها: انتقاض رؤية توينبي بما وصلت إليه شعوب الشرق الأقصى والشعب الروسي من تقدم في المجال العلمي والتكنلوجي .

ومنها: مساهمة الكثير من أبناء الحضارة غير الغربية في الحالة الإبداعية الحاصلة في الغرب في المجال العلمي والتكنلوجي.

رؤية توينبي إلى الحضارة العربية الإسلامية

يلاحظ على ما قرره توينبي- على وفق رؤيته عن الحضارة العربية والإسلامية- مؤاخذات عدة جانب فيها الصواب[2] إذ كانت أخطاؤه فاحشة، وكان بعيداً بالكلية عن متطلبات المنهج العلمي في البحث، ومن ثم ابتعد عن الواقع.

ويمكن تحرير بعض هذه المؤاخذات على وجه الإجمال:

أولا: عد الحضارة العربية الاسلامية ابنة للحضارة السريانية (السورية)، وأن ظهور الإسلام كان نتيجة للاستجابة الناجحة التي قدمها المجتمع السوري في مواجهة تحدي

[1]- ينظر: الورد، العقيدة، ص 18.

[2]- لم يركز على طابع مميز للحضارة العربية، تلك الحضارة التي أظهرت طاقة ضخمة ما بين القرنين الثامن والثالث عشر أكثر مما أبدته الحضارة الغربية في نفس الفترة .ينظر : شلبي، نظرات في أرنولد توينبي، ص111.

الحضارة الهيلينية[1]. وهذا الكلام فيه مغالطة لسببين.

أ: أن ما يسميه توينبي بالمجتمع السرياني، هو في الواقع مجتمع مؤلف في معظمه من القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية، ولاسيما من اليمن، ونزلت الشام، فليس ثَمّ اختلاف مجتمعي بالمعنى الاصطلاحي [2].

ب: أن استجابة المجتمع السوري- إن ساغ لنا التسمية بها- ليست تحدّياً للحضارة الهيلينية على وجه الإطلاق، وإنما كان لإقبال هذا المجتمع على الإسلام، لصلاحية أحكامه للمجتمع وأفضلية تشريعاته على ما كان سائداً آنذاك وسمو المبادئ التي دعا إليها.

نعم، نحن لا ننكر، أن بعض هذا المجتمع لم تكن استجابته للإسلام سريعة، ولكن رضي بالأمر الواقع الذي فرضه الفتح الاسلامي لهذه البلاد، وفضّل التعايش مع هذا الواقع مستفيداً من سماحة الاسلام وعدالته، ولاسيما من جهة حفظ حقوق غير المسلمين، وعدهم من الرعية.

ثانيا: إن جمع الحضارتين العربية والإيرانية تحت عنوان اصطلاحي واحد[3]، فيه تكلف زائد بل مندفع بأدنى تأمل في واقع الحضارتين، لوجوه:

منها: إن أصول المجتمعات العربية العرقية سامية بينما ترجع جذور المجتمع الإيراني- بحسب زعمهم- إلى الجنس الآري، ويؤمنون بتفوقهم العرقي، وهو نفس العرق الذي تنتمي إليه الشعوب الهيلينية والغربية.

ومنها: إن البلاد التي تقطنها المجتمعات العربية، ولا سيما في بلاد الشام وما بين النهرين كانت مسرحاً للصراع الفارسي الهيليني، فتمر عليهم الدهور وهم تحت رحمة احتلال هذا

---

[1]-توينبي،مختصر دراسة للتاريخ ،ج4،ص245؛توينبي،بحث في التاريخ،ج1،ص356؛خوري ، التاريخ الحضاري،ص12؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص403؛ النجم ، توينبي ونظرية التحدي ،ص42.

[2]- سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها ،ص١٩-٣٠ ؛ الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص٤١٣.

[3]- الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤١٣.

الطرف أو الطرف المقابل، وحمل المجتمع العربي للانضواء تحت جهة معينة من دون غيرها يُعد من قبيل الترجيح بلا مرجح .

ومنها: الاختلاف البيّن بين طبيعة المجتمع العربي قبل الإسلام والمجتمع الفارسي، ولاسيما من جهة المعتقدات والاعراف والأفكار، واللغة وغيرها، فضلا عن فقدان الود فيما بينهم.

ومنها: إنه بعد الفتح الإسلامي لبلاد فارس أصبح المجتمع الإيراني كجزء من المجتمع الاسلامي، شأنه كشأن الشعوب الطورانية وشعوب شمال أفريقيا كالمصريين والأمازيغ [1] وغيرهم من المجتمعات التي انضوت تحت راية الإسلام، فلم خُص المجتمع الفارسي بشراكته للحضارة العربية من دون غيره؟ على الرغم من أن انصهار هذه المجتمعات في المجتمع الاسلامي كان أكثر وضوحاً من الفرس الذين تمسكوا بآريتهم بشدة وحتى يومنا الحاضر، ويشهد له تغيير اسم بلدهم نسبة لانتمائهم العرقي.

وبالجملة فما ذهب إليه توينبي- بأن الإمبراطورية الأخمينية (الفارسية) هي الدولة العالمية للحضارة السريانية، وأن الدولة العربية الاسلامية هي الوريثة للإمبراطورية الأخمينية[2] مذهب يفتقر إلى المنهجية العلمية وأصول البحث العلمي، بل مجرد دعوى باطلة لما أشرنا إليه في ما تقدم.

ثالثا: زعم توينبي أن رسول الله محمد(صلى الله عليه وآله وسلم) استمد إلهامه بالدرجة الأولى من اليهودية والنصرانية[3]، وهذه دعوى باطلة، وتخرص من القول لا يشهد لها أي شاهد ومندفعة بأدنى تأمل لوجوه:

منها: إنه صلى الله عليه وآله وسلم وُلد في مكة ونشأ بها، ومجتمعها بعيد بالكلية عن اليهودية والنصرانية، ولم يغادرها إلى أن بُعث نبياً، سوى مرتين، أولهما عندما خرج مع

---

[1]- الأمازيغ او البربر هم مجموعة أثنية ومن السكان الاصليين في شمال افريقيا.ينظر: العربي ، الامازيغ عبر التاريخ ، ص19.

[2]-توينبي، دراسة للتاريخ،ج2،ص188،ص190؛توينبي ،بحث في التاريخ ،ج1،ص60،ص475.

[3]-توينبي، بحث في التاريخ،ج1،ص63؛ وينظرالملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٤٠٣.

عمه أبي طالب(رضي الله عنه) إلى الشام وعمره أثنتي عشر سنة، وقيل تسع سنين[1].
والأخرى عندما كان عمره خمس وعشرين سنة خرج إلى الشام في تجارة لخديجة(رضي الله عنها)[2]، ومدة ذهابه وإيابه في كل مرة بحدود الشهرين، بما فيها المدة المستغرقة أثناء الطريق، ولم يثبت أنه ألتقى باليهود والنصارى ليأخذ عنهم، ولو تنزلنا وقلنا بحصول اللُقيا في يوم أو يومين، فإنه من غير المعقول الاعتقاد باستفادة ما جاء به من تعاليم وأحكام عن اليهود والنصارى.

ومنها: أن سمو المبادئ والتعاليم التي جاء بها ورفعتها لا يمكن أن يرتقي إليها ما هو موجود عند اليهود والنصارى، فيما لو تجردنا عن المتبنيات القبلية واتبعنا سبيل اهل العلم.

ومنها: إن ما جاء به (النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)فيه نقض لأساسيات اليهودية والنصرانية الاعتقادية وإبطال لثوابتها، ولاسيما عقيدة التثليث، والأبوة والبنوة،والفداء وغيرها، فكيف يمكن أن يعقل تأثره بها واستفادته منها؟!

ومنها: إن إخراج النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) من ديوان النبوة ونفي اتصاله بالوحي الإلهي[3] لم يدلل عليه توينبي ولو بشبه حجة، بل الأدلة على إثبات نبوته شاخصة؛ لأنه أمر ليس بممتنع بل ممكن، ولقوة حجته، وتحديه بالتعجيز بالإتيان بمثل ما أتى به، وصلاحية ما جاء به من أحكام لكل زمان ومكان، وتوافقه مع سيرورة الحركة العلمية والتطور العلمي، بل سيرورة الحياة كلها.

وأيضا لم يرد عن موسى وعيسى (عليهما السلام) وما بينهما من أنبياء ما يفيد نفي بعث نبي من بعدهم، ناهيك عن وجود بعض ما يفيد الإشارة إلى بعث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الكتاب المقدس[4].

---

[1]- الطبري، تاريخ الرسل، ج٢، ص٣٣؛ابن كثير، البداية والنهاية ، ج٢، ص ٢٨٦؛الحلبي، السيرة الحلبية ، ج١، ص ١٢٠.
[2]- ابن كثير،البداية والنهاية ، ج٢ ،ص ٢٩٤؛الحلبي، السيرة الحلبية ،ج١، ص ١٣٧.
[3]-توينبي، بحث في التاريخ،ج1،ص63.
[4]-ينظر: سفر التثنية، الإصحاح 18، العدد 18 و 19، إنجيل يوحنا، الإصحاح 14، العدد 16، والإصحاح 15، العدد 26، والإصحاح 16، العدد 7 و 12- 14.

رابعاً: عدّ توينبي الفترة المكية لدعوة النبي محمد(صلى الله عليه وآله وسلم)بفترة الاستجابة المبدعة- على وفق نظرية الاستجابة والتحدي- والفترة المدنية هي بداية دمار الاسلام لأن محمداً (صلى الله عليه واله وسلم) استخدم القوة في نشر دعوته[1].

وهذا رأي مجانب للصواب بالكلية، ويكشف عن قصر نظر الرجل في الاطلاع على المعطيات التاريخية والحقائق الواقعية الحاصلة بالفعل، فضلا عن عدم اتباعه لأساليب المنهج العلمي في تقرير ذلك لوجهين:

أولهما: إن الفترة المكية كانت من أشد الفترات قساوة على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أصحابه، بما شملها من تهجير وتعذيب، وحصار، ومقاطعة كاملة على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والنفسي[2]، فلم تكن ثمّة استجابة تُذكر، وإن حصل شيء من ذلك بوجه ما فهو نسبي.

والآخر: إن الفترة المدنية تعد واقعا فترة الاستجابة الحقيقية للدعوة الاسلامية لإقبال الناس على تلبية دعوته بعد التحرر من ربقة الاضطهاد في الفترة المكيةعلى وجه الاختيار ومن دون مؤثرات أخرى واضحة خارجة عن هذا الوجه. فعدُّ هذه الفترة بفترة انحلال ودمار للإسلام بعيد عن الدقة والصواب ويكذبه الواقع الفعلي كما سيأتي بيانه.

ويمكن أن يُلاحظ على ما أفاده بوجهين:

أولهما: إن الدعوة الإسلامية قائمة بالأساس على نشر ما تدعو إليه سلمياً ومن دون اعتماد القوة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [3]إلى غير ذلك من النصوص الواردة في الكتاب الكريم التي تفيد هذا المعنى.

---

[1]- توينبي،بحث في التاريخ،ج2،ص205؛خوري، التاريخ الحضاري ، ص١١٨-١٢٥؛ الملاح ، المفصل في فلسفة التاريخ ص 403.

[2]- ينظر:ابن هشام ،سيرة ابن هشام ،ج1،ص223وما بعدها؛ابن حزم ،جوامع السيرة ،ج1،ص44ومابعدها؛ابن الاثير ، الكامل في التاريخ،ج1 ،ص،ج1،ص694ومابعدها.

[3]- سورة النحل،الاية125.

ولا توجد آية واحدة في الكتاب الكريم تلزم بالجهاد الابتدائي لفرض الإسلام على الشعوب بحد السيف ابتداءً.

أما النصوص الواردة من طريق السُنة فهي متواترة بهذا المعنى.

والآخر: إن أحكام الجهاد التي فرضتها الشريعة الإسلامية هي واقعا دفاعية صرفة وليست على وجه الابتداء بفرض الإسلام بالقوة، والمثالين المتميزين الذين استند إليهما من قال بالجهاد الابتدائي هما معركتي بدر في السنة الثانية من الهجرة وحنين في السنة الثامنة من الهجرة .

أما معركة بدر، فكان تحرك المسلمين فيها لاسترجاع بعض أموالهم التي استولت عليها قريش واغتصبتها منهم، وتجاوزهم على حمى دولة المدينة بمرور قافلتهم من هناك فتعرض للقافلة القادمة من الشام لتحصيل بعض أموالهم مما تحملها. وعند فوت القافلة رجع المسلمون، ولكن قريش جاءت بما تحمله من طغيان وجبروت وأصرت على قتال المسلمين[1]، فكان لابد لهم من الدفاع عن أنفسهم فجرى ما جرى، وحصل على إثر ذلك ما غير وجه التاريخ على حد تعبير أحد المؤرخين الغربيين. فذروة الاستجابة الحقيقية كانت هنا تحديداً.

وأما بالنسبة لمعركة حُنين فحصلت بسبب تجمع المشركين في هذا الموضع وإعدادهم العدة للقضاء على الإسلام والمسلمين، فتوجه إليهم المسلمون لفض جموعهم ومنع ما ينوون فعله[2]. وهذا يُعدّ من وجوه الجهاد الدفاعي.

أما ما حدث من غزوات وفتوحات بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاءت على وجه الابتداء من دون التمسك بما أفادته الشريعة ، فلا ينبغي تحميل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) تبعات ما حصل خلالها مما يخالف تعاليمه السمحة البينة ولا ينبغي

[1]- ينظر: الواقدي، المغازي ، ج1، ص11 وما بعدها، الطبري، تاريخ الرسل ،ج2، ص 127 وما بعدها؛ الحلبي،السيرة الحلبية، ج2، ص 141- 150.

[2]- ابن هشام، السيرة النبوية،ج2،ص437 ؛ ابن حزم، جوامع السيرة، ج1، ص 236؛ الدياربكري،تاريخ الخميس،ج1،ص110.

تحميل الشريعة الإسلامية ما لم تحتمل من اجتهادات فردية وآراء شخصية لا تمت لأحكام الشريعة الحقة بصلة. والتفصيل موكول إلى مضانه.

خامساً: ذهب توينبي إلى أن الحضارة العربية الإسلامية قد دخلت مرحلة الانحلال منذ سقوط الدولة العباسية، وأنه لا جدوى من بعثها من جديد، ولا سبيل لأبنائها إلا التغرّب وتقليد الحضارة الغربية[1].

أقل ما يمكن أن يقال في نقضه، أن الحاصل كان على النقيض منه تماماً، متمثلاً بأقبال الملايين من أبناء حضارته على الإسلام وانضوائهم تحت رايته؛ فإنهم وجدوا فيه الحل الأمثل للإجابة على تساؤلاتهم المترتبة على حالة القلق والفراغ التي يتعايشون معها، ومن ثم وجدوا فيه الحل الأمثل لمشكلاتهم على جميع المستويات.

وهو أمر واضح جلي في عصرنا هذا، فضلاً عن الدراسات الغربية المحررة في ذلك، فقد وجدت أن الاسلام ينتشر في الأوساط الغربية بسرعة تثير الاهتمام، وبأعداد كبيرةعلى الرغم من الحالة الممنهجة المُعدة لتشويه صورة الاسلام وإظهاره على الضد مما يمثله واقعه الحقيقي[2].

ويبدو أن إغفال توينبي عما يمتلكه الاسلام من مقومات الحضارة، من وجود دستور كامل وهو القران الكريم الذي لا يمكن لأحد أن ينقضه أو يضيف عليه، وهو كتاب كامل بكل جوانبه لانقص فيه ولا عوج، فيه العلم والحكمة والعدالة ومكارم الأخلاق، ولايمكن أن يُعدل كما في الدساتير الوضعية، لتماميته وعصمته[3] .

كما أن في هذه الحضارة القائد الكامل المعصوم الذي يمكنه إدارة البلاد والعباد، بصورة إنسانية وعادلة وحكيمة، وبها تصل الدولة والمجتمع إلى حالة الرفاهية والازدهار بكل

---

[1]- توينبي ، بحث في التاريخ،ج1،ص475؛الملاح، المفصل،ص407.
[2]- احمد ، الاسلام والحركات الانسانية في اوربا،ص217؛ الزياري،انتشار الاسلام ،ص232.
[3]- بدوي ،الاخلاق بين الفلسفة والعلم ،ص16؛السحمراني،الاخلاق في الاسلام ،ص109.

مجالاتها فضلا عن وجود القضاء العادل والمنجز وهو أحد أركان التحضر المهمة جداً، وذلك لإدامة الأمن والاستقرار ومن ثم بعث القدرات والطاقات من غير خوف ولا وجل[1] .

كما أن للشرط الرابع والأخير لمقومات الحضارة المستديمة هي مسألة الرقابة؛ لذا كان النبي (صلى الله عليه واله) وبعض أصحابه من بعده على علم بأهمية الرقابة لحفظ أركان الدولة والمجتمع ومعاقبة كل من تسول له نفسه مخالفتها، وهذه تعد من مقومات الحضارة المستديمة وإن شابها بعض فترات الضعف، فسببه ابتعاد الخلفاء والحكام عن هذه الشروط وتخليهم عن الواجبات.

[1]- الزياري،انتشار الاسلام ،ص134.

تأسيس الدولة المغولية وانهيارها في ضوء نظرية التحدي والاستجابة

المبحث الأول

الجانب التطبيقي لنظرية توينبي في أفق الدولة الاسلامية

المبحث الثاني

التحدي المغولي واقعه ،اسبابه ،نتائجه

المبحث الأول

الجانب التطبيقي لنظرية توينبي في أفق الدولة الإسلامية

أشرنا في الفصل الأول إلى ما تقرر في الحكمة بأن كل فاعل (المغول) لابد له من قابل (دولة الخلافة العباسية) وإلا فلم تكن لتخرج حركة المغول من وعاء القوة إلى الفعل، فكان لابد من إعمال مفاد نظرية توينبي على الواقع الإسلامي قبل إعماله على حركة المغول لتوقف هذه الحركة على ذلك الواقع.

وكنا قد بينا ما قرره توينبي بنظريته في فلسفة التاريخ وأن هذه النظرية تستند إلى ركيزة أساسية، وهي أن نشوء الحضارات ونموها وارتقائها، إنما يتحقق بعد نجاح الأقلية المبدعة من أفرادها في تقديم استجابة ناجحة عقب حالة التحدي الفاعلة التي تجاوزوا بها الصعوبات والظروف القاهرة التي واجهتهم.

وحتى تكون الاستجابة المترتبة على التحدي ناجحة فعلاً، ينبغي ديمومة هذا التحدي بصورة متواصلة ومتكررة على المدى البعيد، ومثّل ذلك بحركة العجلة المتأتية من حركة دواليبها[1].

كما أفادتنا نظرية توينبي في التحدي والاستجابة، بأن السبب الرئيسي لانهيار الحضارات وتحللها هو تلبس الأقلية المبدعة بحالة من الارتخاء والدعة، وإقبالها على الاستمتاع بالملذات والعيش الرغيد، وتحولها إلى أقلية مغرورة متكبرة، وتوقفها عن مواصلة التحدي[2].

ولا يخفى أن توقف هذه الأقلية عن تقديم استجابات ناجحة متواصلة يُعد بداية دخول الحضارة القائمة مرحلة الانهيار الحضاري الحتمي فعلاً، ولو استغرق ذلك قرون عدة ،

[1] - توينبي، مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص 425؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ ، ص٣٩١-٣٩٣.
[2] -توينبي، مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص411 و ج2،ص410؛الدوري،فلسفة التاريخ،ص77؛ ؛صبحي،في فلسفة التاريخ،ص271.

وفي ضوء نظرية التحدي والاستجابة يمكن تمييز فترة الاستجابة الناجحة للدولة العباسية بحسب الاستقراء التام بحدود قرن من الزمان .اذ بدأ الانهيار في موت الواثق سنة 232هـ وتولي المتوكل للخلافة[1].

ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول بأن بداية دخول الدولة العباسية مرحلة الانهيار الحضاري كانت مع بداية تولى المتوكل الخلافة لما ترتب على الخطوات التي أقدم عليها والقرارات التي اتخذها في الحد من فاعلية الأقلية المبدعة الحقيقية، وتعطيل نشاطها عن تقديم استجابات ناجحة متواصلة، ومن ثم أفول بريقها.

وفي ما يأتي جملة من هذه الخطوات المعتمدة والقرارات السلبية المتخذة المثبطة لديمومة حركة المبدعين لمواصلة تقديم استجابات ناجحة في ضوء المعطيات التي أجملنا الكلام عليها في الفصل الأول:

أولاً: تقويض حركة العقل العربي والإسلامي التي ازدهرت في العصر العباسي (عصر الاستجابة الناجحة) وذلك بإبعاد أهم أقطاب الأقلية المبدعة، وهم المفكرون وأقطاب العلوم الصرفة، كالرياضيات والهندسة والفلك والمنطق والعلوم الطبيعية والتجريبية، والنفس والعلوم التربوية وغيرها من العلوم الضرورية عن ساحة التأثير في سيرورة الحركة العلمية، بل جرى محاربة المبدعين وسجنهم وضربهم بالسياط وقتلهم، وحرق نتاجاتهم العلمية وإتلافها، ونبزهم بالمروق من الدين، واتهامهم بالزندقة، وتشويه غايتهم العلمية، والتشهير بهم بأنهم أصحاب صنعة يريدون تحويل النحاس إلى ذهب ، ومن ذلك ما جرى على الحكيم المتبحر والعالم الكبير أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي فقد جلد وسجن، ونهبت مكتبته العامرة، وإتلف نتاجه الفكري والعلمي[2]، وهذا أفضل شاهد على صحة ما أفدناه، كما تقدمت الإشارة إليه في الفصل الأول، وكذا الحال ما جرى مع أعلام المعتزلة ومفكريهم وغيرهم من أعلام الأمة.

[1] -الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج9،ص150؛ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج6،ص109؛شبر، خلفاء بني العباس،ص175.

[2] - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج1،ص287 حسن،تاريخ الاسلام،ج3، ص10؛أبوريدة ،رسائل الكندي ، ص٢١٣ ؛فروخ ،صفحات من حياة الكندي ، ص ٣٢ – ٣٣ .؛.

وفي الوقت نفسه، قام الخليفة المتوكل بتقريب رؤوس الجمود الفكري من مقلدة أهل الأثر وحشوية أهل الحديث وتسليمهم زمام الحركة العلمية، فحلت على حركة العقل العربي والإسلامي العتمة وأصاب نشاطها الأفول[1].

وقد وصل تأثير هذه الفئة على الناس إلى حد قيامهم بوضع الشعير والماء على سطوح منازلهم مساءً لإطعام حمار الرب وسقيه (جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً) لاحتمال نزوله على سطح أحدهم، بناء على ما يفيده حديث مكذوب رووه، بأن الله- جل وعلا- ينزل في الثلث الأخير من الليل على حمار أورق، وفي لفظ: جمل أورق[2].

ومما يزيد تأثير هذا المنهج سوءاً أن المتوكل كان لا يقطع بمعظم الأمور من دون استشارتهم والأخذ بما يقضون به.

ومن المسائل المهمة الأخرى ذات الأثر الخطير التي روج لها هؤلاء، هي نشرعقيدة القضاء والقدر الحتمي والمبرم الذي لا سبيل لدفعه، وأن الإنسان ليس له أي تأثير في فعله وجردوه مما جُبل به بحسب فطرته من حالة الاختيار، فكان هذا المعتقد من أهم الأمور السلبية التي قوضت حركة الإبداع والوقوف بوجه المصاعب وتعطيل محاولة التغلب عليها بدعوى أن في ذلك اعتراض على حكم الله تعالى، ومخالفة لقضاء الله وقدره كما يزعمون[3].

ومما يؤسف له أن أثر مثل هذه الأفكار باقٍ حتى يومنا هذا، ولا سيما من جهة تأثيرها على عدم تقديم تحدّ متواصل لديمومة استجابات ناجحة حتى في أشد الظروف حرجاً وحاجة إليها.

ثانيا: لم يقتصر دور المتوكل على إبعاد أهم عناصر الأقلية المبدعة أعني أصحاب العقول المبدعة والأفكار المنتجةعن نطاق التأثير في تقديم استجابات ناجحة متواصلة، كما أفدناه في

---

[1] - المسعودي ،مروج الذهب،ج2،ص369؛حسن،تاريخ الاسلام،ج3، ص10-12.
[2] - ابن عساكر، تبيين كذب المفتري، ص311؛ أبو زيد، المنابع المذهبية ، ص ٢٨٨.
[3] - الآجري، الشريعة، ص180؛ الفراء، طبقات الحنابلة، ج1، ص29-38؛الفراء، الاعتقاد، ص31؛الورد، العقيدة، ص٧٥-٧٦.

المورد السابق، بل قام بإبعاد النخبة الفاعلة، من الوزراء والمستشارين والقادة العسكريين من أصحاب الكفاءة والتدبير الحسن والإدارة الجيدة والإيالة النافعة، وقرب العنصر التركي وولاهم زمام هذه الوظائف، وسلمهم مفاصل الدولة، وهؤلاء يمتازون بالغلظة والجفاء وسوء التعامل مع العامة[1].

وهذا الأمر وإن كانت بوادره في أواخر عهد المعتصم، إلا أن عظم تأثيره كان في عهد المتوكل.

ولعظم شر هؤلاء وتهورهم وسوء معاملتهم مع الناس كثرت الاضطرابات في بغداد، فتقرر نقل عاصمة الخلافة إلى سامراء، وهذه الخطوة وإن خففت الرهج في بغداد إلا أنه ترتب عليها أسوأ الآثار على المدى البعيد، ولا سيما بعد تمكن العنصر التركي من النفاذ إلى حواصل الخلافة برمتها، ولاسيما قيادة الجيوش وإدارة الدولة، وأصبح الخليفة يتبع المقررات التي يصدرها هؤلاء، ورهين الخطوات التي يتخذونها، ناهيك عن ثقل الأعباء المالية الهائلة التي أفرغت خزينة الخلافة، فبناء عاصمة جديدة بكل مرافقها ولوازمها تصلح لدولة كالدولة العباسية في ذلك الوقت ليس بالأمر الهيّن[2].

فترتب على هذا الأمر أفول نجم الأقلية المبدعة التي كانت تحسن إدارة شؤون الدولة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعيا وتربوياً، بمقتضى ما ترتب على إبعادها عن ساحة التأثير.

ثالثا: إقبال المتوكل ومعه الأقلية التي اعتبرها مبدعة على اللهو والمجون والعبث والانغماس في الملذات حتى أصبح ديوان الخلافة محلا للهو والعبث والمجون، وعامراً

---

[1] - المسعودي،مروج الذهب،ج3،ص35؛ابن الجوزي، المنتظم،ج6،ص418؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج6،ص147؛ابن العبري،تاريخ مختصر الدول،ص14؛شبر، خلفاء بني العباس والمغول ،ص183.

[2] - ينظر: ابن قتيبه ، المعارف،ص30 ؛البَلَاذري،فتوح البلدان،ج1،ص292؛الدينوري ، الأخبار الطوال،ج1،ص401؛المسعودي،مروج الذهب،ج3،ص38 ؛المقدسي، البدء والتاريخ،ج6،ص114؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ،ج19،ص78.

بالملهين والعابثين والشاذين وكل مسخرة، حتى أصبح (عبادة المخنث) من أقرب الناس للخليفة ومن وجهاء الأقلية المبدعة.

وكان عبادة هذا يشد على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنّون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين يحكي بذلك علياً (عليه السلام) والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفا منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين! إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو أبن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك، فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكل للمغنيين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمه ... [1]

ومن أفعاله القبيحة التى سببت نفوراً عاماً عند المسلمين ولاسيما الشيعة، إقدامه على حرث قبر الحسين (عليه السلام) ومحوه وإخراب ما حوله وإجراء الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجهوا به إليه، فقتله أو أنهكه عقوبة[2].

وأقدم على قتل العالم الكبير ابن السكيت [3]فريد عصره في اللغة والأدب والبيان، وكان قد الزمه تعليم ولده، فقال له يوماً: أيها أحب إليك إبناي هذان (المعتز والمؤيد) أو الحسن

---

[1] -ابو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين ، ص٤٧٨-٤٧٩؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٢٣؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص٢٣٤ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٣٥؛ الورد، شبهات السلفية ، ص٧٨-٧٩.

[2] - الطبري ، تاريخ الملوك الرسل، ج٥ ص٣١٢؛ابو الفرج الاصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٧٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج ٦، ص١٠٨؛ الورد، شبهات السلفية ، ص ٧٧-٧٨.

[3] - ابن السكيت :شيخ العربية ، أبو يوسف ، يعقوب بن إسحاق بن السكيت ، البغدادي(186-244هـ/802-858م) إمام من أئمة اللغة العربية مؤدب وعالم نحوي واديب شهير وراو امامي من أصحاب الاماميين الجواد والهادي عليهما السلام، مؤلف كتاب " إصلاح المنطق " ، دين خير ، أخذ عن : أبي عمرو الشيباني ، وطائفة .ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء،ج12،ص17؛الزركلي ،الأعلام،ج8،ص195.

والحسين؟ فقال له والله إن شسع نعل قنبراً-خادم علي بن أبي طالب (عليه السلام)-أحبُّ إليَّ من ولديك ، فقال المتوكل للاتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا، فمات [1].

وأمر بضرب نصر بن على الجهضمي[2] أحد رجال الصحاح الستة ألف سوط لأنه حدّث بحديث وهو صحيح أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ بيد حسن و حسين وقال: **"من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان في درجتي يوم القيامة" حتى كلمه جعفر بن عبد الواحد وجعل يقول له: هذا من أهل السنة، فلم يزل به حتى تركه"**[3].

واستمر حال المتوكل وأقليته المبدعة المتنفذة على هذا النحو من العبث والمجون والتهور والاستهتار إلى أن أقدم ابنه المنتصر على قتله[4].

وقد ذكر في سبب قتله أنه سمعه يوما يشتم فاطمة بنت رسول الله (عليهما السلام) ، فسأل أحد الفقهاء ، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا أن من قتل أباه لم يطل عمره، فقال المنتصر: لا أبالي إذا أطعت الله بقتله أن لا يطول عمري، فقتله وهو سكران ومعه الفتح بن خاقان، فعاش بعده سبعة أشهر [5].

هذه بعض الصور الموحشة التي حفظتها لنا صحائف التاريخ، وإلا فغيرها كثير، ولاسيما من جهة استهتاره ومجونه، بل حتى شاع الشذوذ في قصره .

والحق أن بداية نهاية الدولة الإسلامية كانت من هاهنا، فيكون مصداقاً لقول توينبي المتقدم "إن السبب الرئيسي لانهيار الحضارات وتحللها هو إقبال الأقلية المبدعة على حالة الارتخاء والدعة وتحولها إلى أقلية مغرورة متكبرة، وأن توقفها عن تقديم استجابات ناجحة

---

[1] - ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج٦ ، ص ٣٩٩-٤٠٠؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء ، ج١٢، ص ١٨؛ الورد، شبهات السلفية ، ص ٧٩ .

[2] - نصر بن علي بن صهبان بن أبي أبو عمرو الأزدي الجهضمي البصري الصغير ، وهو حفيد الجهضمي الكبير، الحافظ العلامة الثقة احد أوعية العلم ،توفي لأيام بقين من شعبان، سنة خمسين ومائتين.ينظر: ابن حبان ، الثقات ،ج 8،ص471؛الذهبي ،سير اعلام النبلاء،ج12،ص134.

[3] - ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج١٠ ، ص٤٣٠.

[4] - المسعودي،مروج الذهب،ج3،ص38؛ شبر، خلفاء بني العباس والمغول ،ص175.

[5] - ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة ، ج٣ ، ص ١٢٣ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج١٢ ، ص ٣٥؛ الورد، شبهات السلفية، ص٧٩ .

متواصلة يعد بداية دخول الحضارة مرحلة الانهار الحضاري ولواستغرق ذلك قرون عدة"[1].

واستمر الحال على هذا النحو من السيرورة، بل زاد سوءاً في وجهته نحو الانحلال والانهيار الحتمي.

نعم كانت هناك محاولة من الخليفة الناصر لدين الله الذي تولى الخلافة سنة(٥٧٥ هـ-٦٢٢هـ) لإرجاع الأمور إلى وجهتها الصحيحة، وقد حاول جاهداً بإعادة الهيبة للخلافة من وجوه عدة، ونجح بنسبة ما، ولاسيما من جهة النهوض بالعقول المبدعة من جديد إذ كان نفسه فقيهاً مجتهداً، وعالماً كبيراً، ومحدثاً ثقة، روى عنه ابن طاووس، وابن النجار، وأجاز لجماعة من الأئمة وكبار المحدثّين، فكانوا يحدثون عنه في أيامه، وله كتاب "روح العارفين" قرئ بجوامع مدينة السلام وبغيرها[2] ولكن الأحوال كانت قد بلغت من السوء والاضطراب مبلغاً بحيث يصعب واقعاً إعادة شؤونات الدولة إلى مسارها الصحيح، ولما مات عادت الأمور إلى ما كانت عليه من السفل والانحطاط، بل بأسوء مما كان، ولا سيما بعد تولى المستعصم الخلافة سنة ٦٤٠هـ /1242م[3].

وسنذكر كلام ابن العبري (٦٢٣هـ-٦٨٥هـ) المعاصر لأحداث تلك الفترة عن تصرف الخليفة المستعصم- رأس الأقلية المبدعة بحرفه لما فيه من كاشفية عن بلوغ الحال إلى أدنى مراتب السوء والانحطاط، على الرغم من الموقف الحرج الذى اعترى الأمة.

قال : **"وكان صاحب لهو وقصف، شغف بلعب الطيور واستولت عليه النساء، وكان ضعيف الرأي قليل العزم كثيرالغفلة عما يجب لتدبير الدول، وكان إذا نُبّه على ما ينبغي أن يفعله في أمر التتار، إما المداراة والدخول في طاعتهم وتوخي مرضاتهم أو تجيّش العساكر وملتقاهم بتخوم خراسان قبل تمكنهم واستيلائهم على العراق، فكان يقول أنا بغداد تكفيني ولا يستكثرونها لي إذا نزلت لهم عن باقي البلاد،**

---

[1] - توينبي،مختصردراسة للتاريخ،ج1،ص413..

[2] - ينظر: ابو زيد،المنابع المذهبية، ص251.

[3] - آخر خليفة عباسي كان رجلا ضعيفا سيطر عليه رجال السوء، قتله المغول عندما دخلوا بغداد سنة 656هـ/1258م . ينظر :أبو الفدا، المختصرفي اخبار البشر، ج3، ص203.

ولا أيضاً يهجمون عليّ وأنا بها، وهي بيتي ودار مقامي، فهذه الخيالات الفاسدة وأمثالها عدلت به عن الصواب فأصيب بمكاره لم تخطر بباله"[1].

ونحن لو تدبرنا في ما يفيده هذا النص، فإنا لا نجد ما هو أسوء من جواب الخليفة، حتى مع فرض أنه قد اعتراه مسّ أو شيء من هذا القبيل.

رابعاً : إن تحول الأقلية المبدعة بحسب الظاهر إلى أقلية مسيطرة على مراكز القوة في الدولة، وهي تحذو حذو الخليفة في قلة العزم والغفلة وسوء التدبير والانغماس في الملذات وإقبالها على اللهو وصنوف الرذائل عجّل في القضاء على الدولة، ولاسيما إذا أخذنا في نظر الاعتبار شياع ثقافة السكوت على تصرفات ولي الأمر عند العامة، حتى لو كان ظالما فاسقاً فاجراً جائراً، وهذا أمر في غاية السلبية، وهو مما ورثه حشوية أهل الحديث لعوام الناس بعد إضفاء الصبغة الشرعية على الاعتقاد به.

خامساً: بينا في الفصل الثاني في ما أفاده توينبي بخصوص توقف عامة الناس عن الإعجاب بالأقلية المبدعة ومحاكاتها والانقياد لها عندما تتحول إلى أقلية متسلطة جائرة عابثة بمقدراتهم، ومن ثم تؤول الأمور إلى معاداتهم ورفض الوقوف إلى جانبهم ورفدهم عند الشدائد.

وهذا ما حصل فعلاً عندما استحكم العداء بين السلطان علاء الدين خوارزم شاه وبين الخليفة الناصر لدين الله لسعي السلطان لاحتلال بغداد والحجر على الخليفة أو الاطاحة به؛ لعدم حصوله على ما كان للسلاجقة ببغداد من مكاسب ونفوذ سياسي وغيره، وحصلت بينهما حروب، فحمل هذا الأمر سائر طبقات المسلمين على الإحجام من تقديم المساعدة للخوارزميين عند اجتياح المغول لأراضي دولتهم لأن أغلبهم كان يعتقد بشرعية الخليفة العباسي وعدم جواز مقاتلته[2].

---

[1] - تاريخ مختصر الدول، ص ٤٤٥ – ٤٤٦ .

[2] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج10،ص300؛الذهبي ، العبر ،ج3،ص161؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،ج6،ص260؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص٩٥.

ناهيك تقاعس عموم الناس عن نصرة خوارزم شاه ونفورهم من حكم الخوارزميين لما لاقوه منهم من ظلم و جور، وتماديهم في الاعتداء على رعاياهم، وابتزازهم وسلب أموالهم بطرق غير مشروعة، وهتك حرماتهم، فضلاً عن التطاول عليهم والتعامل معهم بدونية لأسباب مآلها التمايز القومي والعنصري كما تقدمت الإشارة إليه[1].

فلذلك تَرك جيش السلطان علاء الدين خوارزم شاه يواجه المغول لوحده، فترتب على ذلك أسوء العواقب عليه وعليهم، بل على الأمة بأسرها.

سادساً: ظهور البروليتاريا: إن من أهم موارد إعمال نظرية توينبي في فلسفته للتاريخ على موضوعنا، هو ما قرره كما بيناه في ما تقدم بأن الأقلية المبدعة إذا توقفت عن الإبداع وتحولت إلى أقلية مسيطرة، ونضب معينها في تقديم استجابات ناجحة متواصلة، تنتهي معها حالة إعجاب الأغلبية غير المبدعة بهم وتتوقف عن تقليدهم، بل تكون في موضع عدم ثقة ونفور وانتقاد[2].

وإذا وصلت الأمور إلى هذا المنحى، فمن الطبيعي أن تبرز حالة الانشقاق في صفوف الأغلبية التى تفتقد لما تتمتع به الأقلية من امتيازات ومكاسب .

فإذن يتحول الإعجاب والتقليد إلى معارضة وتصدع وانشقاق، ومن ثم الوصول إلى المقاومة والصراع العنيف، كما تقدم بيانه، وقد قسم توينبي البروليتاريا المنشقة إلى قسمين:

القسم الأول: البروليتاريا الداخلية: وتتمثل بعموم المجتمع الذي حرم من أدنى مما يستحقه من حقوق بمقتضى انتمائه المجتمعي، فظروف القهر والذل والحرمان التي نالتهم من الأقلية المتسلطة، وشمولية الفساد المستشري في مفاصل الدولة بأسرها أوقدت عندهم نار الفتن والتمرد والصراع مع هذه الأقلية داخل المجتمع الواحد. ومع إصرار الأقلية على فرض سيطرتها بالقهر والقوة والإذلال زاد إصرار الأغلبية على رفض الخضوع لسلطة الأقلية

[1] - فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص96.
[2] - توينبي،مختصردراسة للتاريخ،ج1،ص412.

والتمرد عليها ومحاربتها، ومن ثم إقدامها على التفرد باتخاذ كيانات مستقلة لها، ونجاحها بفرض سيطرتها على أقاليم واسعة من الدولة العباسية والاستقلال بأنفسها[1] .

ومن ذلك قيام الدولة الزيدية[2] في اليمن واستقلالها عن سلطة الخلافة بعد قيامها بثورات عدة إلى أن تحقق لها النجاح. وقيام الدولة الإدريسية في بلاد المغرب العربي[3] ، وترتب عليه من بعد قيام الدولة الفاطمية فى مصر[4] ، ونجاحها في الاستقلال عن الخلافة العباسية بالكلية وقيام الخلافة الفاطمية في قبالها، وأسست مدينة القاهرة وجعلتها عاصمة لخلافتها في قبال بغداد. وعلى أنقاضها جاءت الدولة الأيوبية[5].

ولا يختلف الحال كثيراً في البلدان والأقاليم الواقعة في مشرق الدولة العباسية، فكذلك استقلت كثير منها بأمرها ولم يبق من رسم الخلافة إلا ذكر الخليفة في خطبة الجمعة، وأحياناً لا يذكر ومن ذلك قيام الدولة الحمدانية في الموصل والشام[6] ، والدولة البويهية في بلاد فارس والعراق[7] ، والدولة الغزنوية في خراسان وما أحاط

---

[1] - توينبي،مختصردراسة للتاريخ،ج1،ص413.

[2] -الدولة الزيدية: (280-298هـ/893-911م)اسسهاالحسين بن القاسم الرسي،ثم تتابعت ذريته على حكم اليمن . ينظر:ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج4،ص15؛ العصامي،،سمط النجوم،ج3،ص539؛ احمد،قيام الدولة الزيدية،ص57.

[3] -الدولة الادريسية:تأسست على يد ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى (172-375هـ/788-985م)،قضى عليها حكام الاندلس الامويين.ينظر : الطبري،تاريخ الرسل والملوك،ج10،ص29؛الذهبي ، العبر،ج4،ص15؛حسن ،تاريخ الاسلام،ج2،ص182.

[4] -الدولة الفاطمية: أسسها عبيد الله المهدي في بلاد المغرب سنة297هـ/909م ثم توسعت الى مصر واعلن الخلافة الفاطمية فيها ،وسقطت على يد الايوبين سنة567هـ/1171م. ينظر:ابو المحاسن ،النوادر السلطانية،ص44؛حسن ،الدولة الفاطمية،ص193.

[5] - الدولة الايوبية: اسسها صلاح الدين الايوبي بعد اسقاط الدولة الفاطمية سنة567هـ/1171م ، وانتهت سنة648هـ/1250م بقيام دولة المماليك. ينظر:ابن الاثير، الكامل،ج10،ص139؛ ابو المحاسن، النوادر السلطانية،ص52ابن خلكان،وفيات الاعيان،ج6،ص166 ؛حسن ،تاريخ الاسلام،ج3،ص105.

[6] - الدولة الحمدانية :اسسها ناصر الدولة الحمداني سنة308هـ/930م،قضى عليها الفاطميون سنة481هـ/1003م.ينظر: البلاذري،فتوح البلدان،ص187؛ابن الاثير،الكامل،ج9،ص42؛ السامر،الدولة الحمدانيةج1،ص55.

[7] -الدولة البويهيه : قامت في الري وهمذان ، ثم هيمنوا على الخلافة العباسية قرابة مائه وعشرون سنه (334-454هـ/934-1062م) ،وزالت دولتهم على يد السلاجقة. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم،ج8،ص241؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج7،ص206؛ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون،ج3،ص421؛السيوطي ،تاريخ الخلفاء،ص399؛شبر، خلفاء بني العباس والمغول ،ص183.

بها[1] ، ثم الدولة السلجوقية[2] التى وصلت أطنابها إلى بغداد- وهؤلاء عم شرهم القاصي والداني- حتى وصلت النوبة إلى الدولة الخوارزمية التى أهلكت الحرث والنسل[3]. وبسبب سوء إدارتها وقبح أفعالها آل الأمر إلى انهيار الدولة الإسلامية والقضاء على الخلافة العباسية، كما تقدم بيانه.

ولا يخفى على المتتبع أن هذه الدول التي استقلت بأنفسها مرت بالأدوار نفسها التى مرت بها الدولة الأم ، فإنها تمكنت من رفع حالة التحدي من القوة إلى الفعل (النجاح) فتمكنت أقليتها المبدعة من تقديم استجابة ناجحة.

وكما حصل مع الدولة الأم عندما ركنت أقليتها المبدعة إلى الدعة والارتخاء، كذلك حصل الأمر مع هذه الدول؛ إذ توقفت أقليتها المبدعة عن تقديم استجابات ناجحة وانغمست في الملذات ، فكان ذلك مدعاة لانهيارها ثم القضاء عليها، كما هو مفصل في كتب التاريخ.

القسم الثاني: البروليتاريا الخارجية :

وهذه تأتي من خارج حدود الدولة وتتخذ لها سبيل الغزو والعنف لتحقيق أهدافها كما قرره توينبي[4]، ولاسيما مع قصور الحالة الابداعية عند الأقلية. فإن الفوارق الحاصلة بين المجتعمات في الرقي والتمدن والعمران والثراء وغيرها من موجبات التقدم والتحضر تكون

---

[1] -الدولة الغزنوية : اسسها ألبتكين سنة 351 هـ / 962 م ومن بعده زوج ابنته اسبكتكين الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة حيث استطاع عند سلطانه في الشرق وفارس واجزاء كبيره من الهند والبنجاب وبلاد الافغان ، زالت على يد الغوريين سنة 582هـ/1136 م .ينظر : ابن الاثير ،الكامل ،ج 8 ،ص 247؛حسن ،تاريخ الاسلام، ج 3،ص 92 .

[2] -دولة السلاجقة (439-552هـ/1038-1157م)ظهروا في شمال فارس ثم توسعو على حساب الغزنويين حتى دخلو بغداد بطلب من الخليفة العباسي فحلوا محل البوييهين في السيطرة على سلطة الخلافه ،وبموت السلطان احمد سنجر افل نجم السلاجقة وتحول ملكهم الى اتابكيات (دول الاتابكه).ينظر : الخطيب البغدادي ،تاريخ بغداد ،ج 9 ، ص 399؛ابن الاثير ،الكامل في التاريخ ،ج 9 ،ص 179؛ حسن ، تاريخ الاسلام ،ج 4 ،ص 61 .

[3] -الدولة الخوارزمية: (270 -628هـ/1177-1231م)نشأت دولتهم في بلاد خوارزم كتابعين للسلاجقة للسلاجقة اول امرهم ثم توسع سلطانهم بين نهري الكنج ودجله ،حتى انتهت دولتهم على يد المغول سنة 628 هـ/1231م .ينظر : ابن الاثير ،الكامل ،ج 11 ، ص 23 وما بعدها ؛حسن ، تاريخ الاسلام ، ج 4 ، ص 93- 101.

[4] - مختصر دراسة للتاريخ ، ج١ ، ص٤١٣ .

مدعاة لعدم بقاء المجتمعات الفاقدة لكل ذلك على سكونها وترفض القبول بواقعها الذي يكتنفه التخلف والانحطاط والحرمان والعوز لذلك فإنها تنتهز أي فرصة مؤاتية تسمح لها بالانقضاض على الدولة المتحضرة والمزدهرة، ومن ثم القضاء عليها وعلى مكتسباتها[1]، وقد واجهت الدولة العباسية حالتان من هذا القبيل:

الأولى: الغزو الصليبي لبلاد الشام، ولا سيما الساحل الشامي وفلسطين ومن ثم احتلال بيت المقدس سنة ٤٩١ هـ [2]. وقد بقيت القدس تحت رحمتهم حتى سنة ٥٨٢ هـ عندما تمكن صلاح الدين الأيوبي من فتحها بعد محاصرتها، ومن ثم الاتفاق مع الصليبيين على عقد الصلح مع صلاح الدين والخروج منها[3] .

ولما كانت الدولة الأيوبية تمر بمرحلة التحلل بعد تسري الفساد في مفاصلها، لم يستثمر هذا النصر لما فيه مصلحة الدولة الإسلامية، ولم يكن نصراً مؤزراً، فقد ترتب على صلحه أن تنازل للصليبيين من يافا إلى عكا وإلى صور وطرابلس وإنطاكيا وحيفا والرملة واللد [4].

ونتيجة لفشل الأقلية المبدعة في الدولة الأيوبية في تقديم استجابات ناجحة، وتحولها إلى أقلية مسيطرة مستبدة، قسم صلاح الدين دولته بين أولاده وإخوته وأهل بيته[5].

فكانت النتيجة أن احتدم التنافس بينهم على الملك واستعان بعضهم بالصليبيين على بعضهم الآخر، وتنازلوا عن المدن واحدة تلو الأخرى إلى أن سلموا بيت المقدس إلى

---

[1] - مختصر دراسة للتاريخ ، ج١ ، ص٤١2 .

[2] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج8،ص416؛المقريزي ،السلوك،ج1،ص355 .

[3] - ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ،ج10،ص37؛ابي شامة،عيون الروضتين،ج3،ص333؛المقريزي ،السلوك،ج1،ص210 .

[4] - ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة ، ص١٧٣-١٧٨و٢٥٦؛ المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج٢ ، ص ٢٣٥ ؛ الورد، شبهات السلفية من ٨٩-٩٠ .

[5] - أبو الفدا ، المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص٨٧ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٦.

الصليبين سنة٦٢٦ هـ [1].والأخرى: الغزو المغولي للدولة الإسلامية، ونجاح المغول في القضاء على الخلافة الإسلامية، وهذا ما سنبينه في المبحث الآتي .

[1] - ابن الاثير ، الكامل، ج١، ص٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص١٠٤؛ أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر، ج٣ ، ص١٤١؛ الورد، شبهات السلفية ، ص٩٠.

المبحث الثاني

التحدي المغولي واقعه ،اسبابه ،نتائجه

المبحث الثاني

التحدي المغولي، واقعه، أسبابه، نتائجه

قبل الخوض في الجوانب التطبيقية لنظرية التحدي والاستجابة على حركة المغول وما ترتب عليها من آثار- سلباً وإيجاباً- لا بد من الإشارة إلى المعطيات التى فرضها الواقع المغولي على مجمل الأصعدة، ولاسيما القبلية والعنصرية والاقتصادية والاجتماعية والطبيعية وغيرها، ومن ثم تناولها في ضوء فلسفة توينبي للتاريخ.

المطلب الأول: الأحوال السائدة عند المغول قبل حركتهم:

فيما يأتي مجمل لأهم الأحوال السائدة عند المغول قبل انبعاثهم قبلياً واجتماعياً وجغرافياً واقتصادياً وسياسياً وغير ذلك من شؤوناتهم المعدة لإعمال نظرية توينبي عليها.

أ: الانتماء القبلي:

على الرغم من رجوع المغول والتتر إلى العنصر التركي على الأقوى وكذا الحال بالنسبة لباقى القبائل التي ترجع لهذه الأرومة، إلا أن ولاءها كان للقبلية فحسب، وكان العداء في ما بينها مستحكم، والصراع مستمر والاقتتال بينها هو الحالة السائدة في معظم الوقت[1].

وأهم هذه القبائل: التتر: وهي أكبرها وتضم قبائل عدة تتفرع منها. والقيات: وهي القبيلة التي ينتمي إليها جنكيزخان . والمركيت: وهي تعد من أقوى القبائل المغولية. والكرايت: وعدت من أقوى شعوب منغوليا ذات الأصول التركية، والنايمان: وهم من قبائل الترك

[1] - ابن الأثير، الكامل، ج10، ص335، ج1، ص333؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص81؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ج1، ص212 ؛ تاريخ البناكتي، ج1، ص400؛ الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، ص14.؛ قداوي، المغول في الموصل، ص36 ؛كرد، خطط الشام، ص109؛ النجار، امبراطورية المغول، ص30 .

الرحّل الذين عرفوا بعدائهم الشديد لجنكيز خان، والايغور: وهم أكثر الأتراك والمغول تمدنا، والقراخطائيين وغيرهم من بقية القبائل[1]، كما تقدم بيانه في الفصل الأول.

و قد جرت محاولات عدة لتوحيد هذه القبائل إلا أن مصيرها كان الفشل؛ لشدة العداء المستحكم بينها، ولم ينجح في توحيدها إلا جنكيز خان، إما ترغيباً أو بإثارة انتمائهم العرقي أو بحد السيف، وهو الغالب[2] .

ب: الطبيعة الجغرافية:

تتميز الأراضي الذي استوطنها المغول والتتر ومعظم القبائل التركية- إجمالاً- بوعورة أراضيها وحزونتها؛ لكثرة جبالها الصماء، وهضابها الجرداء، ولاسيما هضبة التبت موطن الغالبية العظمى من التتر، وتعد من أوسع هضاب العالم مساحة، ناهيك عن قلة مواردها المائية[3].

أما المناطق السهلية، ولاسيما سهول منغوليا التى عاش فيها المغول، فهي تؤلف جزءاً من هضبة آسيا الوسطى والشرقية إلى شمال صحراء جوبي بين بحيرة بيكال غرباً وجبال خنجان على حدود منشوريا شرقا، حيث تشكل الجبال المحيطة بها حاجزاً منيعاً عن الأقاليم الصينية وسيبريا[4].

وقد تنوعت مظاهر التضاريس الطبيعة في الأقاليم التي اتخذتها قبائل التتر والمغول مناطق سكنى لهم- منغوليا، والتبت، وشمال الصين- بين جبال شاهقة متصلة ببعضها بين

---

[1] - الجويني، جهانكشاي، ج1، ص62؛ فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ ،ج1، ص313؛ ابن سباط، تاريخ ابن سباط، ج1، ص257؛ إقبال، تاريخ المغول، ص45؛ العريني، المغول، ص10؛ الصياد، المغول، ص33؛غنيمات، قبائل المغول، ص98 ؛ النجار، امبراطورية المغول، ص38.

[2] - ينظر : الباز، المغول، ص39؛ بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد، ص21- 28؛غروسيه، جنكيزخان، ص15- 32.

[3] - شبولر، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص19؛ الفقي، الدول المستقله في المشرق الاسلامي، ص 168.

[4] - الصياد،المغول،ص31؛مؤنس ،اطلس ،ص228؛مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية، ص ٣٣-٣٤.

الصين والتبت، وسهول جرداء منتشرة ، وصحاري منبسطة واسعة، وقد ذكر البيروني[1] بأنها **"قليلة الماء كثيرة الجبال صعبة المعيشة"** .

ومن هذه السلاسل الجبلية الشهيرة سلسلة جبال قراقورم التي تبدأ من جنوب غرب شينجياغ بالصين وتمتد باتجاه الشرق حتى شمال التبت، ثم تغير اتجاهها نحو الجنوب الشرقي، ويزيد ارتفاعها على ستمائة متر فوق مستوى سطح البحر وتقع قراقورم- عاصمة المغول- في وسطها تقريباً، فهذه الطبيعة القاسية جداً جعلت المعيشة فيها في غاية الصعوبة[2].

أما بالنسبة لهضبة التبت، فهي من أكثر هضاب العالم مساحة وأعلاها ارتفاعاً، إذ يزيد ارتفاعها على اثني عشر ألف قدم، وتضم قمم جبلية عدة ، وأما بالنسبة لجبال الهملايا، فهي سلسلة تضم قمم جبلية عدة شاهقة الارتفاع، ولاسيما قمة إفرست التي يبلغ ارتفاعها نحو تسعة آلاف متر فوق مستوى سطح البحر[3].

وبذلك يتبين لنا أن السلاسل الجبلية منتشرة بداخل منغوليا في الأجزاء الغربية والجنوبية الغربية، وتوجد في الأجزاء الشمالية والشرقية.

ونجد كذلك أن الجبال والتلال والنجود تغطي الجهات الغربية، والجنوبية الغربية، والوسطى والشرقية[4]، وما تبقى من بلاد المغول عبارة عن سهول عشبية تخبو شتاءً وتجف

---

[1] - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، ص١٥٨.

[2] - الجويني،جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم)،ج1،ص74؛ الرمزي،تلفيق الاخبار،ج1،ص347؛ الدباغ، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية،ص43 – 49.

[3] - شبولر، العالم الاسلامي في العصر المغولي، ص19؛ الفقي، الدول المستقله في المشرق الاسلامي، ص 168؛ مرجونة ، المغول والحضارة الإسلامية، ص ٤٨-٤٩.

[4] - الادريسي، نزهه المشتاق في اختراق الآفاق ،ص 239؛مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية، ص ٥٠.

صيفاً[1] وعموماً كما عن أبي ريحان البيروني[2] أن معظم الأراضي التي عاش فيها التتر والمغول أراضي حمراء غير صالحة للزراعة .

ومع تعقد هذه الطبيعة الجغرافية يرى سراج الدين ابن الوردي[3]، أن ذلك **"مما كان له أكبر الأثر في تحول التتار والمغول إلى سكان براري رعاة عرف عنهم الشر والغدر، والبحث المستمر عن العشب والتنقل من مكان لآخر وراءه"** .

إذن هذه الطبيعة غير الودية ألقت بظلالها على قاطنيها، وكان لها أثراً بالغاً على جعل القبائل المغولية والتترية تتميز بالخشونة والغلظة والجفاء والشراسة وقساوة القلوب والقدرة على تحمل الصعاب.

ج: الأحوال المناخية:

تتميز بلاد المغول والتتر بطبيعة مناخية لا تقل عدائية عن حزونة أرضها وقساوة تضاريسها فإنها تتعرض في معظم أيام السنة إلى رياح شديدة عاتية، حاملة معها الأتربة والحصى بكميات هائلة إلى حد تعذر الرؤية معه تماما[4].

ومما يزيد الحال عناءً وشدة وقساوة، أنه على الرغم من شدة هذه الرياح إلا أن درجات الحرارة تكون مرتفعة فيها جداً في فصل الصيف في معظم مناطق منغوليا والتبت، ومدته ثلاثة أشهر (حزيران، تموز، وآب) [5].

أما بالنسبة للشتاء فهو شديد البرودة جداً، وهو أطول فصول السنة في تلك المناطق، إذ تتراوح مدته ما بين أربعة أشهر إلى خمسة أشهر، ويتميز بكونه شتاءً قارساً، وبارداً

---

[1] - الغامدي،المغول بيئتهم الطبيعية ، ص٢٤ .

[2] - البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة ، ص١٦٠.

[3] - خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، ص ١٤٩؛ محمود شاكر، التاريخ الاسلامي ، ج٥ ،ص٣٢٩.

[4] - ابن واصل ، مفرج الكروب ،ج4،ص3؛الخالدي،العالم الاسلامي والغزو المغوليي ،ص20؛ الغامدي، المغول بيئتهم الطبيعية،ص٢٧؛فهمي،الدولة المغولية،ص13؛مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية،ص ٤٢.

[5] -القرماني،اخبار الدول ،ص283؛الصياد ، المغول في التاريخ،ص31؛لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص6.

زمهريراً، تكثرفيه العواصف والأعاصير المصحوبة بالبرق والرعد، ناهيك عن الرياح التي تهب من سيبريا بقوة وعنف[1].

والربيع عندهم يبدأ في شهر نيسان ويمتد لشهرين، ويتميز بشدة هبوب الرياح والأعاصير الرملية؛ لذلك تندر فيه الزراعة.

أما أفضل الفصول عندهم وأحبها إليهم فهو الخريف، ولا سيما عند أهل منغوليا، ففيه تصبح السماء صافية، وتسمن المواشي ويكثر حليب الأفراس شراب المغول المفضل[2].

وإجمالا يتمثل مناخ تلك البلاد، بأن الصيف فيها صحراوي شديد الحرارة، والشتاء شديد البرودة، والربيع سريع التقلب بين درجات الحرارة والعواصف الرملية المفاجئة، وأفضلها الخريف بوجه ما[3].

ولا يخفى أن هذه الطبيعة المناخية القاسية، كان لابد لها من التاثير البالغ على تكوين شخصية المغولي، فخرج شرساً، غليظ القلب، صامداً شديد التحمل وسط الشدائد لا يجزع ولا يلين[4].

د : الأحوال الاقتصادية والمعاشية:

إن التضاريس الجغرافية الصعبة والأجواء المناخية القاسية فرضت على القبائل المغولية والتترية أن تعتمد نظاماً حياتياً معيناً لتهيئة أسباب العيش فإنها لم تترك لهم سبيلاً غير حياة الرعي والتنقل من مكان إلى آخر وراء العشب والماء، ومحاولة تطويع هذه الطبيعة القاسية لصالحهم والاستفادة منها بقدر الإمكان خلال تنقلهم وراء المراعي.

---

[1] - حميدة،جغرافيا اسيا،ص209؛الصياد ، المغول،ص32؛الغامدي ، المغول ،ص30؛ لامب، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم، ص6؛ المرسي،المغول ،ص23؛نوار،النظم العسكرية عند المغول وفنونهم الحربية،ص10.

[2] - الغامدي، المغول بيئتهم الطبيعية، ص٣٠- ٣١؛مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية، ص٤٢-٤٧ .

[3] - الغامدي، المغول بيئتهم الطبيعية، ص ٣١ .

[4] - عكاشة ، جنكيز خان الإمبراطور ، ص٢٧؛ مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية ، ص٤٧ ؛ يحيى، العالم الاسلامي الحديث والمعاصر، ص٣٠؛

ولم يلجأ المغول لاستصلاح الأرض وزراعتها لأنها غير صالحة لذلك، ولتقلب الأمطار وقلتها وصعوبة تضاريسها، فأصبحت نادرة جداً[1]. ولبيان هذا الواقع المعقد ذكر فضل الله الهمذاني[2]، إن في عهد جنكيز خان" **زرع أحد الأشخاص فجلاً ونتج بعض المحصول، فأحضره إلى حضرة الخان، فأمر بإحصاء أوراق الفجل فكانت مئة، فأشار بإعطاء هذا الرجل مئة كيس من النقود**".

وهذا الخبر يفيدناً علماً عن مدى صعوبة الزراعة في تلك البلاد، وعدم جدواها بالكلية لذلك لجأ المغول إلى حياة الرعي والتنقل سعياً وراء العشب والكلأ.

وقد ترتب على هذه الحال كثرة التنافس على المراعي بين القبائل، فكثرت الصراعات والنزاعات والاقتتال بين القبائل للسيطرة على المراعي إلى حد الاستماتة في سبيل تحقيق أهدافها لأن ندرة أسباب المعاش لم تجعل أمام المغولي خياراً آخر للحياة[3].

لذلك اقتصر نشاطهم الاقتصادي على المتاجرة بما تنتجه حيواناتهم من المنسوجات المتخذة من صوف حيواناتهم وأوبارها، إضافة إلى جلود الحيوانات، والخز الذي يحصلون عليه من طريق الصيد، ولاسيما بترويض الصقور والعقبان واستخدامها في الصيد، وكذلك ما يحصلون عليه من أحجار كريمة وشبه كريمة مما يتأتى من المواد المتاحة[4].

هـ : الجوانب التربوية والخَلقية والخُلقية:

لا شك بوجود تاثير واضح للبيئة الطبيعية على ما جُبل عليه المغول من مزايا وعيوب فالطبيعة القاسية والمناخ غير المناسب والحالة الانعزالية سببت لهم نوعاً من الوحشية

---

[1] - حميدة،جغرافيا اسيا،ص209؛الصياد ، المغول،ص32؛ ؛الغامدي ، المغول ،ص30؛المرسي،المغول ،ص23

[2] - فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ ، ج١، ص٧٩ .

[3] - حسونة ، أثر العوامل الجغرافية في الفتوحات، ص٢١؛ مرجونه، المغول والحضارة الإسلامية، ص٥٣.

[4] - الجويني،جهانكشاي،ج1،ص32؛ سراج الدين بن الوردي،خريدة العجائب،ص149؛ اقبال ، تاريخ المغول ،ص118؛ الغامدي ، المغول بيئتهم الطبيعية،ص135.

والهمجية، وأبعدتهم عن الواقع العلمي والمعرفي، وجعلتهم غير مقبولي الهيئة والمنظر[1] فضلاً عن انحراف مزاجهم وسرعة غضبهم،إلا أنهم تميزوا بقوة الجسد والروح والعقل وسرعة الحركة وقوة تحمل يعجز غيرهم من الوصول إليها، زيادة على قوة بنيانهم الجسماني وبراعتهم في الفروسية وقدرتهم الفائقة على القتال[2].

وقد أثرت هذه البيئة القاسية حتى على سماتهم الشكلية والتكوينية بوجه ما لذلك عندما هاجمت جحافل المغول البلاد الاسلامية لم يقف أمامها عائق جغرافي لمقدرتهم التكوينية في التعامل مع أصعب الظروف الجغرافية [3].

ووظفوا هذه الملكات والميزات الجسمانية في صقل مهاراتهم منذ الصغر، وذلك بتعليم صغارهم وتدريبهم على تعلم الرماية والمبارزة وأساليب القتال والفروسية وتعويدهم على تحمل المشاق منذ بداية نشأتهم، وحتى نساءهم لم تخرج عن هذا السلوك إضافة إلى مهامها الأسرية الأخرى[4].

ومن خلال ما تقدم نخلص إلى أن البيئة الطبيعية والجغرافية قد تدخلت بشكل كبير في تكوين المغولي فكرياً وجسدياً وأخلاقيا وتربوياً، وأكسبته مهارات خاصة تميز بها، كما أكسبته جملة من المساوئ ، كالهمجية والوحشية والغلظة والجفاء، لعزلته ، مما حمله هذا الأمر إلى قضاء معظم حياته في قتال مستمر سعياً وراء العشب والكلأ.

و : الجنبة الدينية: عرف المغول كثيراً من الديانات والمعتقدات وإن جنح بعض المؤرخين إلى أن المغول كانوا وثنيين، وبعضم ذهب إلى أنهم لا يدينون بدين، إلا أنهم يعترفون بوجود إله صانع ويعظمونه، وذهب بعضهم إلى أنهم يسجدون إلى الشمس عند

---

[1] - العظمة، العرب والبرابرة ، ص١٣٣ .

[2] - عكاشة ، جنكيز خان الامبراطور، ص ٢٩؛ مرجونه ، المغول والحضارة الإسلامية ، ص٥٤ .

[3] - مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية ، ص٥٤.

[4] - سراج الدين بن الوردي ، خريدة العجائب، ص147؛ستوف ،حياة جنكيز خان ،ص138؛مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية ، ص3٥.

طلوعها، إلى غير ذلك من الآراء، إلا أن أشهر الديانات القديمة التي عرفها المغول هي الديانة (الشامانية) التى تعترف بوجود إله في السماء يدعى (تنجري) تخضع له السماوات والأرض ويسيطر على قوى الخير والشر وقدسوا آلهة أخرى أقل منه شأناً عدوها كواسطة بينهم وبينه قربوا لها القرابين[1]وكذلك الديانة (البوذية) التي انتشرت بين المغول بفضل جهود رهبان التبت، ولا سيما عند قبيلة الإيغور، ثم النسطورية التي انشرت عند قبائل الكيريت والايغور والنيمان؛ نتيجة لجهود المبشرين في الشرق الأقصى[2]، كما بيناه في الفصل الأول. ثم جاءت (الياسا) التي تعد كاستجابة دينية ناجحة لجنكيز خان، ومن ثم آمنوا بالإسلام بعد احتلالهم للبلدان الاسلامية.

وما نرجحه أن الحالة الدينية عند المغول ليست بتلك الأهمية بسبب ظروفهم القاسية وسكنهم في بيئة منعزلة حيث منعت تلك البيئة عنهم أية مؤثرات دينية وحضارية كبرى، بل فرضت عليهم عزلة شبه تامة إلى حد كبير، وأثرت على تفكيرهم ومعتقداتهم الدينية، فوجدت لدى المغول معتقدات دينية كثيرة بعضها ارتبط بشكل وثيق بالطبيعة، والأخرى اكتسبوها فيما بعد عندما انفتحوا على من جاورهم.

المطلب الثاني: الجانب التطبيقي لفلسفة توينبي التاريخية على حركة المغول:

بيّنا في الفصل الثاني المعالم الرئيسية لفلسفة التاريخ عند توينبي والأسس التي تميزها، وأهم ما قرره توينبي نظرية الاستجابة والتحدي.

وتفيد هذه النظرية، أن نشوء أي حضارة إنما يحصل نتيجة لقيام أقلية مبدعة من أفراد المجتمع بحالة من التحدي قبال الصعوبات والظروف القاسية التي تواجه المجتمع بغية

[1] - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص335؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص310؛ العريني المغول، ص34.

[2] - ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص252؛ إقبال، تاريخ المغول، ص120؛الدباغ، نظم المغول، ص103؛الصياد، المغول في التاريخ، ص335؛الياس، الموسوعة الكبرى للمذاهب، ج2، ص138.

تحقيق استجابة ناجحة لتجاوز هذه الصعوبات،[1] وسنحاول من خلال إعمال مفاد هذه النظرية على انبعاث المغول من محيطهم وقيامهم بحركة تحدّ كبيرة، ثم نلتمس الموارد التي جاءت متوافقة مع مفاد نظرية توينبي، وكذلك الموارد التي تخلفت فيها بمقتضى ما تولد من نتائج .

وقبل أن نتناول حركة التحدي عند المغول يجُمل بنا الإشارة إلى فكرتين مهمتين عدهما توينبي من جملة الأسس التي تقوم عليها نظريته:

أولهما: أن المجتمعات غير المتحضرة غير مؤهلة للدراسة؛ لصعوبة تكوين رؤية مناسبة عنها[2]، كما تقدم بيانه في الفصل الأول.

وهنا نجد أن ما قرره توينبي بهذا الخصوص قد تخلف فعلاً في حالة المجتمع المغولي فإنه لا شك في أن قبائل المغول والتتر كانت بعيدة عن التحضر وأسبابه بالكلية قبل انبعثاهم من سباتهم، ولكن أحوالهم وواقعهم واندفاعهم بحركتهم تعد من أهم الموضوعات القابلة للبحث والدراسة وتفيد الفهم .

والأخرى : هي ما قرره توينبي بخصوص فكرة الأبوة والبنوة بين الحضارات، بقيام حضارة ما جديدة مقام أخرى مندثرة[3]، وهنا كذلك نجد تخلف ما قرره توينبي عن حركة المغول فالدولة المغولية وليدة نفسها ولا تصلح لانطباق فكرة الأبوة والبنوة عليها.

وقد ميز توينبي نوعين من التحديات المترتبة على نظريته في التحدي:

أولهما: تحديات البيئة الطبيعية:

---

[1]-توينبي،مختصردراسة للتاريخ،ج1،ص٤٧٠-٤٧١؛علم الدين،فلسفة التاريخ،ص174؛المحبشي،فلسفة التاريخ في الفكرالغربي،ص202؛الملاح،المفصل في فلسفةالتاريخ،ص٣٨٩-٣٩٠؛النشار،فلسفةالتاريخ نشأتها ،ص 255.

[2]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١،ص٥٨-60.

[3]- توينبي ، مختصر دراسة للتاريخ،ج1،ص21-26 .

إن الظروف الصعبة التي تفرضها البيئة الجغرافية القاسية تدفع الإنسان إلى سلوك أحد التحديين الآتيين كما تقدم بيانه في الفصل الثاني:

أ- تحدي البلاد الشاقة فيما إذا كانت تتميز بوعورة تضاريسها وحزونة أرضها وقساوة مناخها، فإن مثل هذه الظروف القاسية تفرض حالة من التحدي لتذليلها وما يجري مجراها من صعوبات، وبذل الجهد على تعديلها وجعلها أكثر ملائمة، ومن ثم تحصل استجابة ناجحة[1]. ونحن إذا تأملنا في واقع أرض المغول نجد أنها آبية على أية محاولة لتذليل صعوباتها وتعديلها، لشدة وعورتها و حزونة أرضها، فضلا عن قساوة مناخها، وكما بينا فيما تقدم أنها لا تصلح إلا لحياة الرعي والتنقل، فالاستجابة الناجحة من هذا الوجه غير محتملة.

ب- تحدي الأرض الجديدة (البكر): وهذا تحدٍ آخر يدفع الإنسان إلى الهجرة عن بلاده ذات الطبيعة القاسية التي يصعب عادة قيام حضارة فيها إلى أرض بكر جديدة أكثر ملائمة من بلده الأصلي، فيعمل على قيام حضارة في بلده الجديد، ومن ثم تحصل استجابة ناجحة[2].

إلا أن هذا الواقع غير حاصل في موضوعنا، فإن الأرض الجديدة التي أقدم المغول على احتلالها لم تكن بكراً، بل بلاد فيها حضارة قائمة وإن كانت تمر بفترة أفول وانحلال.

ولما كان توينبي لا يقيم وزنا لهذا النوع من التحدي[3]، فإنا نجد أن نظريته قد تخلفت بشكل واضح من هذا الوجه ، ولكن يمكن عد هذا الوجه من قبيل البروليتاريا الخارجية التي اقتحمت عالم متحضر قائم اذ يمكن ان نستنتج بناءً على نظرية توينبي بأن المغول يمثلون

---

[1]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص98؛ صبحي،في فلسفة التاريخ،ص269؛ علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١١٧-١١٩؛الملاح، المفصل في فلسفة التاريخ، ص ٣٩٠-٣٩١؛ النجم،توينبي ونظرية التحدي،ص80.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ج١، ص11؛علم الدين، فلسفة التاريخ، ص ١١٩-١٢٠.

[3] - قال توينبي :لا الجنس ولا البيئة ان اخذ كل بمفرده يمثل العامل الايجابي الذي انقض الجنس البشري في غضون الستة الاف السنة الماضية من حالة الركود في مستوى مجتمع بدائي،دفعه الى طريق محفوف بالمخاطر سعيا وراء الحضارة.ينظر :توينبي، مختصر دراسه للتاريخ ،ج1،ص100.

بروليتاريا خارجية بالنسبة للحضارة الاسلامية بوصفهم مجتمعا متخلفا كثيرا مقارنة بالمجتمع الاسلامي آنذاك، وربما يكون هذا من اهم العوامل التي اغرت هولاكو لدخول البلاد الاسلامية وتدميرها بوحشية تنم عن عقدة النقص التي يعاني منها مجتمع متخلف تجاه حضارة عريقة.

والآخر: تحدي البيئة البشرية:

ويتمثل هذا التحدي بدوافع ثلاثة [1]- كما حددها توينبي- تحفّز المجتمعات على قبول التحدي لخلق استجابة ناجحة وهي :

1- دافع الضربات التي تخلفها الغزوات والهزائم الحربية[2]، وهذا الدافع يمكن عده كظاهرة داخلية أكثر مما هي خارجية فإنه حاصل بين القبائل التي تنتمي إلى أرومة واحدة، فهي تعيش حالة كر وفر مستمرة بسبب تنافسها على الماء والكلأ كما تقدم تقريره.

2- دافع العقوبات[3] وهو كذلك يمكن عده كشأن داخلي أكثر مما هو خارجي لعزلتهم التي فرضتها الطبيعة عليهم ، ثم دافع الضغوط الخارجية والتحديات التي تأتي من خارج محيطهم وهنا يمكن عد التحديات التي واجهتهم من قبل الجانب الصيني أو من قبل الدولة الإسلامية يعم هذا الدافع.

المطلب الثالث: إعمال نظرية التحدي والاستجابة على حركة المغول:

(مرحلة الازدهار)

يمكن تميز وجوه هذه النظرية بمقتضى التحديات المتقدمة التي يشتمل عليها الواقع المغولي على وفق ما يأتي:

أولاً: الإبداع الفردي:

[1] -توينبي،مختصر دراسه للتاريخ ،ج1،ص436-441؛وينظرعلم الدين،فلسفة التاريخ ، ص121.

[2]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص147-165؛وينظرعلم الدين، فلسفة التاريخ ، ص 121

[3]- توينبي، مختصر دراسة للتاريخ ، ج١، ص233؛علم الدين، فلسفة التاريخ، ص١٢١.

ذهب توينبي إلى تقرير أهمية دور المبدعين الأفراد في المجتمع، والتأثير الفاعل لدور البطولة الفردية في صيرورة أحداث التاريخ كما أنكر على جماعة من فلاسفة التاريخ رأيهم في تجريد الفرد من التأثير الإبداعي المتميز بالأخذ بأسباب التقدم والتحضر لعدم تقديمهم أي تفسير مناسب لهذا التجريد، ولا سيما بِعدّ المجتمع ككائن عضوي حي، وما الأفراد المبدعون إلا جزء منه[1].

ونحن نجد توينبي أنه كان مصيباً في رأيه بدقة بهذا الخصوص، فهو يجسد الحالة المغولية على الوجه الأمثل؛ فإنه جرت محاولات عدة لتوحيد القبائل المغولية المتناحرة فيما بينها قبل ظهور جنكيز خان[2]، إلا أن مصيرها كان الفشل فقد كانت اليد الطولى في منغوليا لقبائل الخطا، ثم خضعت منغوليا بعد ذلك لأسرة كين وسيطرت على منشوريا وعلى الصين الشمالية واتخذوا من بكين عاصمة لهم ، وكان اسم المغول قد سبق محاولات التوحيد، ولكن لم يتحقق للمغول الذيوع والانتشار إلا مع جنكيز خان[3].

واستطاعت القبائل المغولية التخلص من حكم أسرة كيين بعد موت الامبراطور تاي تنج[4] وخاض زعماء المغول حربا طاحنة لتحقيق وحدتهم ، ومنهم يوسجاي والد جنكيزخان إلا أن مصيرها كان الفشل لشدة الصراع بين القبائل المغولية من دون توقف.

وهذه الفوضى الاجتماعية والسياسية المترتبة على هذا الصراع الساخن بين القبائل المغولية، كان لا بد من أن يتولد منها في نهاية المطاف وجود شخصية قوية لها من الملكات التي تستطيع

---

[1] - توينبي،مختصر دراسة للتاريخ ،ج١،ص٣٤٩-354.

[2] - الباز، المغول، ص39؛ بخيت، تاريخ المغول وسقوط بغداد، ص21- 28؛ غروسيه، جنكيزخان، ص15- 32.

[3] - ابن العبري، تاريخ مختصر الدول،ص394؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج13 ، ص132؛ بارتولد ،تاريخ الترك،ص15؛ مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية ، ص٥٨.

[4] - احد ملوك اسرة كين الصينية ، توفي سنة534هـ/1137م. ينظر: اقبال ،ايران بعد الاسلام ،ص347؛الشاعر،مصر قاهرة المغول،ص9؛ مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية ، ص٥٨.

معها أن توحد هذه القبائل وتخضع لها. وهو ما تحقق على يد تيموجين (جنكيزخان)[1].وقد استطاع بما يتميز به من شخصية مؤثرة فاعلة مثابرة، وقوية شجاعة مقدامة أن يجمع قبائل المغول البدائية المتناحرة إلى مجتمع منظم موحد ويجعل منهم إمبراطورية قوية امتدت أطرافها من أقصى الشرق إلى حوض المتوسط غرباً، وهو ما لم يتأت لغيرها من الدول[2].

واعتمد جنكيز خان أسلوب الترغيب، والبطش بيد من حديد، لتحقيق أهدافه ، فضلا عن إثارة عنصر الانتماء القومي عند القبائل المغولية والتترية، فنجح في ذلك نجاحاً باهراً[3].

ونخلص إلى أن محاولة رفع التحدي التى قام بها جنكيز خان من الجنبة السياسية والعسكرية والعمل على توحيد أطراف الأرومة الواحدة أثمرت عن استجابة ناجحة بامتياز.

ثانياً : التحدي التنظيمي:

بعد نجاح جنكيز خان عسكريا وتمكنه من توحيد القبائل وانضوائها تحت سلطته، وجد أمامه تحدٍّ آخر، وهو الحاجة لتنظيم دولته داخلياً ووضع القوانين اللازمة لتنظيم الحياة فيها فدعا إلى اجتماع القوريلتاي سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م لتحديد الأسس التي تقوم عليها دولته الناشئة والنظم التى تسير على طبقها، فوضع لها دستوراً حربيا واجتماعياً وسياسياً تجتمع عليه قبائل المغول بأسرها وحتى تتحقق الاستجابة الناجحة من هذا الوجه خاطب المجتمعين مدعياً بأن السماء أمرته بأن يحكم عامة الشعب[4].

---

[1] - الصياد،المغول في التاريخ،ص36؛مرجونة، المغول والحضارة الإسلامية، ص٥٩.

[2] - بخيت، تاريخ المغول، ص41؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص45؛غروسيه، جنكيز خان، ص84؛ فامبري،تاريخ بخارى، ص162.

[3] - الجويني،جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم)،ج1،ص74؛ حمد الله مستوفي ،تاريخ كزيدة،ص580؛الرمزي،تلفيق الاخبار،ج1،ص347؛ بخيت، تاريخ المغول، ص41؛ الدباغ، نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية،ص43 – 49؛ صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص44. ؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص45؛ غروسيه، جنكيز خان، ص84؛فامبري،تاريخ بخارى، ص162؛لامب ، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم ، ص 103؛ مرجونة ، المغول والحضارة الاسلامية، ص64. مزبان ، أثر القبائل التتارية في نشاطات المغول ، ص 193.

[4] - تشون ، التاريخ السري ، ص191؛ ستوف، حياة جنكيز خان ، ص١٠٢.

وأضفى على حكمه صبغة القدسية ، فبايعه المجتمعون كخان أعظم وأطلقوا عليه لقب جنكيز خان ، وأصبح امبراطوراً على القبائل جميعها ، فأطاعته القبائل كلها طاعة عمياء من دون معارضة تذكر لأنه مسخر من السماء[1] كما تقدم بيانه في الفصل الأول فتحقق من هذا الوجه استجابة ناجحة جداً.

ثالثاً: التحدي الديني:

يُعد الجانب الديني من أهم التحديات اللازمة لقيام الحضارات ونجاحها، فمعظم المجتمعات تعد مسألة الدين حاجة تفرضها ضرورة الحياة الاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

وهذه المسألة لم تكن غائبة عن ذهن جنكيز خان، كما هو واضح من إضفاء الصبغة القدسية على حكمه، فكان لابد له من النجاح في هذا الجانب من التحدي، فوضع قوانين عرفت بـ (الياسا) وأمر أن تكتب بالخط الإيغوري، إذ لم يكن للمغول خط يكتبون به، وتحفظ في خزائن الأمراء للرجوع إليها كدستور[2] .

وتتضمن قوانين الياسا أقسام عدة من أهمها القسم الخاص بالدين. ومفاده الاعتقاد بإله فاطر السموات والأرض ، والسماح بالديانات الأخرى فيما إذا كانت تؤمن بالله، وتؤكد على إكرام من كرس نفسه لخدمة الدين وإعفائهم من الالتزامات الأخرى ،ومنها القسم الخاص بالشؤون العسكرية، كتقسيمات الجيش والتدريب وحقوق أفراد الجيش وواجباتهم ، كل بحسب مقامه وشأنه ، ومنها القسم المتعلق بالأمور الاجتماعية ، كعدم الزواج من الأقارب، وجواز الجمع بين الأختين وما يشبه ذلك[3]. ومنها القسم المتعلق بالعقوبات المشددة ضد

---

[1] - الكتبي؛ فوات الوفيات، ج1، ص139؛ شبولر، العالم الإسلامي، ص26؛ كيتشانوف ،حياة تموتشجين، ص218- 219.

[2] - الجويني، جهانكشاي ، ج١، ص٦٢؛ محمد، الاجتياح المغولي، ص91.

[3] - الجويني، جهانكشاي، ص62- 68؛العمري، مسالك الأبصار، ج 3، ص106- 107؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص314- 316 فهمي، تاريخ الدولة المغولية، ص33- 37.

مرتكب جريمة الزنا واللواط والسرقة وما يشبه ذلك. أما بالنسبة لمعارضة الإمبراطور ومخالفته فعقوبتها الموت[1]،وقد تقدم بيانه في الفصل الأول.

ونحن لو تأملنا بما تتضمنه هذه الأقسام من قوانين وأحكام نجد أنها تحمل الصبغة الدينية، ولا أقل من التأثر بها، وقد قدم جنكيزخان من جهة هذا التحدي استجابة ناجحة جداً؛ فإن قوانين (الياسا) تعد من أهم عوامل نجاح جنكيزخان في تحقيق انتصاراته المتلاحقة والسريعة وقيام امبراطوريتة المترامية الأطراف؛ لذلك تعد (الياسا) عند المغول موضع عناية واحترام، وأضفوا عليها هالة من القدسية كتقديس الكتب السماوية، كما اشرنا إلى ذلك.

رابعاً: التحدي الاقتصادي والتجاري:

يعد هذا النوع من التحدي من الأولويات التي شغلت بال المغول حتى قبل انبعاثهم من عزلتهم، ولا سبيل لفاعلية هذا النشاط بين الشرق والغرب إلا من (طريق الحرير) فهو الممر التجاري الوحيد بالنسبة لهم لذلك كانت فكرة السيطرة عليه من أولى أولياتهم وأبرز اهتماماتهم.

وبعد تجاوزهم لهذا التحدي كانت الإستجابة ناجحة ومبهرة إذ أحكموا السيطرة على هذا الطريق المهم، وازدادت فاعلية النشاط التجاري والاقتصادي بين الشرق والغرب[2].

ولم يقتصر الأمر على النشاط التجاري والاقتصادي فحسب، بل زاد التفاعل الحضاري والنشاط الثقافي بين الشعب المغولي وبين الشعوب التي خضعت لسيطرتهم، فكان مؤثراً من هذا الوجه، فضلا عن النشاط التبشيري الديني سواء كان نصرانياً أو اسلامياً[3].

خامساً: تحدي تفعيل ملكات المغول ومميزاتهم:

---

[1] - القلقشندي ، صبح الأعشى، ج4، ص314؛ مرسي ، المغول، ص٥٧.

[2] - حطيط، حروب المغول، ص21غروسيه، جنكيزخان قاهر العالم، ص238؛ مزبان، أثر القبائل التاتارية في نشاطات المغول العسكرية ، ص180.

[3] - أبو جراد ، الصين بلاد الطبيعة والجمال،ص١٧١؛ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول ، ص٣٠٣؛ نسيم ، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص٢٧٢-٢٧٨.

تقدمت الإشارة إلى أن المغولي كان يتميز بجملة من السمات الجسمانية والملكات والمهارات التي قلما أن تتأتى لغيرهم، ولاسيما من جهة تأقلمهم مع الصعوبات والمشاق، وقابليتهم على تحمل الظروف الصعبة التى كانت تواجههم، وقدرتهم الفائقة على تخطي مثل هذه الظروف وتجاوزها بمقتضى العوامل الطبيعة والجغرافية التي كانت عدائية معهم بشدة، فالتضاريس الأرضية القاسية والظروف المناخية الصعبة قد ألقت بضلالها عليهم وخلفت أثرها فيهم، فحملتهم قساوة هذه العوامل إلى التكيف معها وتطويع أنفسهم بالتطبع عليها، ومحاولة تذليل ما تفرضه من عقبات وآثار صعبة.

وقد استفاض النقل في وصف بيئة المغول الطبيعية [1]، وما فرضته عليهم من قسوة فامتازوا بميزات جسدية خاصة[2] جعلت منهم فرساناً ذوو حرب وفروسية[3] كحال العرب في الجاهلية[4]، فبرعوا كفرسان اتسموا بالشدة في مواجهة الأعداء وتمكنوا من حسم كثير من المعارك لصالحهم .

ولم يكن جنكيزخان غافلاً عن هذه المسألة المهمة، فأستطاع أن يوظفها في غزواته، ونجح في هذا التحدي نجاحاً بيناً إذ لم يعوقهم أي شيء عند اجتياحهم للبلدان والدول

---

[1] - زغلول،الترك والمجتمعات التركية، ص 59 – 84؛ الصياد ،المغول في التاريخ، ص 12 – 14؛العريني ،المغول ،ص11 -14؛ الغامدي ، جوانب من حياة المغول المعيشية، ص 131- 170؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران، ص20 – 26؛نوار، النظم العسكرية عند المغول وفنونهم الحربية، ص 13.

[2] - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 310 ؛ الصياد، تاريخ المغول ،ص7.؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران ،ص 25؛ الصياد، تاريخ المغول ،ص7.

[3] - حالة التنقل والترحال التي فرضتها عليهم ظروف بيئتهم القاسية استلزم ان يدربوا انفسهم على حب المخاطرة ،ومواجهة الشدائد ،وحب الحرب والقتال، وان يغرسوا هذه الصفات في نفوس الأطفال منذ نعومة أظفارهم ، فكانوا يدربونهم على القوس والنشاب وهم في الثالثة من أعمارهم كما يدربونهم على صيد الفئران ، والأرانب، وكان من أوامر جنكيز خان بأنه يجب على القادة العسكريين أن يعلموا الصبيان إطلاق السهام وامتطاء صهوات الجياد ، وهكذا ينشا الطفل المغولي في طبيعة قاسية وتنشأ اجيال تتسم بالعنف وقوة البأس لتكون أساساً للجيش المغولي.ينظر: ستوف،حياة جنكيز خان ، ص138.

[4] - زغلول، الترك والمجتمعات التركية، ص72؛ نوار، النظم العسكرية عند المغول، ص13.

المجاورة لهم حيث وصلت هذه القوة البشرية إلى حدود آسيا الشرقية والغربية في بضع سنين[1]، فكانوا كريح عاصفة أو زلزال عالمي على حد وصف بعض المؤرخين[2].

ويشهد لقسوتهم وشدتهم ما فعلوه بسمرقند[3]، تلك المدينة التي كانت محصنة بسور منيع ويحيطها خندق عظيم لحماية المدينة من الهجمات[4] ، وعندما توجه إليها جنكيز خان بجيشه بعدأن استولى على بخارى[5]، فحاصرها ودخلها وحطم أسوارها وقتل حاميتها المكونة من أربعين الفا[6].

وقد وصف ابن الاثير[7] ما فعله المغول بقوله: **"فعلوا مع سمرقند مثل فعلهم ببخارى من النهب والقتل والسبي والفساد ودخلوا البلد ونهبوا ما فيه"**.

وهذا حال المدن المحصنه فما بالك بالأقل منها تحصيناً ومنعة.

---

[1] - لامب ، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم ، ص 103؛ مزبان ، أثر القبائل التتارية في نشاطات المغول ، ص 193؛صبرة، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، ص44.

[2] - لامب ، جنكيز خان امبراطور الناس كلهم ، ص 103.

[3] - سمرقند: مدينة واسعة مهمة ذات زراعة وصناعة كانت مركزاً تجارياً مهماً لوقوعها عند ملتقى الطرق التجارية، وهي تقع على بعد 150 ميل شرقي بخارى وجنوبي نهرالصغد. ينظر : ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج3 ، ص 279؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص 535؛ لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص 506.

[4] - بارتولد ،تركستان، ص 170.

[5] - بخارى: من المدن الرئيسية في بلاد ما وراء النهر كانت قاعدة لملوك ما وراء النهر قبل الإسلام ومركزاً تجارياً مهماً، ونظراً لأهميتها ومكانتها فقد وضع السلطان علاء الدين خوارزم فيها حامية كبيرة قدرت بثلاثين الف مقاتل لكنها سقطت بيد المغول سنه 617 هـ/ وكان لسقوطها وقع هائل على الخوارزميين فسقوطها بيد المغول يعني تقطيع أوصال الدولة الخوارزمية، لانها في قلب الدولة، وبهذه السيطرة تم قطع طريق الإمدادات والاتصال بينها وبين ما يحيطها من مدن، وعلى أثر ذلك انسحب علاء الدين خوارزم من بلاد ما وراء النهر عابراً جيحون إلى خرسان فاقداً للأمل، ولاسيما بعد أن فارقه قادته وأقرباءه أثر هذه الهزيمة. ينظر : النسوي، سيرة منكبرتي ، ص 101؛ أبو شامة ، نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلائرية، ص 29؛العمري، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، ج 27 ،ص 157.

[6] - فضل الله الهمذاني، التاريخ الغازاني، ص 237؛ الجويني، جيهانكشاي، ج1، ص 125؛ النسوي، سيرة منكبرتي ، ص 90.

[7] - الكامل في التاريخ ، ج 1، ص 341 .

سادساً: التحدي الإعلامي:

إن من أهم وجوه التحدي التي نجح المغول فيها بشكل لافت ومبهر، هو الوجه الإعلامي والدعاية النفسية، فاستغلوا العامل النفسي لتفعيل الحالة الانهزامية عند أعدائهم وتثبيط معنوياتهم ومن ثم القضاء عليهم. وتأثير هذه الحالة لم يقتصر على عوام الناس، بل عمت حتى الجيوش وقادتها والحكام والسلاطين[1].

ومن أهم ما أشاعوه، أنه لا جدوى من قتال المغول لأنهم لا ينهزمون قط، ولاسيما الإشاعات المتأتية من الداخل بوساطة عملائهم الذين وظفوهم في كل بلد يريدون فتحها، فقام هؤلاء بواجبهم على أكمل وجه، واستطاعوا تثبيط الهمم والعزائم ونشر الرعب بين الجيوش والناس، والعمل على تمكين الحالة الانهزامية منهم وسيطرتها على نفوسهم[2].

وقد وصل الأمر بوصف المغول إلى ما يشبه الأساطير، فنتيجة لأفعالهم الوحشية صورهم بعض المؤرخين على هيئة مخلوقات خيالية، أو كنوع من التنينات لهم مثل رؤوس الخيل تلتهم ضحاياها، أو أن وجوههم كوجوه الكلاب، وذكر بعضهم أن لهم رؤوس كبيرة كرؤوس الثيران وعيون ضيقة مثل عيون الطيور الصغيرة، وأنوف فطساء كأنوف السنانير، وخراطيم ناتئة مثل الكلاب، وحقوين ضيقين مثل نملة، وأرجل قصيرة مثل أرجل الخنازير، ومن دون لحى مطلقاً ولهم قوة الأسود، ويملكون أصواتاً يزعقون بها بقوة أكثر من النسور،بل ذكر بعضهم أن خيولهم ودوابهم تحفر الأرض بحوافرها وتستخرج العروق وتأكلها، فلم يتكلف المغولي عناء علفها[3].

ولا يخفى، أن النجاح بنشر مثل هذه الخرافات وتصديق الناس بها، يُعد من أهم عوامل نجاح المغول في زحفهم ، بما يمثله من تلبس المسلمين بحالة من الانكسار والانهيار نتيجة

---

[1] - الجويني، جهانكشاي، ج2، ص14؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج10،ص336؛ زكار،أخبار المغول ،ص357؛ مارشال، عاصفة من الشرق،ص6-7؛محمد، ،الاجتياح المغولي ،ص٦٨.

[2] - سليمان ، المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، ص١٠٢.

[3] - ابن الاثير، الكامل في التاريخ ،ج10،ص336؛السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص430؛زغلول،الترك والمجتمعات التركية،ص69؛زكار،أخبار المغول ،ص357؛ مارشال، عاصفة من الشرق،ص6-7؛محمد، ،الاجتياح المغولي ،ص٦٨.

لتصديق معظم الناس بهذه الدعايات الباطلة التي نجح فيها المغول أيما نجاح، ولم يفق المسلمون من غفلتهم وانهزامهم المعنوي والواقعي إلا بعد واقعة عين جالوت التي انكسر فيها المغول.

سابعاً: تفعيل التحدي وإدامة زخمه:

إن من أهم العوامل التي ساعدت المغول في إدامة زخم التحدي خلال زحفهم ، هو توظيف الكفاءات وأصحاب الخبرات والمهارات الموجودة في البلدان التي تمكنوا من السيطرة عليها، ومن ثم الاستفادة من خبراتهم بما يُحسنونه من مهارات في فتوحاتهم للبلدان والأمصار ، فعلى الرغم من شدة بطشهم وقسوتهم واعتمادهم أسلوب الإبادة التامة، وحرق المدن، ولا سيما التي لا ترضخ لشروطهم من أول وهلة ، إلا أنهم أبقوا على حياة الحكماء والأطباء والمهندسين والفلكيين والمنجمين والحرفيين وأصحاب الصنائع؛ للاستفادة منهم بما يحسنوه من خبرات ومعرفة وعلوم؛ لتوظيفها في خدمة جيوشهم والاستفادة منها في فتوحاتهم وتنظيم شؤون الدولة إدارياً[1]، ولا سيما إذا عرفنا أن المغول بحكم حياتهم القبلية وظروفهم الحياتية كانوا فاقدين لمثل هذه المهارات المهمة والمعرفة.

وقد أحسن المغول استغلال ذلك بصورة فاعلة، وعمدوا إلى تمكين أصحاب الكفاءات العلمية وأهل الخبرة من تفعيل أنشطتهم، ونجحوا بتوظيفها وإدامة فاعليتها، ومن ثم الاستفادة منها، كما أشارإلى ذلك غير واحد من المؤرخين- فيما تقدم- فكانت ديمومة التحدي من هذا الوجه ناجحة بامتياز.

[1] - كأمثال الحكيم الصيني(يي- لو –تشوتساي) الذي وصف بالاداري الموهوب (عمل كمستشار مقرب من جنكيز خان)، والخواجه نصير الدين الطوسي صاحب مرصد مراغة(عمل كمستشار ووزير لهولاكو) وغيرهم . ينظر: ابن العبري،تاريخ مختصر الدول ،ج1،ص286؛اليونيني،ذيل مرآة الزمان ،ج3، ص79؛الصفدي،الوافي بالوفيات ،ج1،ص147؛ابن كثير ، البداية والنهاية،ج13،ص215؛ اقبال، تاريخ المغول، ص112؛ صفا، جنكيز خان، ص267؛ الصياد، المغول في التاريخ، ص156؛ العريني، المغول، ص160؛ الغامدي، تاريخ المغول، ص109؛ غرو سيه، جنكيز خان قاهر المغول، ص256-257؛ لامب، جنكيز خان، ص78؛ واكيم، امبراطورية على صهوات الجياد، ص96.

المطلب الرابع: تشخيص اسباب انهيار الامبراطورية المغولية:

يمكن تحديد مرحلة التحدي المدام الذي تمخض عن استجابات ناجحة منذ انبعاث المغول بحدود ستين سنة، فكانت واقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م هي الحد الفارق لبداية انهيار الامبراطورية المغولية، ومن ثم تحللها في عام ٧٥٦هـ - ١٣٥٦م .

ويمكن تمييز أهم الأسباب التي آلت إلى الوصول إلى هذه النتيجة بمقتضى إعمال نظرية توينبي في فلسفته للتاريخ:

أولاً: إن انهزام المغول في وقعة عين جالوت عسكرياً[1] تمخض عن انهيار أهم وجوه التحدى المؤدي لاستجابات ناجحة، ألا وهو الوجه الإعلامي والدعائي الذي نجحوا في توظيفه أيما نجاح، بأنهم قوم لا ينهزمون مطلقاً، وأن أية محاولة لمواجهتهم لا جدوى منها ولا بد أن يكون مصيرها الفشل.

فهذه المعركة أيقضت المسلمين من سباتهم، ونبهتهم لما كانواعليه من غفلة ، وكسرت حاجز الرهبة والخوف الذي أخذ بألبابهم و حواسهم وقلوبهم، وبعثت في نفوسهم حافز المواجهة من جديد.

ولم تنجح الأقلية المبدعة عند المغول في معالجة هذا الأمر وإدامة هذا الوجه من التحدي؛ لتعطيل مفعوله وانتفاء موضوعه، فترتب عليه اتساع الخرق وعدم نفع أساليب الرقع، وتلت هذه الهزيمة هزائم أخرى متلاحقة، إلى أن انحصرت دولتهم في بلاد فارس (الدولة الايلخانية) ومن ثم تحللها ونهايتها في سنة (٧٥٦هـ – ١٣٥٦م) [2].

[1] - فضل الله الهمذاني ، جامع التواريخ،ج1،ص313 ؛ أبو الفدا ، المختصر في اخبار البشر، ج٣، ص205؛ ابن كثير، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص220؛المقريزي ، السلوك، ج1، ص 420؛ ابن تغري، النجوم الزهرة،ج7،ص79.

[2] -فهمي ،تاريخ الدولة المغولية في ايران ،ص249.

والوجه في فشل هذا الجانب من التحدي، هو قيامه على أساس غير ذي واقع، فلما بانت حقيقته بعد مواجهة المماليك في عين جالوت، فقد المغول أهم ميزة فاعلة أحسنوا توظيفها خلال معاركهم عند اجتياحهم للأمصار والبلدان الإسلامية، وهي أنهم قوم لا يُهزمون.

ثانياً: إن اختلاط المغول بالمجتمعات المتحضرة التي خضعت لاحتلالهم قربتهم من أسلوب الحياة المتحضرة، كلين العيش والدعة والاسترخاء والاستمتاع بالملذات، فجعلهم هذا الأمر يفقدون حياة الخشونة التي ألفوها، والقوة والجلد والقدرة على تحمل المشاق التي كانوا يتميزون بها.

ولم يتمكنوا من إدامة هذا النوع من التحدي لتفعيل استجابات ناجحة من هذا الوجه، ولم يفعلوا كما فعل جنكيزخان بعد احتلاله للصين وتمكنه من السيطرة على بكين وغيرها من الحواضر الصينية، فإنه أمر جيشه بعدم البقاء في هذه الحواضر خوفاً من تسرب حالة الدعة والخمول والاسترخاء لقواته، فقد كان منتبهاً لهذا الأمر لذلك أمر جيشه بالانتقال إلى المناطق الوعرة التضاريس وذات المناخ القاسي في التبت وغيرها[1]؛ حتى يحافظوا على ميزة الخشونة واللياقة الحربية والقدرة على تحمل المشاق، والجاهزية والاستعداد للمواجهات.

ثالثاً: فقدان ميزة القدسية التى أضفاها المغول على جنكيزخان بعد موته، إذ لم يستطع أحد من أبنائه أو أحفاده من إدامة التحدي المتآتي من هذا الوجه، ففقدوا بذلك عاملاً مهماً من عوامل ديمومة زخم التحدي، فلم تتحقق استجابة فعلية ناجحة من هذا الوجه.

رابعاً: أفول بريق عقيدة (الياسا) شيئاً فشيئاً بعد اختلاطهم بالمجتمعات الإسلامية وتأثرهم بها، ولاسيما من الوجه الديني، فضعف عندهم التحدي من هذا الوجه فلم تكن ثم

[1] -سكن المغول في الخيام وكانت لهم معسكراتهم الخاصة يقيمون بها في الصيف والشتاء، واستمروا على هذا التقليدحتى بعد ان فتحوا كثير من البلادالمتحضرة واضطروا الى سكن العواصم ، اضافة الى تمرين الصيد الواجب الذي قضت به الياسا فلا يتوقف الجيش مطلقا ليبقى محافضا على جهوزيته . ينظر:الجويني، جهانكشاي،ج1،ص63؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب،ص54؛ ابن سباط ، تاريخ ابن سباط،ج2،ص915؛لامب ،جنكيز خان امبراطور الناس،ص127؛المنصوري،التحفة المملوكية،ص25؛نوار، النظم العسكرية عند المغول،ص93-108.

استجابة تذكر من جهته، بل وصل الأمر إلى دخول الجيل الثالث من المغول في الإسلام، ومن ثم انصهارهم فيه .

خامساً: طرو الاختلافات والانشقاقات بين أفراد عائلة جنكيزخان وأحفاده، بل حتى في بيت هولاكو، وانتشار الفتن والدسائس بينهم، فانتقل تأثيره إلى قادة المغول وأمرائهم ومجتمعهم.

وقد وصل الأمر الى حد قتل بعضهم بعضاً، كما حصل مع كيخاتو [1] فإنه قد أغضب أمراء المغول وقادتهم؛ بسبب إقباله على الفسق والفجور والشذوذ الجنسي، والإفراط في الشراب ومايشبه ذلك من وجوه الفساد، فقتله بايدوخان[2]، وقتل معه عدد من الأمراء المنحازين له وقضى على أعوانه[3].

والأمثلة والشواهد التي من هذا القبيل كثيرة اقتصرنا على نقل هذه الصورة فحسب لكشف واقع الحال الجديد الذي خيم على المغول.

وهنا يظهر لنا جلياً تخلف خانات المغول عن الاستجابة لنصائح جدهم جنكيزخان ومن بعده هولاكو بضرورة الاتحاد والتآزر، والاتفاق على شخص واحد حتى ينعموا بالسلطة والجاه ويعيشوا في رغد[4].

---

[1] - كيخاتو بن ابقا خان بن هولاكو خامس ملوك الايلخانيين تولى العرش بعد وفاة اخيه أرغون من سنة 690هـ/1291م حتى اعدمه بايدو سنة694هـ/1295. ينظر: فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران ، ص182؛ مير خواند ، روضة الصفا،ص363.

[2] - بايدو بن طوغان بن هولاكو بن تولي بن جنكيز خان تولى ستة أشهر من جمادي الاول الى ذي القعدة سنة694هـ/1295م حيث ثار عليه الامير غازان بن ارغون واقتص منه ثأرا لعمه كيخاتو وتولى مكانة. ينظر: عبد المنعم ،سياسة المغول الايلخانيين،ص33؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران ، ص ١٨٦.

[3] - عبد المنعم ،سياسة المغول الايلخانيين،ص33؛ فهمي، تاريخ الدولة المغولية في ايران ، ص ١٨٦؛مير خواند ، روضة الصفا،ص363.

[4] - مرجونه،المغول والحضارة الإسلامية، ص ١٦٩؛مير خواند ،روضة الصفا،ص363-375.

وإجمالاً لم يتمكنوا من إدامة التحدي من هذا الوجه، ومن ثم لم تتحقق لهم استجابة ناجحة مطلقاً؛ لإتساع الانشقاقات وكثرة الاختلافات إلى أن آل الأمر إلى استقلال بعض الأمراء بأنفسهم وإقامة كيانات خاصة بهم، فحلَّ التشرذم بينهم والتفتت في إمبراطوريتهم[1].

سادساً : "تهافت أغلب الخانات والأمراء وكبار رجال الدولة على الأخذ بأكبر نصيب من اللذة والمتعة والعكوف على الشراب والغرق في اللهو"[2].

وهذا الأمر مترتب على توقف الأقلية المبدعة من إدامة زخم التحدي، ومن ثم تقديم استجابات متتابعة ناجحة .

سابعاً : ظهور البروليتاريا :

أما على المستوى الداخلي، فلتوقف عامة المجتمع المغولي من محاكاة الأقلية المبدعة لتوقفها عن الإبداع وتقديم استجابات ناجحة، على الرغم من احتفاظها بما حققته من مكتسبات ومنافع، فولد حالة من النفور عند عامة مجتمعهم، ناهيك عما يكنه لهم باقي أفراد المجتمع الاسلامي من كره وحقد دفين. لذلك برزت الخلافات والاضطرابات والثورات الداخلية إلى أن آل الأمر إلى نمو النظام الإقطاعي ولا سيما في بلاد فارس مما مهد لسقوط الدولة وقيام دويلات محلية مستقلة من خلاله[3] ، ناهيك عن تربص أعدائهم السابقين من القبائل التترية والتركية في زمن جنكيزخان، فهؤلاء لهم إحن قديمة.

وأما البروليتاريا الخارجية فهي تتمثل بتتالي الضربات المتأتية من أعدائهم الذين كسروا شوكتهم وأوقفوا زحفهم باتجاه أفريقيا، أعني الدولة المملوكية، فهم الذين قوضوا إمبراطورية المغول واقعاً.

---

[1] - عمران، المغول في اوربا،ص74؛فهمي ، تاريخ الدولة المغولية في ايران ،ص156..

[2] - مرجونه،المغول والحضارة الإسلامية، ص ١٦٩.

[3] - ابن اياس، بدائع الزهور، ج1،ص463؛رضوان ،الدولة الجلائرية واهم مظاهر الحضارة،ص14؛ طرطور،الدولة الجلائرية ،ص5؛مرجونة،المغول والحضارة الإسلامية، ص ١٦٩.

زيادة على الضربات المتلاحقة من قبل الصليبيين فهؤلاء استغلوا ضعف الدولة المغولية عموماً وعجزهم عن القيام بتحد جديد، فاغتنموا الفرصة وقاموا بغزوات عدة متلاحقة [1]؛ ولم يقدم المغول على إثر هذه الضربات التي تعرضوا لها أية استجابة ناجحه من هذا الوجه.

وإجمالاً بحسب مفاد نظرية توينبي في انهيار الحضارات نجد أن سبب وصول دولة المغول إلى هذه النتيجة يؤول إلى:

أ- قصور الجانب الإبداعي عند الأقلية المغولية المبدعة التي كانت تقود مجتمعهم، وعدم تمكنها من تفعيل عوامل ديمومته.

ب- ابتعاد أغلبية المجتمع عن محاكاة هذه الأقلية بعد قصور طاقتها الإبداعية .

ج- تفكك المركب المجتمعي نتيجة لاعتراض الأغلبية على هذه الأقلية، فتولد عن ذلك ظهور الانشقاقات والصراعات بين مكونات المجتمع .

وعلى الرغم من كل ما أفدناه في ما تقدم بإمكاننا أن نخلص إلى الحقيقة الآتية، وهي أن عد ما قام به المغول منذ انطلاق حركتهم إلى أن انهارت دولتهم وأفلت من قبيل الحضارة بالمفهوم الاصطلاحي فيه تكلف ظاهر، بل مشكل جداً لأنهم انبعثوا من مقامهم بسبب عوامل وظروف خاصة بيناها فيما تقدم، وهم من أبعد الناس والأمم عن التحضر والتمدن وأسبابه.

وعندما اجتاحوا البلدان والأمصار واختلطوا بالمجتمعات الإسلامية، أخذوا بأسباب التحضر القائمة فيها ومن ثم انصهروا فيها، ولم نجد ثمة وجه من وجوه التحضر المغولي المحض الذي ابتدعوه في دولتهم، ويشهد لما أفدناه بقاء بقيتهم في ديارهم الأصلية- أعني منغوليا وما يحيط بها- على حالهم من امتهان الرعي والصيد والتنقل وراء العشب والكلأ إلى يومنا الحاضر.

[1] - منها قيام جوليان لمير صيدا ضد ممتلكات المغول وقتل حامية لهم فيها ابن كتبغا نائب هولاكو في الشام)،كما قام الصليبيون في عكا بغارة مشابهة في الجليل اشترك فيها امراء بيروت وجبيل .ينظر: رانيسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج3،ص303؛عاشور ،الحركة الصليبية ،ج2،ص348.

الخاتمة

الخاتمة

أدناه أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة:

أولاً: بينا في تمهيد هذه الدراسة أن المغول غير التتار، إلا أنهم يرجعون إلى عنصر واحد وهو العنصر التركي (الطوراني) ولكن عمهم جميعاً عنوان المغول بعد تمكن جنكيز خان من توحيد هذه القبائل جميعها وفرض سلطانه عليها، وان هذه القبائل عاشت تحت وطأة الظروف البيئية الصعبة فاكسبتهم صفات جسمية تلائم قسوة الطبيعة التي عاشوا في كنفها فكانت الظروف القاسية حالة من التحدي التي واجهة المجتمع والتي ادت الى استجابة ناجحة لتجاوز هذه الصعوبات وقيامهم بحركة تحد كبيرة.

ثانيا: خلصنا إلى أن شخصية جنكيز خان تمثل واقعاً فعلياً بما يتميز به من ملكات لتجسيد دور البطولة التي عدها توينبي ضرورة لا بد منها لنشوء الحضارات ونموها وازدهارها، وذلك من خلال الأعمال التي قام بها ،لا سيما من جهة جمع شتات القبائل المغولية وتوحيدها وتأسيس دولة لهم وتنظيمها سياسياً وتشريعياً ودينياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً والعمل على توسيع رقعتها الجغرافية.

ثالثاً: بينا أن السبب الرئيس الذي حفَز المغول للتوجه غرباً للقضاء على الدولة الخوارزمية هو تهور السلطان علاء الدين خوارزم شاه ورعونته وسوء سيرته وإدارته ، و أن من أهم الأسباب التي دفعت المغول لاجتياح البلاد الإسلامية أن الدولة العباسية كانت تمر بمرحلة انحلال فعلي، وفساد واقعي على المستوى السياسي والعسكري والإداري والأخلاقي وغير ذلك من وجوه الفساد التي شملت مفاصل الدولة بأسرها، وهذا بحسب نرية توينبي يعود الى تحول الأقلية على مراكز القوة في الدولة وهي تحذو حذو الخليفة في قلة العزم والغفلة وسوء التدبير والانغماس في الملذات وإقبالها على اللهو وصنوف الرذائل عجّل في القضاء على الدولة.

رابعا: بينا أن الركيزة الأساسية التي تستند إليها فلسفة توينبي في التاريخ ما قرره بخصوص نظرية الاستجابة والتحدي التي تفيد بأن نشوء الحضارات إنما يحصل نتيجة لقيام

أقلية مبدعة من أفراد المجتمع بحالة من التحدي بوجه الصعوبات والظروف القاسية سواء كانت طبيعية أو بشرية أو سياسية ومن ثم تتحقق استجابة ناجحة لتجاوز هذه الصعوبات، وحتى تكون هذه الاستجابة ناجحة فعلاً ينبغي ديمومة هذا التحدي وعدم الركون الدعة والارتخاء، وإلا لزم تحلل الحضارة ومن ثم انهيارها. ورفض نظرية وحدة الحضارة الإنسانية ، وتشخيص سبب انهيار الحضارات.

خامساً: كما بينا أهم الشخوص المؤثرة في بلورة فلسفة توينبي التاريخية وجهات التأثير فيها ، وهم القديس أوغسطين، وابن خلدون، واشبنجلر، وأشرنا إلى موارد التوافق والاختلاف في ما بينهم . كما أبرزنا أهم الأسس التي ترتكز عليها هذه الفلسفة.

سادسا: وبينا أهم المؤاخذات الواردة على فلسفة توينبي، كعدم اعتماد المنهج العلمي في تقرير آرائه. وانحيازه بالكلية إلى جانب الحضارة الغربية. وتعامله مع الحضارات وكأنها كائنات عضوية حية تولد وتنمو وتهرم، ورؤيته بعدم أهلية أبناء الحضارات غير الغربية ذاتياً للإبداع والتقدم الحضاري، وأنهم لا يصلحون إلا لتقليد الحضارة الغربية.

وأما بالنسبة لرؤيته بخصوص الحضارة العربية الإسلامية، فإنها كانت متخلفة عن الصواب ولا سيما من جهة عدها كابنة للحضارة السريانية، وعد الحضارتين العربية والإيرانية كحضارة واحدة، وادعائه بأن النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) استلهم ما جاء به من إيحاء من اليهودية والنصرانية ومن ثم إخراجه من ديوان النبوة، وعد الفترة المكية للدعوة الإسلامية بفترة الاستجابة المبدعة، وكذلك ذهابه إلى عدم جدوى بعث الحضارة الإسلامية من جديد ، وأنه لا سبيل لأبنائها إلا التغرَب. وهذه أخطاء فاحشة منه وبعيدة عن الواقع بالكلية.

سابعاً : أعملنا الجانب التطبيقي لنظرية التحدي والاستجابة على حركة المغول منذ انبعاثهم وحتى انهيار أمبراطوريتهم . فتناولنا أهم التحديات التي واجهت المغول في حركتهم ، البيئية منها والبشرية والسياسية والاقتصادية، فنهضوا بحالة التحدي من القوة إلى الفعل، ولا سيما

مع ملاحظة الأحوال السيئة التي كانت تعمم الدولة الإسلامية على كافة الأصعدة فتأتت لهم استجابة ناجحة بمساعدة هذا الوجه.

ثامناً : كما بينا أهم الأسباب التي قوضت عملية ديمومة التحدي عند الأقلية المبدعة، ولا سيما بعد سقوطهم المدوي في عين جالوت، وانهيار أهم عوامل النصر عندهم ، أعني المنظومة الإعلامية المؤثرة جداً التي وظفت مقولة: المغول قوم لا يهزمون، ثم عجز أقليتهم المبدعة من إدامة زخم التحدي، ناهيك عن تسري الفساد إلى هذه الأقلية، ومن ثم كان الانهيار.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على محمد وآله وسلم.

المصادر والمراجع

قائـــــمة المصـــادر والـــــمراجع

اولا :- أ- القرآن الكريم

ب – الكتاب المقدس (كتب العهد القديم والجديد)

ثانيا :- المصادر الاولية

- الآجري ، ابو بكر ، (360هـ/971م)

1- الشريعة،دار الكتاب العربي ، بيروت ،1417هـ/1996م

- ابن الأثير، عزالدين علي بن محمد، (ت :630 هـ /1233م)

2- الكامل في التأريخ، دار صادر (بيروت – 1966 م)

- الادريسي ، ابوعبدا لله محمد بن ادريس، (علماءالقرن السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي)

3- نزهة المشتق في اختراق الافاق، دراسة وتحليل:ابراهيم خوري،ط 1، مركز زياد للتراث ،الامارات،1421- 2000

- الأسفراييني، ابو المظفر طاهر بن محمد ، (ت : 471هـ/1078م) .

4-التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، تح:كمال الحوت،عالم الكتب ،لبنان،ط1 ،1403هـ/1983م.

-ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي(ت 668هـ/1270م).

5- عيون الأنباء في طبقات الأطباء،تح: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.

-اوغسطين .القديس (ت:420م)

6- مدينة الله، تر :الخورأسقف يوحنا الحلو ،دار المشرق،بيروت ،ط2.

- ابن اياس ، زين الدين ابو البركات محمد بن احمد المصري الحنفي ، (ت :930هـ/1524م) .

7- بدائع الزهورفي وقائع الدهور ، تح : محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1982م.

- البخاري ، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، (ت : 256 هـ/870م) .

8- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه واله وسننه وأيامه) ، تح : محمد زهير بن ناصر ، ط1، دار طوق النجاة ، 1422.

- أبن بطوطة، محمد أبو عبد الله بن عبدالله بن محمد اللواتي ، (ت : 779هـ/1377م) .

9- تحفة النظار من غرائب ألمصار وعجائب ألسفار، تح : علي المنتصر الكتاني، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط4 ،1405هـ.

-البَلَاذري ،أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م) .

10- فتوح البلدان ،دار ومكتبة الهلال،بيروت، 1988 م.

-البناكتي ، ابو سليمان داود بن ابي الفضل محمد ، (ت : ٧٣٠ هـ /1330م)

11- روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والانساب المعروف بتاريخ البناكتي ، تر : محمود عبد الكريم،د.ت .

- البيروني ، ابي الريحان محمد بن احمد ، (440هـ/1048م)،

12- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقلأومرذولة ، تح :عارف احمد،عالم الكتب ،القاهرة،2003م.

13- الجماهر في معرفة الجواهر،عالم الكتب،مكتبة المتنبي ،القاهرة،2010م.

-البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، (ت 458هـ/1066م).

14- القضاء والقدر،تحقق: محمد بن عبد الله آل عامر،مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية،ط1، 142هـ - 2000م.

- ابن تغري بردي ،جمال الدين يوسف الاتابكي (ت 874 هـ / 1469 م)

15- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ،القاهرة .

- الجوزجاني ، منهاج الدين بن سراج ، (ت660هـ/1262م)

16- طبقات ناصري ، تعليق : عبد الحي حبيبي ، طهران ،1384هـ -ش.

- ابن الجوزي،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م)

17- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تح : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1412 هـ /1992.

- الجويني ، علاء الدين عطا ملك ، (ت681هـ /1282م) .

19- تاريخ جهانكشاي (تاريخ فاتح العالم) ، تر :محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر ، القاهرة،1985 .

- ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي ، (ت : 354هـ /965م) 0

20- صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1988.

21-الثقات ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ،الدكن، الهند،ط1، 1393 ه / 1973م.

- أبن حبيب ، أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت245هـ/859م).

22- المحبر، تح : إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

- ابن حجر ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد ، (ت : 852 هـ /1448م)

23- تهذيب التهذيب ،مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ط1، 1326هـ.

- ابن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ، (ت : 456هـ/1064م)

24- جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم ، إحسان عباس ، دار المعارف ، ،مصر،ط1 ،1900م.

- الحسيني ،علي بن ناصر ، (ت : القرن7هـ/13م) 0

25- أخبار الدولة السلجوقية ، تح : محمد اقبال لاهور،1352 هـ/1933.

- الحلبي ،علي بن ابراهيم بن احمد الشافعي ، (ت : 1044هـ /1634م) 0

26- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط2، 1427هـ.

- حمد الله مستوفي، ابن ابي بكر بن محمد بن نصر ، (730هـ/1330م).

27- تاريخ كزيده، باهتمام عبد الحسين ندائي، مؤسسة انتشارات امير كبير ،طهران، 1336هـ

- ابن حنبل ، ابو عبد الله احمد بن محمد الشيباني ، (ت: ٢٤١هـ/855م).

28- مسند احمد ، الميمنية ، مصر، ١٣١٣ .

- ابن حوقل ، محمد بن علي ، (ت367هـ/977م)

29- صورة الارض ، ليدن، مط: بريل ، ط2، 1357هـ/1938م.

- الخطيب البغدادي ،الحافظ ابو بكر (ت 463هـ/1070م).

30- تاريخ بغداد ،القاهرة ، 1349هـ/1931م .

- ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد ، (ت 808هـ/1405م) 0

31- الخبر عن دولة التتر، تاريخ المغول من كتاب العبر ، تح : احمد عمران ،دار الفارابي.

32-العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر المسمى بتاريخ ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، 1984م .

33- مقدمة ابن خلدون، دار صادر، ٢٠٠٩.

- ابن خلكان ، احمد بن محمد ، (ت: 681هـ /1282م) 0

34- وفيات الاعيان ، دارصادر،بيروت.

- الخوارزمي، ابي محمد محمود بن ارسلان (ت : 568هـ/1172م)

35-من تاريخ خوارزم، تح : محمود محمد خلف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2017.

- خواند مير، غياث الدين همام الحسيني ، (942هـ/1535م) 0

36- تاريخ حبيب السير في اخبار البشر ، ،مركز خيام ، طهران ، 1959.

- الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت : 966هـ /1559م) 0

37- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، دار صادر ، بيروت.

-الدينوري ،احمد بن داود ، (ت : 282هـ/895م) 0

38- الاخبار الطوال ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بلا : ت .

-الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، (ت: 748هـ/1347م)0

39- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ، تح: محب الدين الخطيب، تحت اشراف :الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، وكالة الطباعة والترجمة،السعودية ،1413.

40- سيرة أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤ هـ .

41- دول الاسلام ، تح : حسن اسماعيل ، دار صادر ، بيروت .

42- العبر في خبر من غبر،تح : صلاح المنجد ، الكويت ،1960م.

43- تاريخ الاسلام ، تح :عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب ، العربي ، بيروت ،1987م.

44- المختصرالمحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ،تح : مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ، بيروت.

- الراوندي ، محمد بن علي ، (ت603هـ/1344م) 0

45- راحة الصدور واية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية،تر:ابراهيم الشواري واخرون ،القاهرة،عين شمس،1380هـ/1960م.

- الرمزي ،محمد مراد بن عبد الله،(ت:في القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي) 0

46- تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، ط1، تق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان،2002 م .

- ابن سباط، حمزة بن احمد ، (ت: 926هـ/1520م).

47- تاريخ ابن سباط ، ط1،تح :عبد السلام التدمري ، روسبرس ، طرابلس ، لبنان ،1993.

-السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت 771هـ/1369م) 0

48- طبقات الشافعية الكبرى ، تح : محمد محمود الطناجي و عبد الفتاح محمد الحلو ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ .

- السجستاني ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي ، (ت ٢٧٥هـ/888م)0

49- سنن أبي داود ، دارالجيل ، بيروت ، ١٤١٢هـ .

- سراج الدين بن الوردي، عمر بن المظفر المعري الحلبي ، (ت : 861هـ/1457م)

50- خريدةالعجائب وفريدة الغرائب ،تح: انورمحمود الزناتي،مكتبة الثقافة الاسلامية،القاهرة ، ط1 ،1428هـ/2008.

- ابن سعيد، المغربي.أبو الحسن على بن موسى بن سعيد ، (ت : 685هـ/1286م).

51- الجغرافيا ،تح : إسماعيل المغربي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ،د.ت .

- السلمي ، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد ، (ت : 412هـ/1021م)

52- أصول الملامتية وغلطات الصوفية ، تح : عبد الفتاح أحمد الفاوي .

- السيوطي ،جلال الدين عبد الرحمن ، (ت : 911هـ/1505م)0

53- تاريخ الخلفاء ،ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2005م.

- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (ت 790هـ/1388م) .

54- الاعتصام،تح: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية،ط1، 1412هـ - 1992م.

- ابو شامة ، عبد الرحمن بن اسماعيل ، (ت 665هـ/1267م) 0

55-نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلائرية ،تح : ابراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1997.

- ابن شداد ،عز الدين محمد بن علي الحلبي ، (ت : 684هـ/1285م).

56- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ،تح : يحيى زكريا عبارة ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق،**1991.**

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد ، (ت :548هـ/1153م).

57- الملل والنحل ،تح : احمد فهمي محمد،دار الكتب العلمية، ط2 ،1413هـ/1996م.

- ابن شيخ الربوة، شمس الدين محمد ، (ت : 727هـ/1327م) 0

58- نخبة الدهرفي عجائب البر والبحر ،مط : قرين ،بطرس بورغ ، 1865 م.

- ابن صاعد ،ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي(ت462هـ/1070م).

59- طبقات الأمم، نشره وذيله بالحواشي الاب شيخو لويس،بيروت،المطبعة الكاثوليكية،1912 .

- الصفدي ،صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله ، (ت : 764هـ/1363م) 0

60- أعيان العصر و أعوان النصر ، تح : علي أبو زيد واخرون ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1418هـ .

61-الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ،دار إحياء التراث ، بيروت،1420ه/ 2000م.

- الصنعاني ، عبدالرزاق بن همام ، (ت : 211هـ/826م) .

62- المصنف ،تح : حبيب الرحمن الاعظمي،المكتب الاسلامي ،بيروت ، ط2، 1403هـ.

- الصيرفيني ، تقي الدين ابراهيم بن محمد ، (ت 641 هـ/1243م) 0

63- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، دارالفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م.

- الطبري ، محمد بن جرير ، (ت :310هـ/922م).

64- تاريخ الرسل والملوك ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا ، (ت: 709هـ/1309م) .

65- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تح :عبد القادرمحمد ، دار القلم العربي ، بيروت ، ط،1997م .

- عبد القاهر البغدادي ، ابو جعفر عبد القاهر بن طاهربن محمد، (ت429هـ/1038م).

66- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ،ط2، 1977.

- ابن العبري ، غريغوريوس بن هارون الملطي ، (ت : 685 هـ/1286م) 0

67- تاريخ مختصر الدول ، دارالكتب العلمية ،بيروت ، ١٤١٨هـ .

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، (ت : 571هـ/1175م) 0

68- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط3، 1404 هـ .

- العمري، احمد بن يحيى ، (ت : 749هـ/1348م) .

69- مسالك الابصار في ممالك الامصار،المجمع الثقافي ،ابو ظبي ، ط1، 1423هـ.

- الغساني ، الملك الاشرف ، (ت : 803هـ/1401م).

70- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تح : شاكرمحمود ، دار التراث ، بيروت ، 1975م .

- الفارقي ،احمد بن يوسف ، (ت بعد سنة572هـ/1176م) 0

71- التاريخ الفارقي ، تح : بدوي عبد اللطيف ، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، 1379هـ /1959.

- أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل بن علي ، (ت : 732 هـ/1332م) .

72- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ماك كوكين ديسالن، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

73-المختصر في اخبار البشر،المطبعة الحسينية المصرية ،القاهرة.

- الفراء،ابن ابي يعلى ، (ت : 526هـ/1132م) 0

74- الاعتقاد ، دار اطلس الخضراء، الرياض ،1423هـ/2002.

75 - طبقات الحنابلة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1417هـ/1997.

- أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي ، (ت 356هـ/967م) 0

76-مقاتل الطالبيين، ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ،١٤٠٧هـ.

- ابن الفوطي ، عبد الرزاق بن احمد البغدادي ، (723هـ/1323م) 0

77- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة،تح : مهدي نجم،دار الكتب العلمية ،بيروت.

- ابن قتيبة ،عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت276هـ/889م).

78- الامامة والسياسة ، تح: طه محمد الزيني ، القارة ، مؤسسة الحلبي ، 1967 م.

79- المعارف ،تح: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،ط2، 1992 م.

- القزويني ، زكريا بن محمد ، (ت : 682هـ/1283م) 0

80- اثار البلاد واخبار العباد ، دارصادر، بيروت ، 1960م .

- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي ، (ت 821هـ/1418م) 0

81- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري،الطبعة:2، 1402هـ - 1982 م .

82- صبح الاعشى في صناعة الانشا،تح:عبد القادر زكار،وزارة الثقافة،دمشق،1981.

- الكتبي، الصلاح محمد بن شاكر احمد ، (ت764هـ/1363م) 0

83- فوات الوفيات ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية ،القاهرة، 1951.

- ابن كثير ،عماد الدين اسماعيل ، (ت :774 هـ/1372م).

84- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ،بيروت ، 1977 م.

- كرديزي،ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك(ت445هـ/1053م).

85- زين الأخبار ، صححه: عبد الحي حبيبي،طهران، 1984.

- ابو المحاسن،ابن شداد بهاء الدين (ت632هـ/1234م).

86- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،تح:جمال الدين الشيال،مكتبة الخانجي، القاهرة.

-المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957م) .

87- مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2،تح: محمد محي الدين عبد الحميد،ط1 ، دار الأنوار ، بيروت ، (د. ت).

- مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب.(421هـ/1030م).

88- تجارب الامم وتعاقب الهمم، تح:سيد كسروي حسن،ط1، دار الكتب العلمية،2003.

- مسلم ،ابو الحسين بن الحجاج النيسابوري(ت 261هـ/875م).

90- المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلمالمعروف ب(صحيح مسلم)،تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- المعتزلي ، ابن ابي الحديدعز الدين المدائني ، (ت : 656 هـ/1258م).

91- شرح نهج البلاغة ، دارالجيل بيروت ، ١٤٠٨هـ.

- **المقدسي ، ابو عبد الله محمد بن أحمد (ت 380هـ/990م)**.

92- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط3 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1411- 1991.

- **المقدسي، المطهر بن طاهر (ت 355هـ/966م).**

93- البدء والتاريخ،مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي ، (ت : 845هـ/1441م) 0**

94- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح : محمدعبد القادرعطا، دارالكتب العلمية ، لبنان ،بيروت ،ط1، 1418هـ.

95- الخطط المقريزية، ،دارصادر،بيروت.

- **ابن منظور، محمد بن مكرم بن على ، (ت : 711هـ/1311م) 0**

96- لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، ط3، 1414هـ .

- **ميرا خواند محمد بن سيد برهان الدين ، (ت : 903هـ/1498م).**

97- تاريخ روضة الصفا وسيرة الانبياء والخلفاء، طهران 1339هـ.

- **النسوي ،محمد بن احمد ، (ت : 639هـ /1241م) 0**

98- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي،دار الفكرالعربي،االقاهرة،1953م.

- **النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ، (ت : 733 هـ/1333م) 0**

99- نهاية الأرب في فنون الأدب ،دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط 1 ، 1942.

- **ابن هشام ، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري ، (ت : 213هـ/828م) .**

100- السيرة النبوية لابن هشام ، تح : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2 ، 1375هـ - 1955 م.

- **الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ، (ت : 718هـ/ 1318م) 0**

101- جامع التواريخ (خلفاء جنكيزخان) من اوكتايقا آن الى تيمورقاآن ، تر:فؤاد عبد المعطي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973 م.

- ابن واصل ، محمد بن سالم ، (ت : 697هـ/1298م) 0

102- مفرج الكروب في أخبار بني ايوب، تح :حسنين محمد ربيع، د.ت .

الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ، (ت : 207هـ/822م) .

103- المغازي، تح : مارسدن جونس، : دار الأعلمي ،بيروت ،ط3، 1989/1409.

- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن محمد المظفر الكندي، (ت : 749هـ/1348م) 0

104- تتمة المختصر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي) ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، 1417هـ/1996م.

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله ، (ت : 626 هـ/1229م)

105- معجم البلدان ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (المتوفى: 726 هـ)

106- ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1413 هـ - 1992 م.

ثالثا : المراجع الحديثة

- احمد، حسين خضيري

107- قيام الدولة الزيدية في اليمن (280-298هـ)،مكتبة مدبولي،القاهرة،ط1، 1996.

- ارنولد ، سيرتوماس 0

108- الدعوة الى الاسلام ، تر : حسن ابراهيم حسن واخرون،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،1970م.

- اسماعيل ، محي الدين 0

109- توينبي منهج التاريخ وفلسفة التاريخ،بغداد ،1977م .

- إقبال عباس 0

110- تاريخ المغول من حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية ، تر: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000.

111- تاريخ إيران بعد الإسلام ، تر: محمد علاء الدين ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة 1989.

-الامين ،حسن.

112- الغزو المغولي ،دار التعارف للمطبوعات ،بيروت ، لبنان.

- أمين ، محمد فتحي 0

113- الغزو المغولي لديار الاسلام ، الاوائل للنشر والتوزيع ،دمشق ، سوريا،2005.

- اوزطونا ، يلماز 0

114- المدخل إلى التاريخ التركي ، تر : ارشد الهرمزي، ط1، الدارالعربية للموسوعات ، بيروت ،1426هـ/2005م.

- بارتولد ، فاسي ليفلاد مير وفتش 0

115- تاريخ الترك في اسيا الوسطى،تر:احمد سعيد سلمان،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة ،1958.

116- تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي،تر :صلاح الدين عثمان،منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ،الكويت،1980.

- باندولغي، فيتو .

117- تاريخ المسرح، ج1، تر: إلياس زحلاوي ،وزارة الثقافة، دمشق، 1979.

- بخيت ، رجب ابراهيم 0

118- تاريخ المغول وسقوط بغداد ،مكتبة المنصورة،1421هـ-2010 م.

- بدوي ، عبد الرحمن 0

119- اشبنجلر ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤١م.

- بدوي ،محمد.

120- الاخلاق بين الفلسفة والعلم،القاهرة ،دار المعارف،1967.

- بروكلمان كارل 0

121- تاريخ الشعوب الاسلامية ،تر: نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ،دار العلم للملايين، ط7 ،بيروت 1977 .

- بروي ، ادوارد.

122- تـــاريخ الحضـــارات العـــام (القـــرون الوسطى)،تر:يوســـف اســـعد وفريدم،منشـــورات عويدات،بيروت،1995.

- بريتون ، رولان .

123- جغرافية الحضارات ، تعريب : خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، 1993 م.

- البهجي،ايناس حسني 0

124- تاريخ المغول وغزو الدولة الاسلامية،عمان ،مركز الكتاب الاكاديمي،ط 1 ،2017.

- تشون ، تشان 0

125- التاريخ السري للمغول ،ترجمة وتح:سهيل زكار،التكوين للطباعة والنشر،2011.

- التوفيقى ،حسين 0

126- دروس في تاريخ الأديان ، تر،انورالرصافي، مركزالمصطفى للطباعة والنشر، قم ١٤٤٠ هـ.

- التونجي ، محمد .

127- بلاد الشام ابان الغزو المغولي ،بيروت ، دار الفكر العربي ، ط1.

- توينبي ، ارنولد جوزيف 0

128- تاريخ البشرية،تر:نقولا زياده،الاهلية للنشر والتوزيع،بيروت،1988.

129- من الشرق والغرب محاضرات توينبي خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة عام 1966، تر : فؤاد زكريا ،القاهرة ، 1966.

130- بحث في التاريخ ، تر: طه باقر ، بغداد، دار الوراق ، ١٩٥٥م.

131- مختصر دراسة للتاريخ ، تر: فؤاد محمد شبل ، المركز القومي للترجمة ،ج3 ،2011م

- تيزيني ، محمد طيب 0

132- فنيانس ، غسان ، تاريخ الفلسفة القديمة والوسيطة ، منشورات جامعة دمشق، ط3، 1992م.

- الجاف ، حسن 0

133- الوجيز في تاريخ ايران، بيت الحكمة، بغداد ،2003م .

- أبوجراد ، محمد 0

134- الصين بلاد الطبيعة والجمال ، ،بكين ، دارالنشربااللغات الأجنبية ، ط١ ،١٩٨٨.

- جيري ، ويد 0

135- المذاهب الكبرى في التاريخ ، تر: ذوقان قرقوط ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٧٩.

- جيفري ، ،باراكلو 0

136- الاتجاهات العامة في الابحاث التاريخية،تر:صالح احمد العلي،مؤسسة الرسالة ، ط1، 1984.

- حسن ، ابراهيم حسن 0

137- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي،دار.الجيل،بيروت،1416هـ/1996.

138- تاريخ الدولة الفاطمية ،ط3 ،القاهرة ،1960.

- حسنين ، عبد المنعم محمد.

139- سلاجقة ايران والعراق، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2 ،1380هـ/1970 م .

- حسونة ، محمد احمد 0

140- أثرالعوامل الجغرافية في الفتوحات الإسلامية ، دارنهضة مصر، القاهرة.

- الحصري ، ساطع .

141- دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار المعاف ، مصر ، 1953.

- حطيط ، احمد 0

142- حروب المغول ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ،1994 م .

- حمدي ، حافظ.

143- الدولة الخوارزمية والمغول، دار الفكر العربي، مط: الاعتماد، القاهرة ، 1949 م .

- حميدة،عبد الرحمن .

144- جغرافيا اسيا،ط1،دار الفكر ، دمشق،1988.

- الحميدي،يوسف بن عبد العزيز.

145- ياقوت الحموي مؤرخاً من خلال كتابه معجم البلدان،منشورات ضفاف،2014.

- الخالدي ، اسماعيل عبد العزيز 0

146- العالم الإسلامي والغزو المغولي،مكتبة الفلاح،الاسكندرية،1984.

- الخشاب ،مصطفى.

147- تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية،القاهرة،1954.

- الخشاب، وفيق حسين 0

148- آسيا ، المطبعة العربية ، بغداد ، ط1 ، 1964.

- الخضير ، زينب 0

149- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، دار الثقافة للطباعة، القاهرة، 1981م.

- الخطيب ، مصطفى عبد الكريم 0

150- معجم المصطلحات والالقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1، 1996.

- خفاجة ،محمد صقر .

151- دراسات في المسرحية اليونانية ،القاهرة، 1979.

- خلوصي 0، احسان سعيد.

152 - من دمشق إلى سمرقند رحلة إلى أوزبكستان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004.

- خوري ، منح.

153- التاريخ الحضاري عند توينبي ،بيروت ، 1960.

- دايساكو اكيدا ، توينبي .

154- التحديات الكبرى ،حوارية الحياة والدين والدولة ، تر: محمود منقذ الهاشمي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1، 1999.

- الدباغ ، ايمان طلعت 0

155- نظم المغول الاجتماعية والدينية والعسكرية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان، ط1، 1440هـ.

- الدوري،عبد العزيز.

156- فلسفة التاريخ،عرض تاريخي، مجلة عالم الفكر، الكويت، اغسطس،1971.

- ديورَانت،وِل ، (ت :1981 م) 0

157- قصة الحضارة، تر: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل، بيروت - لبنان، ،1408 هـ - 1988 .

- رانيسمان ، ستيفن.

158- تاريخ الحروب الصليبية ، تر : الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، 1969م .

- رستم ، سعد.

159- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الاسلام حتى اليوم ،دمشق ، دار الاوائل ، ط2، 2005

- رضوان ،يمنى.

160- الدولة الجلائرية واهم مظاهر الحضارة في العراق واذربيجان خلال القرنين الثامن والتاسع بعد الهجرة،ط1،القاهرة،1993/1414.

- أبو ريدة ، محمدعبد الهادي 0

161- رسائل الكندي الفلسفية ، دار الفكر العربي،القاهرة ،1953.

- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، (ت :1396هـ)0

162- الأعلام ،دار العلم للملايين، ط : 15، 2002 م.

- زكار، سهيل 0

163- أخبـار المغـول (لـدى معاصـريهم مـن المـؤرخينالعـرب والصـليبين والأرمن)،بيـروت ، دار العلـم ،2015.

- زياده ،نقولا ومحمد السيد نصر 0

164- اطلس العالم ، بيروت ،لبنان .

- الزياري،محمد فتح الله.

165- ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها ،المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، طرابلس ، ليبيا، ط1,1983.

- ابو زيد ،عبد الله.

166 - المنابع الذهبية ، بيروت ، 2010.

-السامر ،فيصل .

167- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ،ط1،بغداد ، مطبعة الامان ،1970.

- ستوف فلاديمير 0

168- حياة جنكيز خان الادارية والسياسية والعسكرية ، تر: سعد بن محمد بن حذيفة الغامدي ، الرياض ، جامعة الملك سعود،ط1، 1403هـ/1983م.

- السحمراني،أسعد.

169-الاخلاق في الاسلام والفلسفة القديمة،دار النفائس، بيروت،ط1، 1408هـ/1988.

- سليمان ،احمد عبد الكريم.

170- المغول والمماليك حتى نهاية عصرالظاهربيبرس ، ط1، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1984.

- سوريال: عزيز 0

171- تاريخ المسيحية الشرقية ، تح : اسحاق عبيد ،القاهرة ، المجلس الاعلى للثقافه ، ط1 ، 1426 هـ / 2005 م .

- سوسة ، احمد 0

172- حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور ، بغداد ، ١٩٧٩.

- السويدي ،محمد أمين 0

173- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب،المكتبة العلمية،2016.

- الشاعر،محمد فتحي.

174- مصر قاهرة المغول في عين جالوت،دار المعارف ، القاهرة،1995/1416.

شبارو،عصام محمد 0

175- السلاطين في المشرق العربي،بيروت،دار النهضة العربية ،1999.

- شبر،حسن 0

176- خلفاء بني العباس والمغول اسقطوا بغداد،المجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام،ط4، 1432هـ/2011م.

- شبنجلر،ازفلد.

177- تدهور الحضارة الغربية، تر:أحمد الشيباني ،دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٤ .

- شبولر، بيرتولد .

178- العالم الاسلامي في العصر المغولي، نقله الى العربية: خالد اسعد عيسى، راجعه وقدم له: سهيل زكار، دار احسان، دمشق، ط1 ،1982م.

179- المغول في التاريخ،تح : يونس شلبي ، دار طلاس ،ط 1 ،1989م.

- الشرقاوي ، عفت 0

180- أدب التاريخ عند العرب ، بيروت ، بلا تاريخ.

- الشفقي ، محمد عبد الله 0

181 **-** مع ارنولد توينبي ، الدار القومية للطباعة ، 2001م.

- شلبي ، احمد

182-اديان الهند الجينية والبوذية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1989.

183- موسوعة التاريخ الاسلامي،مكتبة النهضة المصرية،1993،ج8.

- شلبي ، السيد أمين .

184- نظرات في ارنولد توينبي ، دارقباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،2000م.

- شمت ،ناشانيل 0

185- ابن خلدون المؤرخ وعالم الاجتماع والفيلسوف ، تر:احسان محمد الحسن، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٩م.

-الصاوي،محمد.

186- جنكيز خان قاهر العالم ،ط1،دار طيبة للطباعة،الجيزة ،مصر ،2012.

- صبحي ، احمد محمود .

187- في فلسفة التاريخ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، 1975 م

- صبره، عفاف سيد 0

188-التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ،دارالكتاب الجامعي للطباعة والنشر،القاهرة، 1987.

- صفا ، اسد الله 0

189- جنكيزخان،دار النفائس للطباعة والنشر ،القاهرة،2003.

- صفا، ذبيح الله .

190- تاريخ ادبيات ايران، طهران 1339 هـ .

- صلبية ، جميل 0

191- تاريخ الفلسفة العربية، ، الشركة العالمية للكتاب ، ١٩٨٩م.

- الصياد ، فؤاد عبد المعطي.

192 - المغول في التاريخ، دار النهضة العربية،بيروت ،1980.

- **الطائي ،سعاد هادي.**

193- دراسات في تاريخ الترك والمغول، دار عدنان للطباعة والنشر، بغداد، 2015.

- الطاهر ، عبد الجليل 0

194- مسيرة المجتمع ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

-طرابيشي،جورج.

195- معجم الفلاسفة،دار الطليعة،بيروت،ط3، 2006.

- طرطور،شعبان.

196- الدولة الجلائرية ،دار الهداية ، القاهرة،1407.

- طقوش،محمد.

197- تاريخ المغول العظام،دار النفائس،بيروت ، 2007.

- عاشور ،سعيد عبد الفتاح.

198- الحركة الصليبية،ط9 ،مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،2010.

-العبادي،احمد مختار.

199- في التاريخ الايوبي والمملوكي ،شباب الجامعة ، الاسكندرية،1992.

- عبد الحليم ، رجب محمد 0

200- انتشار الاسلام بين المغول، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع.

- العبود ، نافع توفيق.

201 - الدولة الخوارزمية ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، 1978م .

- عبيد ، اسحاق 0

202- معرفة الماضي من هيرودوت إلى توينبي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1981.

- العربي ، محمد عقون 0

203- الامازيغ عبر التاريخ ، نظرة موجزة في الاصول والهوية ، التنوخي للطباعة والنشر ، المغرب ، الرباط ، ط1 . 2010م.

- العريني ، السيد الباز 0

204- المغول ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1967.

العزاوي ،عباس 0

205- تاريخ العراق بين احتلالين ،بغداد،1935.

- العسيري، أحمد معمور 0

206- موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر،ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 1417 هـ - 1996 م.

-العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (المتوفى: 1111هـ)

207- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تح: عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض ،دار الكتب العلمية – بيروت،ط1، 1419 هـ / 1998 م

- العظمة ، عزيز 0

208- العرب والبرابرة ،مطبعةرياضالريس،قبرص، ١٩٩١م.

- عكاشة ، ثروت محمود 0

209- جنكيزخان الامبراطور الدموي، دار الفكر العربي القاهرة، بلا.ت.

210- اعصارقادممنالشرق،ط5، دارالشروقلطباعةوالنشر،القاهرة، 1992.

- علم الدين ، نفين جمعة 0

211- فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م.

- ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي(ت 1089هـ) 0

212- شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تح: محمود الأرناؤوط،دار ابن كثير، دمشق ، بيروت،ط1، 1406 هـ / 1986 م.

- عمران ، محمود سعيد.

213- المغول و اوربا ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ،1997.

- عواجي ،غالب بن علي 0

214- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها،المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة،ط4، 1422هـ- 2001 م.

- الغامدي ، سعد بن محمد .

215- الفتوحات الاسلامية لبلاد الهند والسند،مكتبة التو- بة للنشر والتوزيع.

216- سقوط الدولة العباسية ، ط2، 1401هـ/1983م.

217- المغول بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية،ط١ ،الرياض،1989.

- غروسيه ، رينيه 0

218- جنكيز خان قاهرالعالم تر : خالد اسعدعيسى ، راجعه: سهيل زكار، دارحسان للطباعة والنشر، دمشق،1983.

- غنيمي، رافت الشيخ 0

219- فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 1988م.

- فا مبري ، ارمينوس.

220- تاريخ بخارى ، تر: احمد محمود الساداني،شركه الاعلانات الشرقية ،القاهرة، 1965.

- فروخ ،عمر 0

221- صفحات من حياة الكندي وفلسفته ، دار العلم للملايين، بيروت ،1962م .

- الفقي،عصام الدين عبد الرؤوف.

222- الـدول المسـتقلة فـي المشـرق الاسـلامي منـذ مسـتهل العصـر العباسـي حتـى الغـزو المغـولي ،دار الفكرالعربي ، القاهرة ، 1420- 1999 .

- فهمي،عبد السلام عبد العزيز.

223- تاريخ الدولة المغولية في ايران،دار المعارف،1981.

- فيفر، لوسيان .

224- الارض والتطـور البشـري، تـر: محمـد السـيد غـلاب، ط2، دار المطبوعـات الجديـدة، القـاهرة، 1973.

-القرماني ،احمد بن يوسف ، (ت : 1019هـ) 0

225- اخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، تح : احمد حطيط وفهمي سعد،عالم الكتب

- القزاز، محمد صالح داود 0

226 - الحياة السياسية، في العراق في عهد السيطرة المغولية،مطبعة القضاء، النجف ،1970.

- قسطنطين ، رزيق 0

227- في معركة الحضارة ، بيروت ،1973.

- قوانغ ، شبوي 0

228- جغرافية الصين، تر: محمد ابو جراد، دار النشر باللغات الاجنبية، بكين، 1987.

- كندر ، هيرمن.

229- أطلس تاريخ العالم ، بيروت .

- كرد ، علي محمد .

230 - خطط الشام ، مكتبة النوري ، دمشق 2009 .

- كيتشانوف .

231 - حياة تيموتشجين، تر : طلحة الطيب ، جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، 2005م .

- لامب ، هارولد .

232- جنكيز امبراطور الناس كلهم ، تر: بهاء الدين نوري ، مطبعة السكك الحديدية العراقية بغداد ، 1946.

233- جنكيز خان وجحافل المغول،تر : متري امين،مكتبة الانجلو المصرية،1962.

- لسترج ، كي 0

234 - بلدان الخلافة الشرقية ،تر:بشير فرنسيس وكوركيسعواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1954م .

- اللهيبي، فتحي سالم حميدي 0

235- رياح الشرق ، دار النهضة العربية ، لبنان.

- لاين جورج 0

236-عصر المغول ت :تغريد الغضبان ،مراجعه سامر ابو هواش ،سلسله الحياه اليوميه عبر التاريخ، هيئه ابوظبي للسياحة والثقافه، الكلمه ابوظبي، 2012 .

- مارشال، روبرت.

237- من جنكيز خان الى قبلاي خان(عاصفة من الشرق)،نقله للعربية وقدم لعه:سهيل زكار،دمشق، 1915.

- ماركو بولو 0

238- رحلات ماركو بولو ،تر :عبد العزيز جاويد ، ط2، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة،2002م.

- مجموعة مؤلفين.

239- موسوعة سفير للتاريخ الاسلامي ، المكتبة الشاملة ، اعداد: ابو سعيد المصري.

- محمود، اسماعيل .

240- تاريخ اسيا الوسطى، دار المعتز للنشر والتوزيع، 2015.

- محمود ، شاكر .

241- التاريخ الاسلامي – الدولة العباسية – دارالمكتب الإسلامي بيروت ،٢٠٠٠م.

- مرجونة ، إبراهيم محمد علي 0

242- المغول والحضارة الإسلامية، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية.

- المرسي سامي محمد 0

243- المغول ،دار العالم العربي، القاهرة،1432.

- مريسيا إلياد.

244- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترمجةعبدالهادي عباس، دمشق، 1987م.

- المطيعي، لمعي 0

245- ارنولد توينبي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967م .

- الملاح ، هاشم يحيى 0

246- المفصل في فلسفة التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧١.

247- دراسات في فلسفة التاريخ ،الموصل، 1988م.

- المنصوري،بيبرس.

248- التحفة المملوكية في تاريخ الدولة التركية ،نشر وتقديم : عبد الحميد حمدان،ط1،الدار المصرية-اللبنانية ،القاهرة،1987.

- مهورباشة،عبد الحليم.

249- فلسفة التاريخ مدخل الى النماذج التفسيرية للتاريخ الانساني، مركز نماء للبحوث والدراسات،ط1،بيروت،2016.

- مؤنس،حسين 0

250- اطلس تاريخ الاسلام ، ط1، الزهراء للاعلام العربي ، الكويت ، 1987 م .

251- الحضارة ، سلسلة عالم المعرفة، العدد الاول ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1978.

- موسوعة ستانفورد للفلسفة 0

252- القديس اوغسطين ، تر : ناصر الحلواني ، تحرير : تركي طوهري ، 2020 م .

-المومني ،احمد عقلة واخرون.

253- الجغرافيا الإقليمية للعالم قارة أسيا، ط1، دار الكندي للنشر،عمان ، الاردن،1999.

- النجار ، رغد عبد الكريم 0

254- امبراطورية المغول(دراسة تحليلة عن التاريخ المبكر وتكوين امبراطورية)،عمان ، دار غيداء ، 2012 .

- النجم، زياد عبد الكريم 0

255-توينبي ونظريته التحدي والاستجابة "الحضارة الاسلامية أنموذجاً"، دمشق،2010م .

- نسيم ، جوزيف .

256- دراسات في تاريخ العلاقاتبين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٨م.

- النشار ، مصطفى .

257- فلاسفة أيقضوا العالم ، دار قباء ، القاهرة ، ط3 ، 1998م.

258- فلسفة التاريخ نشأتها وتطورها من الشرق القديم حتى توينبي،نيو بوك للطباعة والنشر، القاهرة،ط1، 2017.

- هاري ، بارنز 0

259- تاريخ الكتابة التاريخية ، تر:محمد عبد الرحمن ، مراجعة ، سعيد عبد الفتاح ،منتدى مكتبة الاسكندرية 1987.

- هنا ، غانم 0

260- فلسفة الحضارة، مطبعة ابن خلدون، دمشق، 1982م.

- هيرمان ، آرثر 0

261- فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي ، تر: طلعت الشايب ، تقديم رمضان بسطا ويس ، المجلس الاعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، ط1، 2000م .

- واكيم، سليم.

262- امبراطورية على صهوات الجياد، دار الكتاب العربي، ب.ت.

- الورد ،جواد 0

263- العقيدة، دار مسامير، العراق.

264- شبهات السلفية ،دارالمحجة البيضاء ، بيروت / ٢٠٠٤ م.

- الوردي ، علي 0

265- منطق ابن خلدون ، المكتبة الحيدرية، قم ١٩٩٧م.

- ولسن ،كولن.

266- سقوط الحضارة، تر: انيس زكي حسن ، بيروت ، ١٩٥٩.

- ويلر، جيز وجي. ترنتون وريتشارد تومان.0

267- جغرافية العالم الاقليمية-اورباوالاتحاد السوفيتي-، تر: : محمدحامد الطائي واخرون،ج1، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.

- يحيى ، جلال 0

268- العالم الاسلامي الحديث والمعاصر،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ١٩٨٢م.

- اليوسف ،عبد الرحمن بن عبد الخالق 0

269- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ،الكويت ،ط3,1406 هـ - 1986 م.

-اليوناني،هيرودوت.

270- تاريخ هيرودوت، تر : عبد الإله الملاح، مراجعة احمد السقاف،المجمع الثقافي في ابو ظبي، 2001.

رابعا - الأبحاث والدوريات والمقالات

- بارتولد، فاسيلي فلادمير وفتش.

271- الترك، المامة تاريخية وجنسية، بحث منشور في دائرة المعارف الاسلامية، ج5 ،مادة الترك.

272- جنكيز خان ، بحث منشور في دائرة المعارف الاسلامية،ج7 0

- حيدر،احمد فرطوس.

273- - اصول العقيده الشامانيه ديانه متعدده الالهام توحيدية دراسة في اوضاع الدين والمعتقدعند المغول ، بحث منشورفي مجلة كليه التربيه ، جامعه واسط ،عدد 39 ،ج2،ايار،2020.

- زغلول ،سعد.

274- الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم،مجلة كلية الاداب، جامعة الاسكندرية، المجلد العاشر،ديسمبر،1956.

- صدقي ،عبد الله خطاب .

275- ارنولد توينبي ، مجلة عالم الفكر ، مج 5 ، العدد الاول ، 1974.

- الغامدي ، سعد بن محمد 0

276- جوانب من حياة المغول المعيشية ، مجلة كلية الاداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد 37 ،1989.

- غنيمات ،قاسم محمد ، واخرون 0

277 - قبائل المغول الاولى : النشأة والاندماج والتوحد616هـ/1218م،المجلة الاردنية للتاريخ والاثار،مج5،عدد3، 2011.

- كدرو ،نرجس اسعد 0

278- المعتقدات الدينية عند المغول ، بحث منشور في صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها والدراسات الاسلامية ، الاصدار الرابع ، مج 19،ع 39،مصر،2011.

- الياس ،سليم 0

279- الموسوعة الكبرى للمذاهب والاديان ، بيروت ، مركز الشرق الاوسط الثقافي (د،ت).

- محمود زايد 0

280- سيرة الفكر التاريخي عند توينبي ، بحوث مهرجان المؤرخ توينبي .

- مسعد ، نبيل 0

281- فلسفة الحضارة عند توينبي ، بحث مقدم الى كلية الآداب والعلوم الانسانية –جامعة باجي مختار ،2020م.

282- فلسفة التاريخ،منتدى سور الازبكية،سلسةشهرية،شركة الامل للطباعة والنشر،ط1،العدد 14 ، سنة 2004.

- نوار،صلاح الدين محمد 0

283- النظم العسكرية عند المغول وفنونهم الحربية طبقا لمصادر المغول وياسة جنكيز خان وتزوكات تيمور وكتب الرحالة الاوربيين والصينيين،مجلة كلية دار العلوم ،جامعة الفيوم،اصدارخاص ،2006.

-هوخام،هيلدا .

283- تاريخ الصين قبل التاريخ حتى القرن العشرين،تر:اشرف محمد،منشورات المجلس الاعلى للثقافة،القارة ،2002.

- الورد ، جواد 0

284 - المدارس الصوفية ،بحث منشور في كتاب وقائع المؤتمر العلمي الدولي السادس للعلوم الانسانية و الاجتماعية ٢٠٢١م.

285- تأملات في فلسفة ابن خلدون التاريخية، بحث منشور في مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، مجلد ١٧، العدد٤، ٢٠١٧م .

خامسا - الرسائل والأطاريح

- احمد ،رنيمة.

286- الاسلام والحركة الانسانية في اوربا ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، قسم التاريخ وعلم الاثار،جامعة وهران ،الجزائر ،2010.

- الدورابي 0

287 - إسلام المغول وأثره العسكري والسياسي والحضاري في قارتي آسيا وأوروبا (653- 1277هـ / 1255- 1858م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا/ كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، 2012.

- غنيمات ،قاسم محمد 0

288- الجيش المغولي في الفترة مابين 615-736هـ/1218-1335م،اطروحة دكتوراه غير منشورة،الجامعةالاردنية،كلية الدراسات العليا،2003م.

- قداوي،علاء محمود 0

289- المغول في الموصل والجزيرة،رسالة ماجستير غير منشورة،مقدمة الى عمادة كلية الآداب،جامعة الموصل،1985.

- كدرو،نرجس اسعد 0

290- موقف المغول الايلخانيين من العقائد و المذاهب الدينية ،رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الاداب، جامعة عين شمس،القاهرة،2009.

-المحبشي ،قاسم عبد عوض.

291- فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر آرنولد توينبي موضوعا،اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ،2004.

- محمد،نسيبه احمد 0

292- الاجتياح المغولي لمشرق العالم الاسلامي وآثاره (٥٩٦_٦٣٩م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة دمشق ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ،2015.

- مزبان، إسراء مهدي 0

293- أثـر القبائـل التاتاريـة فـي نشـاطات المغـول العسـكرية 519- 624هـ/ 1125- 1227م، أطروحـة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، 2012 .

- يونس. عمارمحمد 0

294- الترك في الدولة العربية الإسلامية ، أطروحة دكتوراه مقدمة لمجلس كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ،1421هـ/2000مـ.

المصادر الاجنبية والمواقع الالكترونية

295 - HistoricalDavid Walker and Daniel Gray, Historical Dictionary of Marxism Dictionaries of Religions Philosophies, and Movements, No. 74, The Scarecrow Press, Inc., Lanham, Maryland ,Toronto , Plymouth , UK , 2007, P.219.

296- ./https://ar.wikipedia.org/wiki

297- موسوعة بروكهوس على الانترنيت :-https://brockhaus.de/ecs/enzy/article/geyl-pieter-catharinus-arie.

Abstract:

The Seventh Hijri century/ thirteenth AD witnessed formation of the biggest emperor included geography of the most Asia continent and parts of Eastern Europe when Mogul were the force that set this empire when Genghis Khan could unify those disputed tribes and changed them to an independent state that has its existence and constitution, when he moved in the east and west till he established the biggest empire in its distance.

How did he succeed in carry out this? And how did he control over the various challenge? And how was the response to these challenges?

Therefore, our study was about ' Establishment and Collapse of the state in the light of challenge and Response theory by Toynbee' and we concluded a number of results. In the preface, we clarified, in this study, that Mogul is not Tatar but they belong to one origin which is Turkey origin and they were all called Mogul title after Genghis Khan could unify those tribes and imposed his authority over them.

We also concluded that Genghis Khan personal represents a real fact and due to his abilities to incarnate the heroism role that Toynbee considered an urgent necessity to establish, grew, and prospered civilizations that was through the works that he did

especially concerning gathering Mogul scattered tribes, uniting them, establishing a state with political, legislative, religious, economic, military, and informational organization, and working to expand its geographical area.

We also stated the main reason that evoked Mogul to move westerly to defeat Khwarizmi state was imprudence, lameness, and mismanagement of Sultan Ala Din Khwarizmi particularly when he killed Mogul merchants and took over their goods despite the testaments between him and Genghis Khan to facilitate trade movement between them. This matter was a start to eradicate Khwarizmi State, rather, all Islamic caliphate.

Concerning the reasons that made Mogul to invade Islamic state, Abbasid state was passing through a real deterioration and real corruption on the political, military, administrative, and behavioral levels, and other types of corruption that included all the state joints. Thus, the conflicts and wars among Muslim Sultans in their highest degree while caliphate center had no power as well as emergence of the national affiliation among Muslims and its appearance over the Islamic affiliation.

Concerning Toynbee, we stated the most influential figures in crystalizing his historical philosophy including Saint Augustin, Ibn Kheldoun; and we referred the similarities and differences among them, we showed the most important basics that this philosophy stands on.

The basic principle that Toynbee philosophy stands on in history is what he decided about challenge and Response theory indicates that growth of civilizations happens due to setting a creative minority of society individuals to challenge difficulties and hard conditions – whether they were natural, human, or political – then to achieve a successful response to pass these difficulties. For the response to be successful, there should not be continuity to this challenge and surrender to meekness and looseness otherwise, the civilization deterioration and collapse. This is beside denying theory of human civilization unity and diagnosing causes of civilizations collapse.

We also mentioned the most noticeable drawbacks of Toynbee philosophy as unreliability of the scientific approach in deciding his opinions, his total biased to Western civilization, his dealing with civilizations as alive organic entities: born, grew, and get old and his vision of inability of non- western civilization's sons to create and progress culturally and they are not reliable to imitate Western civilization.

Concerning his vision to Islamic Arab civilization, it was behind truth especially when he considered it a daughter of Syriac civilization and he considered the two civilizations: Arab and Persian one civilization and his claim that

Mohammed (p.b.u.h.) was inspired from Judaism and Christianity and took him out of prophet hood collection. He considered the Meccan Islamic mission as the creative response duration, beside his thought of fruitfulness of creating Islamic civilization and no way for its sons but alienation. These are crucial mistakes and total remote from the reality.

We also stated the most significant causes that destroyed the process of challenge continuity to the creative minority especially after their thunderously fall in Ain Jalut battle and collapse of most of their factors, I mean the very influential information regime that employed the saying " Mogul are undefeatable people". Then inability of the creative minority to support the challenge momentum beside corruption spreading to this minority that led to collapse.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala

College of Education for Human Sciences

Department of History – Higher Studies

Establishment and collapse of Mogul state in the light of challenge and Response Theory by Toynbee

Thesis submitted by the student

Ḥaydar Ḥsūnī Mahdī AL-Mūsawi

A Dissertation Submitted to the Council of College of Education for Human Sciences / University of Karbala as a Partial Fulfillment for the Requirements of Doctorate Degree in Islamic History.

The supervisor:

Asst. Prof. Dr. Abear Abdul Resoul Mohammed Al Timimee

2023 A.D. 1445 H.